

(فهرسة مكاشفة القلوب)

صحيفة

صحيفة

١٤٤

صحيفة

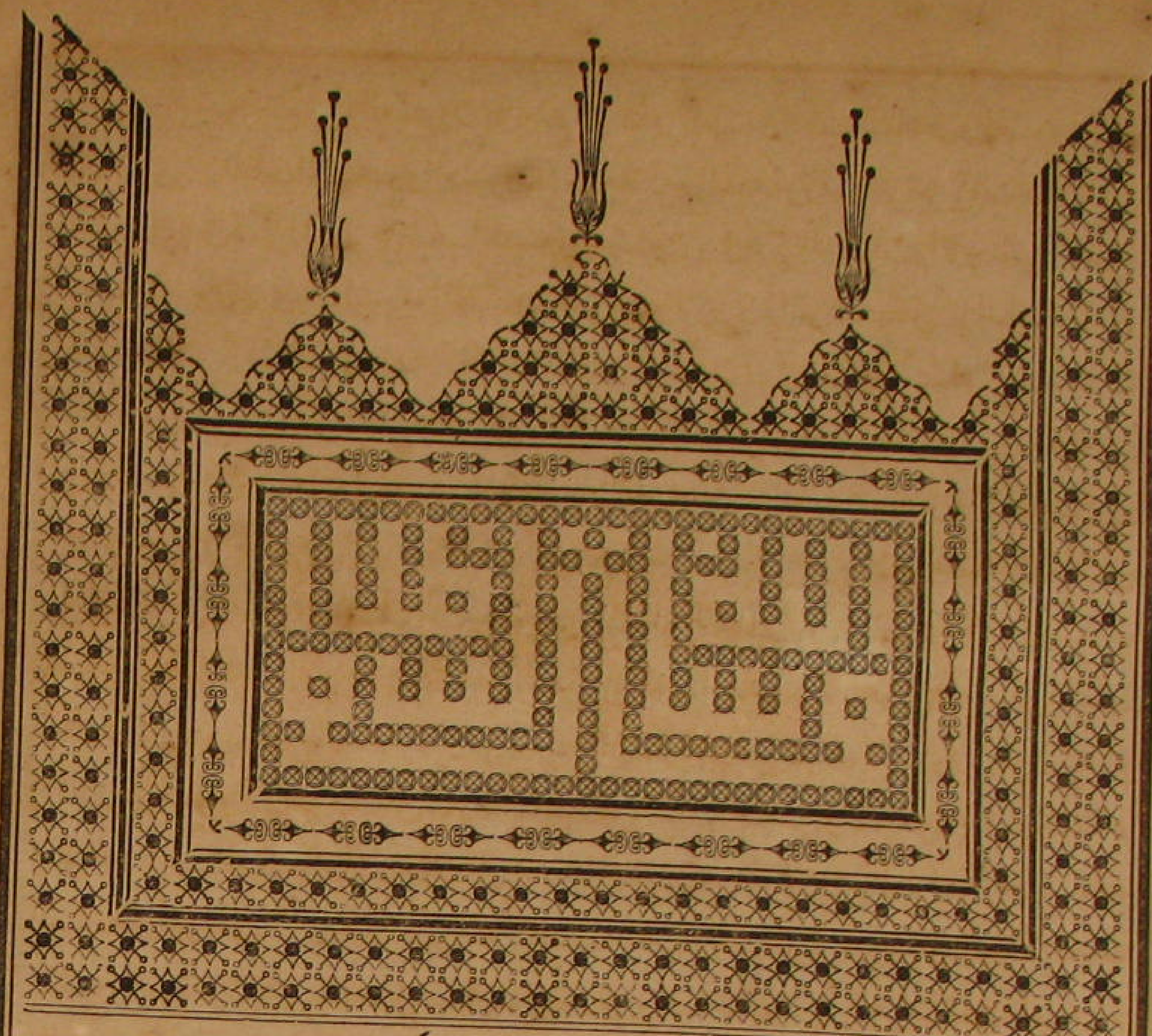
صحيفة

(تمت)

(مكاشفة القلوب)

المقرب الى حضرة علام الغيوب
المختصر من مكاشفة القلوب الاكبر المنسوب
للامام العلامة العارف الشيخ
الغزالى رحمه الله تعالى
ونفعنا ببركاته
آمين

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الميريه ببولاق مصر المحميه)
(سنة ١٣٠٠ هجريه)



(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى أحسن تدبير الكائنات وخلق الارضين والسموات وأنزل الماء من المعصرات وأنشأ الحب والنبات وقدر الارزاق والاقوات وأثاب على الاعمال الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد ذى المعجزات الظاهرات الذى حصل من نوره وجود الكائنات (وبعد) فهذا كتاب اختصرته من الكتاب البديع حسن الصنيع المسمى بمكاشفة القلوب المقرب الى علام الغيوب المنسوب الى الشيخ الغزالى وقد سميته كأصله بمكاشفة القلوب وأعوذ بالله من الشرك والذنوب واقتصرت فيه على مائة وواحد عشر باب ليحفظ ما فيها أولو العلم والالباب (الباب الاول) فى الخوف (الباب الثانى) فى الخوف من الله تعالى أيضا (الباب الثالث) فى الصبر والمرض (الباب الرابع) فى الرياضة والشهوة النفسانية (الباب الخامس) فى غلبة النفس وعداوة الشيطان (الباب السادس) فى الغفلة (الباب السابع) فى نسيان الله والفسق والنفاق (الباب الثامن) فى التوبة (الباب التاسع) فى المحبة (الباب العاشر) فى ذكر العشق (الباب الحادى عشر) فى طاعة الله ومحبته ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم (الباب الثانى عشر) فى ذكر ابليس وعذابه (الباب الثالث عشر) فى ذكر الامانة (الباب الرابع عشر) فى الصلاة بالخضوع والخشوع (الباب الخامس عشر) فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر (الباب السادس عشر) فى عداوة الشيطان (الباب السابع عشر) فى الامانة والتوبة (الباب الثامن عشر) فى فضل الترحم (الباب التاسع عشر) فى الخشوع فى الصلاة (الباب العشرون) فى الغيبة والنميمة (الباب الحادى والعشرون) فى الزكاة (الباب الثانى والعشرون) فى ترك الزنا (الباب الثالث والعشرون) فى صلة الرحم وحقوق الوالدين (الباب الرابع والعشرون) فى بر

الوالدين

الوالدين (الباب الخامس والعشرون) فى منع الزكاة والبخل (الباب السادس والعشرون) فى طول الامل (الباب السابع والعشرون) فى ملازمة الطاعة وترك الحرام (الباب الثامن والعشرون) فى ذكر الموت (الباب التاسع والعشرون) فى ذكر السموات والاجناس المختلفة (الباب الثلاثون) فى الكرسى والملائكة المقربين والارزاق والتوكل (الباب الحادى والثلاثون) فى ترك الدنيا وذمها (الباب الثانى والثلاثون) فى ذم الدنيا أيضا (الباب الثالث والثلاثون) فى بيان فضل القناعة (الباب الرابع والثلاثون) فى فضل الفقراء (الباب الخامس والثلاثون) فى ذم اتخاذ ولى من دون الله وبيان العرصات (الباب السادس والثلاثون) فى النفخ والفزع والحشر من المقابر (الباب السابع والثلاثون) فى العرصات والقضاء بين الخلائق (الباب الثامن والثلاثون) فى بيان ذم المال (الباب التاسع والثلاثون) فى الاعمال والميزان وعذاب النار (الباب الاربعون) فى فضل الطاعة (الباب الحادى والاربعون) فى الشكر (الباب الثانى والاربعون) فى بيان ذم الكبر (الباب الثالث والاربعون) فى التفكر فى أحوال الايام (الباب الرابع والاربعون) فى بيان شدة الموت (الباب الخامس والاربعون) فى بيان القبر وسؤاله (الباب السادس والاربعون) فى بيان علم اليقين وعين اليقين وسؤال يوم العرض (الباب السابع والاربعون) فى فضل ذكر الله (الباب الثامن والاربعون) فى فضائل الصلاة (الباب التاسع والاربعون) فى بيان عقوبات تارك الصلاة (الباب الخمسون) فى العرصات وعذاب جهنم (الباب الحادى والخمسون) فى بيان عذاب جهنم أيضا (الباب الثانى والخمسون) فى ذكر الخوف والذنب (الباب الثالث والخمسون) فى فضل التوبة (الباب الرابع والخمسون) فى بيان عواقب الظلم (الباب الخامس والخمسون) فى ظلم اليتيم وقتل أولاد جعفر (الباب السادس والخمسون) فى بيان ذكر عاقبة الكبر (الباب السابع والخمسون) فى فضل التواضع والقناعة (الباب الثامن والخمسون) فى بيان غرور الدنيا (الباب التاسع والخمسون) فى بيان عدم الاغترار بالدنيا والتحريض على التقوى (الباب الستون) فى بيان فضل الصدقة (الباب الحادى والستون) فى قضاء حاجة الاخ المسلم (الباب الثانى والستون) فى بيان فضل الوضوء (الباب الثالث والستون) فى فضل الصلاة والمحافظة عليها (الباب الرابع والستون) فى بيان ذكر القيامة (الباب الخامس والستون) فى بيان صفة جهنم وطبقاتها وذكر الصراط والميزان (الباب السادس والستون) فى ذم الكبر والعجب (الباب السابع والستون) فى الاحسان الى اليتيم واجتناب الظلم (الباب الثامن والستون) فى طلب أكل الحلال والتحذير من أكل الحرام (الباب التاسع والستون) فى ذكر الربا (الباب السبعون) فى الحث على الاستحلال من حقوق العبد (الباب الحادى والسبعون) فى النهى عن اتباع الهوى وفضل الزهد (الباب الثانى والسبعون) فى صفة الجنة وصفة أهلها (الباب الثالث والسبعون) فى الصبر والرضا والقناعة (الباب الرابع والسبعون) فى فضل التوكل وذكر الرزق (الباب الخامس والسبعون) فى فضل المسجد والنهى عن التكلم بكلام الدنيا فيه (الباب السادس والسبعون) فى الرياضة وفضل أهل الكرامة (الباب السابع والسبعون) فى فضل الايمان وذم النفاق (الباب الثامن والسبعون) فى النهى عن الغيبة والنميمة وفضل الذكر (الباب التاسع والسبعون) فى بيان بعض فضائل بسم الله الرحمن

(الباب الاول فى بيان الخوف)

جاء فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى خلق ملكا له جناح فى المشرق وجناح فى المغرب ورأسه تحت العرش ورجلاه تحت الارض السابعة وعليه بعدد خلق الله تعالى ريش فاذا صلى رجل أو امرأة من أمتى على أمره الله تعالى بان ينغمس فى بحر من نور تحت العرش فينغمس فيه ثم يخرج وينفض جناحه فيقطر من كل ريشة قطرة فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا يستغفر له الى يوم القيامة * قال بعض الحكماء سلامة الجسد فى قلة الطعام وسلامة الروح فى قلة الآثام وسلامة الدين فى الصلاة على خير الانام * قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله يعنى اخشوا الله وأطيعوه ولتنظر نفس ما قدمت لغد يعنى عملت ليوم القيامة ومعناه تصدقوا واعملوا بالطاعة لتجدوا ثوابها يوم القيامة واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون من الخير والشر فان الملائكة والسماء والارض والليل والنهار يوم القيامة يشهدون بما عمل ابن آدم من خير أو شر طاعة أو معصية حتى ان جوارحه تشهد عليه والارض تشهد للمؤمن والزاهد

فتقول صلى على وصام وحج وجاهد فيفرح المؤمن والزاهد وتشهد على الكافر والعاصى فتقول أشرك على وزنى وشرب الخمر وأكل الحرام فيا ويله ان ناقشه فى الحساب ارحم الراحمين * المؤمن هو الذى يخاف الله تعالى بجميع جوارحه كما قال الفقيه أبو الليث علامة خوف الله تعالى تظهر فى سبعة أشياء أولها لسانه فيمنعه من الكذب والغيبة والنميمة والبهتان وكلام الفضول ويجعله مشغولا بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ومذاكرة العلم والثانى قلبه فيخرج منه العداوة والبهتان وحسد الاخوان لان الحسد يمحو الحسنات كما قال صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب واعلم ان الحسد من الامراض العظيمة فى القلوب ولا تداوى أمراض القلوب الا بالعلم والعمل والثالث نظره فلا ينظر الى الحرام من الاكل والشرب والكسوة وغيرها ولا الى الدنيا بالرغبة بل يكون نظره على وجه الاعتبار ولا ينظر الى ما لا يحل له كما قال صلى الله عليه وسلم من ملأ عينه من الحرام ملأ الله تعالى يوم القيامة عينه من النار والرابع بطنه فلا يدخل بطنه حراما فانه اثم كبير كما قال صلى الله عليه وسلم اذا وقعت لقمة من الحرام فى بطن ابن آدم لعنه كل ملك فى الارض والسماء ما دامت تلك اللقمة فى بطنه وان مات على تلك الحالة فمأواه جهنم والخامس يده فلا يمد يده الى الحرام بل يمدها الى ما فيه طاعة الله تعالى وروى عن كعب الاحبار انه قال ان الله تعالى خلق دارا من زبرجدة خضراء فيها سبعون ألف دار فى كل دار سبعون ألف بيت لا ينزلها الا رجل يعرض عليه الحرام فيتركه من مخافة الله تعالى والسادس قدمه فلا يمشى فى معصية الله بل يمشى فى طاعته ورضاه والى صحبة العلماء والصلحاء والسابع طاعته فيجعل طاعته خالصة لوجه الله تعالى ويخاف من الرياء والنفاق فاذا فعل ذلك فهو من الذين قال الله تعالى فى حقهم والآخرة عند ربك للمتقين وقال فى آية أخرى ان المتقين فى جنات وعيون وقال الله تعالى ان المتقين فى جنات ونعيم وقال الله تعالى ان المتقين فى مقام أمين كأنه تعالى يقول انهم ينجون يوم القيامة من النار وينبغى للمؤمن ان يكون بين الخوف والرجاء فيرجو رحمة الله ولا ييأس منها كما قال الله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله ويعبد الله ويرجع عن أفعاله القبيحة ويتوب الى الله تعالى *(حكاية)* بينما داود عليه السلام جالس فى صومعته يتلو الزبور اذ رأى دودة حمراء فى التراب فقال فى نفسه ما أراد الله فى هذه الدودة فأذن الله للدودة حتى تكلمت فقالت يا نبى الله أما نهارى فألهمنى ربى ان أقول فى كل يوم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ألف مرة وأما ليلى فألهمنى ربى ان أقول فى كل ليلة اللهم صل على محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم ألف مرة فأنت ما تقول حتى أستفيد منك فندم داود عليه السلام على احتقار الدودة وخاف من الله تعالى وتاب اليه وتوكل عليه (وكان) ابراهيم الخليل صلوات الله عليه اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا فى ميل فأرسل الله اليه جبريل فأتاه فقال له الجبار يقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله فقال يا جبريل اذا ذكرت خطيئتى وفكرت فى عقوبته نسيت خلتى فهذه أحوال الانبياء والاولياء والصالحين والزاهدين فتأمل

(الباب الثانى فى الخوف من الله تعالى أيضا)

قال أبو الليث رحمه الله تعالى ان لله ملائكة فى السماء السابعة سجدا منذ خلقهم الله تعالى الى

يوم القيامة ترتعد فرائصهم من مخافة الله تعالى واذا كانوا يوم القيامة رفعوا رؤسهم فقالوا سبحانك ماعبدناك حق عبادتك وذلك قوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون يعنى لايعصون الله تعالى طرفة عين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جسد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة ورقها *(حكى)* ان رجلا تعلق قلبه بامرأة فخرجت تلك المرأة الى حاجة لها فذهب الرجل معها فلما خلا بها فى البادية ونام الناس أفشى الرجل سره اليها فقالت له المرأة انظر أنام الناس بأجمعهم ففرح الرجل بقولها وظن انها قد أجابته فقام وطاف حول القافلة فاذا الناس نيام فرجع اليها وقال انهم هم نيام فقالت ماتقول فى الله تعالى أنائم فى هذه الساعة فقال الرجل ان الله تعالى لاينام ولاتأخذه سنة ولانوم فقالت المرأة ان الذى لم ينم ولاينام يرانا وان كان الناس لايرونا فذلك أولى ان يخاف منه فتركها الرجل خوفا من الخالق وتاب ورجع الى وطنه فلما توفى رأوه فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال غفرلى بخوفى وتركى ذلك الذنب *(حكاية)* كان فى بنى اسرائيل رجل عابد ذو عيال وأصابته المجاعة وصار مضطرا فبعث امرأته لتطلب شيأ لعيالها فجاءت الى بيت رجل تاجر وطلبت منه ماتقوت به عيالها فقال الرجل نعم ولكن مكنينى من نفسك فسكتت المرأة وعادت الى بيتها فنظرت الى عيالها يصيحون ويقولون ياأمى نحن نموت من الجوع أعطينا مانأكله فذهبت الى الرجل وكلمته فى أمر عيالها فقال لها أتكون حاجتى مقضية فقالت نعم فلما خلا بها ارتعدت مفاصلها حتى كادت أعضاؤها تزول عن مواضعها فقال لها مالك فقالت انى أخاف الله فقال الرجل انك تخافين الله تعالى مع مابك من الفقر فأنا أحق بالخوف منك وامتنع عنها وقضى حاجتها وانصرفت بنعمة كثيرة الى أولادها ففرحوا فأوحى الله الى موسى عليه السلام أن قل لفلان بن فلان انى قد غفرت ذنوبه فجاء موسى عليه السلام فقال لعلك قد فعلت خيرا بينك وبين الله فذكر القصة عليه فقال ان الله تعالى قد غفرلك ماكان من ذنوبك كذا فى مجمع اللطائف وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى لاأجمع على عبدى خوفين ولاأمنين من خافنى فى الدنيا امنته فى الآخرة ومن أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة وقال الله تعالى فلا تخشوا الناس واخشونى وقال فى آية أخرى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وكان عمر رضى الله عنه يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه وأخذ يوما تبنة فقال ياليتنى كنت تبنة ولم أك شيأ مذكورا ياليتنى لم تلدنى أمى ويبكى كثيرا حتى تجرى دموعه من عينيه فكان فى وجهه خطان أسودان من الدموع وقال صلى الله عليه وسلم لايلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع (وفى رقائق الاخبار) يؤتى بعبد يوم القيامة فترجح سيآته فيؤمر به الى النار فتتكلم شعرة من شعرات عينيه وتقول يارب رسولك محمد صلى الله عليه وسلم قال من بكى من خشية الله حرّم الله تلك العين على النار وانى بكيت من خشيتك فيغفر الله له ويستخلصه من النار ببركة شعرة واحدة كانت تبكى من خشية الله فى الدنيا وينادى جبريل عليه السلام نجا فلان بن فلان بشعرة واحدة وفى بداية الهداية اذا كان يوم القيامة جىء بجهنم تزفر زفرة فتجثو كل أمة على ركبها من هولها كما قال الله تعالى وترى كل أمة جاثية أى على الركب كل أمة تدعى الى كتابها فاذا أتوا النار سمعوا لها تغيظا وزفيرا تسمع زفرتها من مسيرة خمسمائة عام

وكل

وكل واحد حتى الانبياء يقول نفسى نفسى الا صفىّ الانبياء صلى الله عليه وسلم فانه يقول أمتى أمتى وتخرج من الجحيم نار مثل الجبال فتجتهد أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى دفعها وتقول يانار بحق المصلين وبحق المصدّقين وبحق الخاشعين وبحق الصائمين أن ترجعى فلا ترجع وينادى جبريل عليه السلام ان النار قد قصدت أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يأتى بقدح من ماء فيناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول يارسول الله خذ هذا فرشه عليها فيرشه عليها فتطفأ فى الحال فيقول صلى الله عليه وسلم ماهذا الماء فيقول جبريل عليه السلام هذا ماء دموع عصاة أمتك الذين بكوا من خشية الله تعالى فالآن أمرت ان أعطيكه لترشه على النار فتطفأ النار باذن الله تعالى وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهمّ ارزقنى عينين تبكيان من خشيتك قبل ان يكون الدمع

أعينىّ هلا تبكيان على ذنبى * تناثر عمرى من يدىّ ولاأدرى

وجاء فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم مامن عبد مؤمن يخرج من عينيه من الدموع مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى فيصيب حرّ وجهه فتمسه النار أبدا (حكى) عن محمد بن المنذر رحمه الله تعالى انه كان اذا بكى يمسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول بلغنى ان النار لاتأكل موضعا مسته الدموع فينبغى للمؤمن ان يخاف من عذاب الله وينهى نفسه عن الشهوات النفسانية كما قال الله تعالى فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى ومن أراد ان ينجو من عذاب الله وينال ثوابه ورحمته فليصبر على شدائد الدنيا وطاعة الله ويجتنب المعاصى (وفى زهر الرياض) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا دخل أهل الجنة الجنة تتلقاهم الملائكة بكل خير ونعمة فتوضع لهم المنابر وتفرش ويؤتى لهم بألوان الاطعمة والفواكه ثم تكون فيهم مع هذه النعمة حيرة فيقول الله ياعبادى ماهذه الحيرة وليست هذه دار حيرة فيقولون ان لنا موعدا قد جاء وقته فيقول الله تعالى للملائكة ارفعوا الحجب عن الوجوه فتقول الملائكة يا ربنا كيف يرونك وقد كانوا عصاة فيقول الله تعالى ارفعوا الحجب فانهم كانوا ذاكرين ساجدين باكين فى الدنيا طمعا فى لقائى فترفع الحجب فينظرون فيخرون سجدا لله عز وجل فيقول الله تعالى ارفعوا رؤسكم فان هذه ليست بدار العمل بل دار الكرامة فيتجلى لهم بلاكيف ويقول لهم انبساطا سلام عليكم عبادى فقد رضيت عنكم فهل رضيتم عنى فيقولون ومالنا يا ربنا لانرضى وقد اعطيتنا مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر وهو قوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه وقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم

*(الباب الثالث فى الصبر والمرض)

من أراد أن ينجو من عذاب الله وينال ثوابه ورحمته ويدخل جنته فليمنع نفسه عن شهوات الدنيا وليصبر على شدائدها ومصائبها كما قال الله تعالى والله يحب الصابرين والصبر على أوجه صبر على طاعة الله وصبر عن محارمه وصبر على المصيبة وعند الصدمة الاولى فمن صبر على طاعة الله تعالى أعطاه الله تعالى يوم القيامة ثلثمائة درجة فى الجنة كل درجة مابين السماء والارض ومن صبر عن محارم الله أعطاه الله يوم القيامة ستمائة درجة كل درجة مثل مابين السماء السابعة

والارض السابعة ومن صبر على المصيبة أعطاه الله تعالى يوم القيامة سبعمائة درجة فى الجنة
كل درجة ما بين العرش الى الثرى (حكى) ان زكريا عليه السلام هرب من اليهود فقفوا أثره
فلما دنوا منه رأى شجرة فقال لها يا شجرة أدخلينى فيك فانشقت الشجرة فدخل فيها ثم التامت
عليه فاشار عليهم ابليس أن يأتوا بالمنشار و يشقوها نصفين حتى يموت فيها ففعلوا كما قال ابليس
وذلك حيث اعتصم بالشجرة ولم يعتصم بالله فأورثه ذلك هلاك نفسه فنشر بالمنشار على فرقين كما
روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى ما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بى الا
أعطيته قبل ان يسألنى واستجبت له قبل أن يدعونى وما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بمخلوق دونى
الا أغلقت أبواب السماء عليه فلما بلغ المنشار الى دماغه صاح فقيل له يا زكريا ان الله يقول لك لم لا
تصبر للبلاء تقول آه لو قلتها مرة ثانية لاخرج اسمك من ديوان الانبياء فعض زكريا شفتيه وصبر
حتى شقوه نصفين فيجب على العاقل ان يصبر للبلاء ولا يشكو فينجو من عذاب الدنيا والآخرة
لان أشد البلاء على الانبياء والاولياء قال الجنيد البغدادى رحمه الله البلاء سراج العارفين
و يقظة المريدين وصلاح المؤمنين وهلاك الغافلين لا يجد أحد حلاوة الايمان حتى يأتيه
البلاء ويرضى و يصبر قال صلى الله عليه وسلم من مرض ليلة فصبر ورضى عن الله تعالى خرج من
ذنوبه كيوم ولدته أمه فاذا مرضتم فلا تتمنوا العافية قال الضحاك من لم يبتل بين كل أربعين ليلة
ببلية أوهم أو مصيبة فليس له عند الله خير عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال اذا ابتلى الله العبد
المؤمن بالسقم قال لصاحب الشمال ارفع القلم عنه وقال لصاحب اليمين اكتب لعبدى أحسن
ما كان يعمل وجاء فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد بعث الله اليه ملكين
فقال انظرا ما يقول عبدى فان هو قال الحمد لله رفع ذلك الى الله وهو أعلم فيقول لعبدى على
ان أنا توفيته ان أدخله الجنة وان أنا شفيته ان أبدله لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان
أكفر عنه سيآته (حكى) أنه كان فى بنى اسرائيل رجل فاسق وكان لا يمتنع عن الفسق حتى ضج
أهل بلده وعجزوا عن منعه عن فسقه فتضرعوا الى الله تعالى فأوحى الله تعالى الى موسى عليه
السلام ان فى بنى اسرائيل شابا فاسقا فأخرجه من بلدهم حتى لا تقع عليهم النار بسبب فسقه
فجاء موسى عليه السلام فاخرجه فذهب الشاب الى قرية من القرى فأمر الله موسى ان يخرجه
من تلك القرية فاخرجه موسى عليه السلام فخرج الى مغارة ليس فيها خلق ولا زرع ولا وحوش
ولا طيور فمرض فى تلك المغارة وليس عنده معين يعينه فوقع على التراب ووضع رأسه عليه
وقال لو كانت والدتى عند رأسى لرحمتنى ولبكت على مذلتى ولو كان والدى حاضرا لاعاننى وتولى
أمرى ولو كانت زوجتى حاضرة لبكت على فراقى ولو كان أولادى حاضرين عندى لبكوا خلف
جنازتى ولقالوا اللهم اغفر لوالدنا الغريب الضعيف العاصى الفاسق المطرود من بلده الى قرية
ومن القرية الى مغارة ومن المغارة يخرج من الدنيا الى الآخرة آيسا من كل الاشياء اللهم قطعتنى
عن والدى وأولادى وزوجتى فلا تقطعنى من رحمتك فانك أحرقت قلبى بفراقهم فلا تحرقنى
بنارك لاجل معصيتى فأرسل الله تعالى له حوراء على صفة أمه وحوراء على صفة زوجته وغلمانا
على صفة أولاده وملكا على صفة والده فجلسوا عنده وبكوا عليه فقال ان هذا والدى
ووالدتى وزوجتى وأولادى حضروا عندى وطاب قلبه ووصل الى رحمة الله تعالى طاهرا مغفورا له

فاوحى

فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اذهب الى مغارة كذا وموضع كذا فانه مات فيه ولى من
الاولياء فاحضره وتول أمره ووراه فلما حضر موسى عليه السلام ذلك الموضع رأى الشاب الذى
كان أخرجه من البلد ومن القرية بأمر الله تعالى ورأى الحور العين حواليه فقال موسى عليه
السلام يا رب أما هذا الشاب الذى أخرجته من البلد ومن القرية بأمرك فقال الله تعالى
يا موسى انى رحمته وتجاوزت عنه بأنينه فى موضعه وفراقه وطنه ووالدته ووالده وأولاده وزوجته
وأرسلت اليه حوراء على صفة والدته وملكا على صفة والده وحوراء على صفة زوجته يترحمون
على مذلته فى غربته فانه اذا مات الغريب بكى عليه أهل السموات وأهل الارض رحمة له فكيف
لا أرحمه وأنا أرحم الراحمين* اذا وقع الغريب فى النزع يقول الله تعالى يا ملائكتى هذا غريب
مسافر ترك أولاده وعياله ووالديه واذا مات لا يبكى عليه أحد ولا يحزن ثم يجعل الله واحدا من
الملائكة على صورة أبيه وواحدا على صورة أمه وواحدا على صورة ولده وواحدا على صورة
واحد من أقاربه فيدخلون عليه فيفتح عينيه فيرى والديه وعياله فيطيب قلبه وتخرج روحه مع
الفرح والسرور ثم اذا خرجت جنازته يشيعونها ويدعون له على قبره الى يوم القيامة فذلك قوله
تعالى الله لطيف بعباده (وقال ابن عطاء) يتبين صدق العبد من كذبه فى أوقات البلاء والرخاء
فمن شكر فى أيام الرخاء وجزع فى أيام البلاء فهو من الكاذبين ولو اجتمع فى رجل علم الثقلين ثم
هاجت عليه رياح البلاء فأظهر الشكوى لما نزل به لا ينفعه علمه ولا عمله كما جاء فى الحديث القدسى
يقول الله تعالى من لم يرض بقضائى ولم يشكر لعطائى فليطلب ربا سواى (حكى وهب بن منبه)
ان نبيا عبد الله خمسين عاما فأوحى الله اليه انى قد غفرت لك فقال يا رب لماذا تغفر لى ولم أذنب
قط فأمر الله عرقه فضرب عليه ولم ينم تلك الليلة فجاء ملك الصبح فشكا اليه مالقى من ضربان
العرق فقال ان ربك يقول لك عبادة خمسين عاما ما تعدل شكوى هذا العرق

(الباب الرابع فى الرياضة والشهوة النفسانية)

أوحى الله الى موسى عليه السلام يا موسى ان أردت أن أكون أقرب اليك من كلامك الى لسانك
ومن وسوسة قلبك ومن روحك الى بدنك ومن نور بصرك الى عينك ومن سمعك الى أذنك فاكثر
من الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى ولتنظر نفس ما قدمت لغد يعنى ما عملت فى يوم
القيامة اعلم أيها الانسان ان النفس الامارة بالسوء هى أعدى لك من ابليس وانما يتقوى عليك
الشيطان بهوى النفس وشهواتها فلا تغرنك نفسك بالامانى والغرور لان من طبع النفس الامن
والغفلة والراحة والفترة والكسل فدعواها باطل وكل شئ منها غرور وان رضيت عنها واتبعت
أمرها هلكت وان غفلت عن محاسبتها اغرقت وان عجزت عن مخالفتها واتبعت هواها قادتك
الى النار وليس للنفس مرجوع الى الخير وهى رأس البلايا ومعدن الفضيحة وهى خزانة ابليس
ومأوى كل شر لا يعرفها الا خالقها واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون يعنى من الخير والشر واذا
تفكر العبد فيما مضى من عمره فى طلب آخرته كان هذا التفكر غسل القلب كما قال صلى الله عليه
وسلم تفكر ساعة خير من عبادة سنة كذا فى تفسير أبى الليث فينبغى للعاقل أن يتوب من الذنوب
الماضية ويتفكر فيما يقربه و ينجو به فى الدار الآخرة ويقصر الامل ويعجل التوبة ويذكر

الله تعالى ويترك المناهي ويصبر نفسه ولا يتبع الشهوات النفسانية فالنفس صنم فمن عبد النفس فهو يعبد الصنم ومن عبد الله بالاخلاص فهو الذي قهر نفسه (روى) انّ مالك بن دينار كان يمشي في سوق البصرة فرأى التين فاشتهاه فخلع نعله وأعطاه الى البقال وقال أعطني التين فرأى البقال النعل وقال لا يساوي شيأ فمضى مالك فقيل للبقال أليس تعرف من هذا قال لا قيل هو مالك بن دينار فحمل البقال الطبق على رأس غلامه وقال له ان قبل هذا منك فأنت حرّ فعدا الغلام خلف مالك بن دينار وقال له اقبل هذا مني فأبى فقال اقبل فانّ فيه تحريري فقال له مالك ان كان فيه تحريرك ففيه تعذيبي فألح الغلام عليه فقال مالك بن دينار حلفت أن لا أبيع الدين بالتين ولا آكل التين الى يوم الدين *(حكى)* انّ مالك بن دينار مرض مرضه الذي مات فيه فاشتهى قدحا من العسل واللبن ليثرد فيه رغيفا حارا فمضى الخادم وحمله اليه فأخذه مالك بن دينار ونظر فيه ساعة وقال يا نفس قد صبرت ثلاثين سنة وقد بقي من عمرك ساعة ورمى القدح من يديه وصبر نفسه ومات وهكذا أحوال الانبياء والاولياء والصادقين والعاشقين والزاهدين قال سليمان بن داود عليه السلام انّ القاهر لنفسه أشدّ ممن يفتح المدينة وحده وقال علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ما أنا ونفسي الا كراعي غنم كلما ضمها من جانب انتشرت من جانب آخر من أمات نفسه يلف في كفن الرحمة ويدفن في أرض الكرامة ومن أمات قلبه يموت في كفن اللعنة ويدفن في أرض العقوبة (قال) يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى جاهد نفسك بالطاعة والرياضة فالرياضة هجر المنام وقلة الكلام وحمل الاذى من الانام والقلة من الطعام فيتولد من قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات ومن قلة الطعام موت الشهوات لانّ في كثرة الاكل قسوة القلب وذهاب نوره نور الحكمة الجوع والشبع يبعد من الله كما قال صلى الله عليه وسلم نوّروا قلوبكم بالجوع وجاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش وأديموا قرع باب الجنة بالجوع فانّ الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وانه ليس من عمل أحب الى الله تعالى من جوع وعطش ولن يلج ملكوت السماء من ملأ بطنه وفقد حلاوة العبادات (قال) أبو بكر الصديق رضى الله عنه ما شبعت منذ أسلمت لاجد حلاوة عبادة ربي وما رويت منذ أسلمت اشتياقا الى لقاء ربي لانّ في كثرة الاكل قلة العبادة لانه اذا أكثر الانسان الاكل ثقل بدنه وغلبته عيناه وفترت أعضاؤه فلا يجيء منه شيء وان اجتهد الا النوم فيكون كالجيفة الملقاة كذا في منهاج العابدين (عن لقمان الحكيم) انه قال لابنه لا تكثر النوم والاكل فانّ من أكثر منهما جاء يوم القيامة مفلسا من الاعمال الصالحة كذا في منية المفتي وقال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فانّ القلب يموت كالزرع اذا كثر عليه الماء ولقد شبه ذلك بعض الصالحين بانّ المعدة كالقدر تحت القلب تغلي والبخار يصل اليه فكثرة البخار تكدره وتسوّده وفي كثرة الاكل قلة الفهم والعلم فانّ البطنة تذهب الفطنة (حكى) عن يحيى بن زكريا عليه السلام انّ ابليس بدا له وعليه معاليق فقال له يحيى ما هذه قال الشهوات التي أصيد بها بني آدم قال يحيى هل تجد لي فيها شيأ قال لا الا انك شبعت ذات ليلة فثقلناك عن الصلاة قال يحيى عليه السلام لا جرم اني لا أشبع بعدها أبدا فقال ابليس لا جرم اني لا أنصح أحدا أبدا فهذه فيمن لم يشبع في عمره الا ليلة

فكيف بمن لا يجوع في عمره ليلة ثم يطمع في العبادة (حكى) أيضا عن يحيى بن زكريا عليه السلام انه شبع مرّة من خبز شعير فنام تلك الليلة عن ورده فأوحى الله تعالى اليه يا يحيى هل وجدت دارا هي خير لك من داري أو وجدت جوارا هو خير لك من جواري وعزتي وجلالي لو اطلعت على الفردوس واطلعت على جهنم اطلاعة لبكيت الصديد بدل الدموع وللبست الحديد بدل المسوح

(الباب الخامس في غلبة النفس وعداوة الشيطان)

ينبغي للعاقل أن يقمع شهوة النفس بالجوع اذ الجوع قهر لعدوّ الله فانّ وسيلة الشيطان الشهوات والاكل والشرب كما قال صلى الله عليه وسلم انّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع انّ أقرب الناس الى الله تعالى يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها أخرج آدم وحوّاء من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهاهما ربهما عن أكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى أكلا فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات (وقال بعض الحكماء) من استولت عليه النفس صار أسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هفواتها ومنعت قلبه من الفوائد من سقى أرض الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجرة الندامة انّ الله تعالى خلق الخلق على ثلاثة ضروب خلق الملائكة وركب فيهم العقل ولم يركب فيهم الشهوة وخلق البهائم وركب فيها الشهوة ولم يركب فيها العقل وخلق ابن آدم وركب فيه العقل والشهوة فمن غلبت شهوته عقله فالبهائم خير منه ومن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة *(حكاية) قال ابراهيم الخوّاص كنت في جبل اللكام فرأيت رمانا فاشتهيته فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمعت عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال لي وعليك السلام يا ابراهيم فقلت من أين عرفتني فقال من عرف الله لا يخفى عليه شيء فقلت أرى لك مع الله حالا فهلا سألته أن يحميك من هذه الزنابير فقال وانى أرى لك مع الله حالا فهلا سألته أن يحميك من شهوة الرمان فانّ الرمان يجد الانسان ألمه في الآخرة ولذع الزنابير يجد ألمه في الدنيا ولذع الزنابير على النفوس ولذع الشهوات على القلوب فمضيت وتركته * الشهوة تصير الملوك عبيدا والصبر يصير العبيد ملوكا ألا ترى الى قصة يوسف عليه السلام وزليخا فقد صار يوسف سلطان مصر بصبره وصارت زليخا ذليلة حقيرة فقيرة عجوزا عمياء لاجل شهوتها فانّ زليخا لم تصبر عن محبة يوسف (حكى) أبو الحسن الرازي انه رأى والده في منامه بعد موته بسنتين وعليه ثياب من القطران فقال له يا أبي مالي أرى عليك هيئة أهل النار فقال يا ولدي جذبتني نفسي الى النار فاحذر يا ولدي من خديعة نفسك .

انى ابتليت بأربع ما سلطوا * الا لشدة شقوتي وعنائي
ابليس والدنيا ونفسي والهوى * كيف الخلاص وكلهم أعدائي
وأرى الهوى تدعو اليه خواطري * في ظلمة الشهوات والآراء

قال حاتم الاصم رحمه الله نفسي رباطي وعلمي سلاحي وذنبي خيبتي والشيطان عدوّي وأنا نفسي

غادر (حكى عن بعض أهل المعرفة) انه قال الجهاد على ثلاثة أصناف جهاد مع الكفار وهو جهاد الظاهر كالذى فى قوله تعالى يجاهدون فى سبيل الله وجهاد مع أصحاب الباطل بالعلم والحجة كقوله تعالى وجادلهم بالتى هى أحسن وجهاد مع النفس الامارة بالسوء كالذى فى قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد جهاد النفس وان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا اذا رجعوا من جهاد الكفار يقولون رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وانما سموا الجهاد مع الهوى والنفس والشيطان أكبر لان الجهاد معها أدوم وجهاد الكفار يكون فى وقت دون وقت ولان الغازى يرى العدو ولا يرى الشيطان والجهاد مع عدو يراه أسهل من الجهاد مع عدو لا يراه ولان للشيطان معينا من نفسك وهو الهوى وليس للكافر من نفسك معين فلذلك كان أشد ولانك اذا قتلت الكافر تجد النصر والغنيمة وان قتلك الكافر تجد الشهادة والجنة ولا تقدر أن تقتل الشيطان وان قتلك الشيطان تقع فى عقوبة الرحمن كما قيل من فر منه فرسه فى الحرب يقع فى أيدى الكفار ومن فر منه الايمان يقع فى غضب الجبار نعوذ بالله منه ومن وقع فى أيدى الكفار لا تغل يده الى عنقه ولا تقيد رجله ولا يجوع بطنه ولا يعرى بدنه ومن وقع فى غضب الجبار يسود وجهه وتغل يده الى عنقه بالاغلال وتقيد رجله بقيود النار ويكون طعامه نارا وشرابه نارا ولباسه من نار

(الباب السادس فى الغفلة)

الغفلة تزيد الحسرة الغفلة تزيل النعمة وتحجب عن الخدمة الغفلة تزيد الحسد الغفلة تزيد الملامة والندامة حكى ان بعض الصالحين رأى استاذه فى المنام فسأله أى الحسرة أعظم عندكم فقال حسرة الغفلة وروى ان بعضهم رأى ذا النون المصرى فى منامه فقال له ما فعل الله بك فقال أوقفنى بين يديه وقال لى يا مدعى يا كذاب ادعيت محبتى ثم غفلت عنى

أنت فى غفلة وقلبك ساهى * ذهب العمر والذنوب كما هى

(حكى) ان رجلا من الصالحين رأى والده فى منامه فقال يا أبت كيف أنت وكيف حالك فقال له يا ولدى عشنا فى الدنيا غافلين ومتنا غافلين (وفى زهر الرياض) كان يعقوب عليه السلام مؤاخيا لملك الموت فزاره فقال له يعقوب يا ملك الموت أزائرا جئت أم قابضا روحى فقال بل زائرا قال فانى أسألك حاجة قال وما هى قال أن تعلمنى اذا دنا أجلى وأردت أن تقبض روحى فقال نعم أرسل اليك رسولين أو ثلاثة فلما انقضى أجله أتى اليه ملك الموت فقال أزائرا جئت أم لقبض روحى فقال لقبض روحك فقال أولست كنت أخبرتنى انك ترسل الى رسولين أو ثلاثة قال قد فعلت بياض شعرك بعد سواده وضعف بدنك بعد قوته وانحناء جسمك بعد استقامته هذه رسلى يا يعقوب الى بنى آدم قبل الموت

مضى الدهر والايام والذنب حاصل * وجاء رسول الموت والقلب غافل
نعيمك فى الدنيا غرور وحسرة * وعيشك فى الدنيا محال وباطل

(قال) أبو على الدقاق دخلت على رجل صالح أعوده وهو مريض وكان من المشايخ الكبار وحوله تلامذه وهو يبكى وقد بلغ أرذل العمر فقلت له أيها الشيخ مم بكاؤك أعلى الدنيا فقال كلا بل أبكى

على

على فوت صلاتى قلت وكيف ذلك وقد كنت مصليا قال لانى قد بقيت الى يومى هذا وما سجدت الا فى غفلة ولا رفعت رأسى الا فى غفلة وها أنا أموت على الغفلة ثم انه تنفس الصعداء وأنشأ يقول

تفكرت فى حشرى ويوم قيامتى * واصباح خدى فى المقابر ثاويا
فريدا وحيدا بعد عز ورفعة * رهينا بجرمى والتراب وساديا
تفكرت فى طول الحساب وعرضه * وذل مقامى حين أعطى كتابيا
ولكن رجائى فيك ربى وخالقى * بأنك تعفو يا الهى خطائيا

وفى عيون الاخبار ذكر عن شقيق البلخى انه قال الناس يقولون ثلاثة أقوال وقد خالفوها فى أفعالهم يقولون نحن عبيد الله وهم يعملون عمل الاحرار وهذا خلاف قولهم ويقولون ان الله كفيل بأرزاقنا ولا تطمئن قلوبهم الا بالدنيا وجمع حطامها وهذا أيضا خلاف قولهم ويقولون لا بد لنا من الموت وهم يعملون أعمال من لا يموت وهذا أيضا خلاف قولهم فانظر لنفسك يا أخى بأى بدن تقف بين يدى الله تعالى وبأى لسان تجيبه وماذا تقول اذا سألك عن القليل والكثير فأعد للسؤال جوابا وللجواب صوابا واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون اى من الخير والشر ثم وعظ المؤمنين بأن لا يتركوا أمره وبان يوحدوه فى السر والعلانية (جاء فى الخبر) عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مكتوب على ساق العرش أنا مطيع من أطاعنى ومحب من أحبنى ومجيب من دعانى وغافر لمن استغفرنى فينبغى للعاقل أن يطيع الله بالخوف والاخلاص فى طاعته والرضا بقضائه والصبر على بلائه وبالشكر على نعمائه والقناعة باعطائه يقول الله تعالى من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى ولم يشكر على نعمائى ولم يقنع بعطائى فيطلب ربا سوائى وقال رجل للحسن البصرى رحمه الله انى لا أجد للطاعة لذة فقال له لعلك نظرت فى وجه من لا يخاف الله العبودية أن تترك الاشياء كلها لله وقال رجل لابى يزيد رحمه الله انى لا أجد للطاعة لذة فقال لانك تعبد الطاعة لا تعبد الله اعبد الله حتى تجد للطاعة لذة (حكى) ان رجلا دخل فى الصلاة فلما انتهى الى قوله اياك نعبد خطر بباله انه عابد لله فى الحقيقة فنودى فى السر كذبت انما تعبد الخلق فتاب واعتزل الناس ثم شرع فى الصلاة فلما انتهى الى قوله اياك نعبد نودى كذبت انما تعبد مالك فتصدق بماله كله ثم شرع فى الصلاة فلما انتهى الى قوله اياك نعبد نودى كذبت انما تعبد ثيابك فتصدق بها الا ما لا بد له منه ثم شرع فيها فلما انتهى الى قوله اياك نعبد نودى الآن صدقت انما تعبد ربك (وفى رونق المجالس) ضاع لرجل جوالق فلم يدر من اخذه منه فلما دخل فى الصلاة تذكره فلما سلم قال لغلامه اذهب الى فلان بن فلان واسترد منه الجوالق فقال له الغلام متى ذكرته فقال حين كنت فى الصلاة فقال يا مولاى كنت طالب الجوالق لا طالب الخالق فأعتقه مولاه ببركة اعتقاده * فينبغى للعاقل أن يترك الدنيا ويعبد الله ويتفكر أمامه ويريد الآخرة كما قال الله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا أى ملاذها من لباسها وطعامها وشرابها نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب بأن ينزع من قلبه حب الآخرة ولذلك أنفق أبو بكر الصديق رضى الله عنه على النبى صلى الله عليه وسلم أربعين ألف دينار فى السر وأربعين ألف دينار فى العلانية حتى لم يبق له شىء وكان صلى الله عليه وسلم معرضا عن الدنيا وشهواتها ولذاتها وأهلها ولذلك كان جهاز السيدة الزهراء رضى الله عنها لما تزوجها

النبى صلى الله عليه وسلم من على جلد كبش مدبوغ ووسادة ادم حشوها ليف

(الباب السابع فى نسيان الله تعالى والفسق والنفاق)

جاءت امرأة الى الحسن البصرى رضى الله عنه فقالت انه كانت لى ابنة شابة فماتت وأحببت ان أراها فى المنام فجئتك كى تعلمنى ما استعين به على رؤيتها فعلمها فرأتها وعليها الباس من قطران وفى عنقها الغل وفى رجلها القيد فأخبرت الحسن بذلك فاغتم ومضت مدة ثم رآها الحسن فى الجنة وعلى رأسها تاج فقالت يا حسن أما تعرفنى أنا ابنة المرأة التى أتتك وقالت لك كذا فقال لها ما الذى صيرك الى ما أرى قالت مر بنا رجل فصلى على النبى صلى الله عليه وسلم مرة وكان فى المقبرة خمسمائة وخمسون انسانا فى العذاب فنودى ارفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل (نكتة) بصلاة رجل على محمد صلى الله عليه وسلم أصابتهم المغفرة فمن يصلى عليه منذ خمسين سنة أفلا يجد شفاعته يوم القيامة* قال الله تعالى (ولا تكونوا) أى فى المعصية (كالذين) يعنى كالمنافقين الذين (نسوا الله) يعنى تركوا أمر الله وفعلوا خلافه وتلذذوا بشهوات الدنيا وركنوا الى غرورها وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همه فى الصلاة والصيام والمنافق همه فى الطعام والشراب كالبهيمة وترك العبادة والصلاة والمؤمن مشغول بالصدقة وطلب المغفرة والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن آيس من كل أحد الا من الله والمنافق راج كل أحد الا الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن آمن من كل أحد الا من الله والمنافق خائف من كل أحد الا من الله والمؤمن يحسن ويبكى والمنافق يسىء ويضحك والمؤمن يحب الوحدة والخلوة والمنافق يحب الخلطة والملأ والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى سياسة دينية ويصلح والمنافق يأمر وينهى رياسة ويفسد بل يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف كما قال الله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم وقال تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا الآية يعنى ان ماتوا على كفرهم ونفاقهم فبدأ بالمنافقين لانهم شر من الكفار وجعل مأواهم جميعا النار وقال تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الآية والمنافق اشتقاقه فى اللغة من نافقاء اليربوع ويقال ان لليربوع جحرتين احداهما النافقاء والاخرى القاصعاء فيظهر نفسه فى احداهما ويخرج من الاخرى ولهذا سمى المنافق منافقا لانه يظهر من نفسه أنه مسلم ويخرج من الاسلام الى الكفر (وفى الحديث) مثل المنافق كمثل الشاة ترى بين قطيعين من الغنم تارة تسير الى هذا القطيع وتارة الى هذا القطيع ولا تسكن لواحد منهما الا انها غريبة ليست منهما وكذلك المنافق لا يستقر مع المسلمين بالكلية ولا مع الكافرين * ان الله خلق النار ولها سبعة أبواب كما قال الله تعالى لها سبعة أبواب الآية من حديد مطبقة باللعنة وعليها ظهارة النحاس وبطانة الرصاص فى أصلها العذاب وفوقها السخط وأرضها من نحاس وزجاج وحديد ورصاص النار من فوق أهلها والنار

من تحتهم والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم طبقاتها بعضها فوق بعض أعد للمنافقين منها الدرك الاسفل وجاء فى الخبر ان جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل صف لى النار وحرها فقال ان الله عز وجل خلق النار فأوقدها ألف عام حتى احمرت ثم أوقدها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقدها ألف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة والذى بعثك بالحق نبيا لو أن ثوبا من ثياب أهل النار ظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولو أن دلوا من شرابها اصب على ماء الارض جميعه لقتل من ذاقه ولو أن ذراعا من السلسلة التى ذكرها الله تعالى بقوله فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا الآية كل ذراع طوله من المشرق الى المغرب لووضع على جبال الدنيا لذابت ولو أن رجلا دخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الارض من نتن ريحه وسأل صلى الله عليه وسلم جبريل فقال يا جبريل صف لى ابواب جهنم أهى كأبوابنا هذه فقال يا رسول الله لا ولكنها اطباق بعضها أسفل من بعض من الباب الى الباب مسيرة سبعين سنة كل باب منها أشد حرا من الذى يليه بسبعين ضعفا وساله أيضا عن سكان هذه الابواب فقال أما الاسفل ففيه المنافقون واسمه الهاوية كما قال الله تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار والباب الثانى فيه المشركون واسمه الجحيم والباب الثالث فيه الصابئون واسمه سقر والباب الرابع فيه ابليس عليه اللعنة ومن تبعه من المجوس واسمه لظى والباب الخامس فيه اليهود واسمه الحطمة والباب السادس فيه النصارى واسمه السعير ثم أمسك جبريل عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تخبرنى عن سكان الباب السابع فقال جبريل يا محمد لا تسألنى عنه فقال له أخبرنى عنه فقال فيه أهل الكبائر من أمتك الذين ماتوا ولم يتوبوا (روى) أنه لما نزل قوله تعالى وان منكم الا واردها اشتد خوفه صلى الله عليه وسلم على أمته وبكى بكاء شديدا فالعارف بالله وبشدة سطوته وقهره يخافه خوفا شديدا ويبكى على نفسه وتفريطه قبل ان يرى هذه الشدائد ويعاين هذه الدار المخوفة المهولة وقبل ان تنهتك الاستار ويعرض على المنتقم الجبار ويؤمر به الى النار فكم من شيخ ينادى فى النار واشيبتاه وكم من شاب ينادى فى النار واشباباه وكم من امرأة فى النار تنادى وافضيحتاه واهتك ستراه وقد سودت وجوههم وأجسادهم وانكسرت ظهورهم فلا يكرم كبيرهم ولا يرحم صغيرهم ولا تستر نساؤهم اللهم اجرنا من النار ومن عذاب النار ومن كل عمل يقربنا الى النار وادخلنا الجنة مع الابرار برحمتك يا عزيز يا غفار اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا وأقلنا من عثراتنا ولا تفضحنا بين يديك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن فى التوبة)

التوبة واجبة على كل مسلم ومسلمة قال الله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا والامر للوجوب وقال تعالى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) يعنى عاهدوا الله ونبذوا كتابه وراء ظهورهم (فانساهم أنفسهم) يعنى انساهم حالهم حتى لم ينهوا انفسهم ولم يقدموا لها خيرا وقال صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه (أولئك هم الفاسقون) يعنى العاصون الناقضون عهدهم أى الخارجون عن طريق الهداية والرحمة والمغفرة والفاسق

على نوعين فاسق كافر وفاسق فاجر فالفاسق الكافر هو من لم يؤمن بالله ورسوله وخرج عن الهداية ودخل فى الضلالة كما قال الله تعالى فسق عن أمر ربه يعنى خرج عن طاعة أمر ربه بالايمان والفاسق الفاجر هو الذى يشرب الخمر ويأكل الحرام ويزنى ويعصى الله تعالى ويخرج من طريق العبادة ويدخل فى المعصية ولا يأتى بالشرك والفرق بينهما أن الفاسق الكافر لا يرجى غفرانه الا بالشهادة والتوبة قبل موته والفاسق الفاجر يرجى غفرانه بالتوبة والندامة قبل الموت فان كل معصية اصلها من الشهوة النفسانية يرجى غفرانها وكل معصية اصلها من الكبر لا يرجى غفرانها ومعصية ابليس كان أصلها من الكبر فينبغى لك ان تتوب من ذنوبك قبل الموت رجاء أن يقبلك الله كما قال الله تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيآت الآية يعنى يتجاوز عما عملوا بقبوله التوبة وقال صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له *(حكى) ان رجلا كان كلما أذنب يكتب ذنبه فى ديوان فاذنب يوما ذنبا فنشر ديوانه ليكتبه فيه فلم يجد فيه الا قوله تعالى فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات الآية يعنى يبدل مكان الشرك الايمان ومكان الزنا العفو ومكان المعصية العصمة والطاعة (وحكى) ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر وقتا من الاوقات من سكك المدينة فاستقبله شاب وهو حامل قارورة تحت ثيابه فقال عمر أيها الشاب ما الذى تحمل تحت ثيابك وكان فيها خمر فخجل الشاب أن يقول خمرا وقال فى سره الهى لا تخجلنى عند عمر ولا تفضحنى واسترنى عنده فلا أشرب الخمر أبدا ثم قال يا أمير المؤمنين الذى أحمل هو خل فقال أرنى حتى أراها فكشفها بين يديه فرآها عمر صارت خلا فانظر الى مخلوق تاب من خوف مخلوق فبدل الله سبحانه وتعالى خمره بالخل لما علم منه اخلاص التوبة فلو تاب العاصى المفلس عن الاعمال الفاسدة توبة نصوحا وندم على ذنبه بدل الله سبحانه وتعالى خمر سيآته بخل الطاعة *وذكر عن أبى هريرة رضى الله عنه قال خرجت ذات ليلة بعد ما صليت العشاء الآخرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا أنا بامرأة فى الطريق فقالت يا أبا هريرة انى ارتكبت ذنبا فهل لى من توبة فقلت وما ذنبك قالت انى زنيت وقتلت ولدى من الزنا فقلت لها هلكت وأهلكت والله ما لك من توبة فخرت مغشيا عليها فمضيت فقلت فى نفسى أفتى ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فرجعت اليه فأخبرته بذلك فقال هلكت وأهلكت فأين أنت من هذه الآية والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات الآية فخرجت وقلت من يدلنى على امرأة سألتنى مسئلة والصبيان يقولون جن أبو هريرة حتى أدركتها وأخبرتها بذلك فشهقت شهقة من السرور وقالت ان لى حديقة جعلتها صدقة لله ورسوله *(حكاية)* عن عتبة الغلام رحمه الله تعالى وكان من أهل الفسق والفجور مشهورا بالفساد وشرب الخمر فدخل يوما فى مجلس الحسن البصرى وهو يقرأ فى تفسير قوله تعالى ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله يعنى ألم يجئ وقت تخاف قلوبهم فوعظ الشيخ فى تفسير هذه الآية وعظا بليغا حتى أبكى الناس فقام من بينهم شاب فقال يا تقى المؤمنين أيقبل الله تعالى الفاسق الفاجر مثلى اذا تاب فقال الشيخ نعم يقبل الله توبة فسقك وفجورك فلما سمع عتبة الغلام هذا الكلام اصفر وجهه وارتعدت فرائصه فصاح صيحة فخر مغشيا عليه فلما أفاق دنا منه الحسن وقال هذه الابيات

أيا شابا لرب العرش عاصى * أتدرى ما جزاء ذوى المعاصى
سعير للعصاة لها زفير * وغيظ يوم يؤخذ بالنواصى
فان تصبر على النيران فاعصه * والا كن عن العصيان قاصى
وفيما قد كسبت من الخطايا * رهنت النفس فاجهد فى الخلاص

فصاح عتبة صيحة عظيمة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال يا شيخ هل يقبل الرب الرحيم توبة مثلى اللئيم فقال الشيخ هل يقبل توبة العبد الجافى الا الرب المعافى ثم رفع رأسه ودعا ثلاث دعوات الاولى قال الهى ان كنت قبلت توبتى وغفرت ذنوبى فاكرمنى بالفهم والحفظ حتى أحفظ كل ما سمعت من العلم والقرآن والثانية قال الهى أكرمنى بحسن الصوت حتى ان كل من سمع قراءتى يزداد رقة فى قلبه وان كان قاسى القلب والثالثة قال الهى أكرمنى بالرزق الحلال وارزقنى من حيث لا أحتسب فاستجاب الله جميع دعائه حتى زاد فهمه وحفظه وكان اذا قرأ القرآن تاب كل من سمع قراءته وكان يوضع فى بيته كل يوم قصعة من المرق ورغيفان ولا يدرى أحد من يضعها وكان على هذه الحالة حتى فارق الدنيا وهذا حال من أناب الى الله تعالى لان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا *وسئل بعض العلماء هل يعرف العبد اذا تاب أن توبته قبلت أم ردت فقال لا احكم فى ذلك ولكن لذلك علامات أن يرى نفسه معصومة من المعصية ويرى الفرح عن قلبه غائبا والرب شاهدا ويقارب أهل الخير ويباعد أهل الفسق فيرى القليل من الدنيا كثيرا والكثير من عمل الآخرة قليلا ويرى قلبه مشتغلا بما فرض الله تعالى عليه ويكون حافظا للسانه دائم الفكرة ملازم الغم والندامة على ما فرط من ذنوبه

(الباب التاسع فى المحبة)

ذكر ان رجلا رأى صورة قبيحة فى البادية فقال من أنت قالت أنا عملك القبيح قالت فما النجاة منك قال الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم كما قال صلى الله عليه وسلم الصلاة على نور على الصراط ومن صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين عاما *(وحكى)* ان رجلا كان غافلا عن الصلاة على سيدنا محمد فرأى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة فى المنام ولم يلتفت اليه فقال يا رسول الله أأنت على غضبان قال لا قال فلم لا تنظر الى قال لانى لا أعرفك فقال كيف لا تعرفنى وانا رجل من أمتك وقد روى العلماء انك أعرف بامتك من الوالدة بالولد فقال صدقوا ولكن انك لا تذكرنى بالصلاة وان معرفتى بأمتى بقدر صلاتهم على ثم انتبه الرجل وأوجب على نفسه أن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم كل يوم مائة مرة ففعل ذلك ثم رآه بعد ذلك فى المنام فقال أعرفك الآن وأشفع لك اى لانه صار محبا لرسول الله انتهى *قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الآية سبب نزولها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا كعب بن الاشرف وأصحابه الى الاسلام قالوا نحن فى المنزلة أبناء الله ولنحن أشد حبا لله فقال الله تعالى لنبيه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى على دينى فانى رسول الله أؤدى رسالته اليكم وحجته عليكم يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم وحب المؤمنين لله اتباعهم أمره وايثار طاعته وابتغاء مرضاته وحب الله للمؤمنين ثناؤه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته وعصمته وتوفيقه قال

الامام فى احيائه من ادعى أربعا من غير أربع فهو كذاب من ادعى حب الجنة ولم يعمل بالطاعة فهو كذاب ومن ادعى حب النبى صلى الله عليه وسلم ولم يحب العلماء والفقراء فهو كذاب ومن ادعى الخوف من النار ولم يترك المعاصى فهو كذاب ومن ادعى حب الله تعالى وشكا من البلوى فهو كذاب كما قالت رابعة

تعصى الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وعلامة المحبة موافقة المحبوب واجتناب خلافه (حكى) ان جماعة دخلوا على الشبلى رحمه الله تعالى فقال من أنتم قالوا نحن أحباؤك فاقبل ثم رماهم بالحجارة فهربوا منه فقال لم تهربون منى لو كنتم أحبائى لما فررتم من بلائى ثم قال الشبلى رحمه الله أهل المحبة شربوا بكاس الوداد فضاقت عليهم الارض والبلاد وعرفوا الله حق معرفته وتاهوا فى عظمته وتحيروا فى قدرته وشربوا بكاس حبه وغرقوا فى بحر انسه وتلذذوا بمناجاته ثم انشد

ذكر المحبة يا مولاى أسكرنى * وهل رأيت محبا غير سكران

ويقال ان البعير اذا سكر لا يأكل العلف أربعين يوما ولو حمل عليه أضعاف ما يحمله لحمله لانه اذا هاج فى قلبه ذكر محبوبه لا يحب العلف ولا يعيا من الحمل الثقيل لاشتياقه الى محبوبه فاذا كان من شأن الابل ان تترك شهوتها وتحمل الحمل الثقيل لاجل محبوبها فهل أنتم تركتم شهوة محرمة لاجل الله وهل تركتم طعاما وشرابا لاجل الله تعالى وهل حملتم على أنفسكم حملا ثقيلا لاجل الله تعالى فان لم تفعلوا شيأ من الخيرات مما ذكرت فدعوا كم اسم بلا معنى لا تنفع فى الدنيا ولا فى العقبى ولا عند الخلق ولا عند الخالق وعن على كرم الله وجهه قال من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار نهى نفسه عن الشهوات ومن تيقن الموت هانت عليه اللذات (وسئل) ابراهيم الخواص عن المحبة فقال محو الارادات واحراق جميع الصفات والحاجات واغراق نفسه فى بحر الاشارات

(الباب العاشر فى العشق)

الحب عبارة عن ميل الطبع الى الشئ الملذ فان تأكد ذلك الميل وقوى سمى عشقا فيجاوز الى أن يكون رقيقا لمحبوبه وينفق ما يملك لاجله ألا ترى الى زليخا بلغ بها من محبة يوسف عليه السلام ان ذهب مالها وجمالها وكان لها من الجواهر والقلائد وقر سبعين جملا وقد أنفقتها كلها فى محبة يوسف وكل من قال رأيت يوسف اليوم أعطته قلادة تغنيه حتى لم يبق لها شئ وكانت تسمى كل شئ باسم يوسف وقد نسيت كل شئ سواه من فرط العشق واذا رفعت رأسها الى السماء رأت اسم يوسف مكتوبا على الكواكب وروى أنها لما آمنت وتزوجت به عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت الى الله تعالى فكان يدعوها الى فراشه نهارا فتدافعه الى الليل فاذا دعاها ليلا سوفت به الى النهار وقالت يا يوسف انما كنت أحبك قبل أن أعرفه فاما اذا عرفته فما أبقت محبته محبة لسواه وما أريد به بدلا حتى قال لها ان الله جل ذكره أمرنى بذلك وأخبرنى أنه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت أما اذا كان الله تعالى أمرك بذلك وجعلنى طريقا

اليه فطاعة لامر الله تعالى فعندها سكنت اليه (وحكى) أن مجنون ليلى قيل له ما اسمك قال ليلى وقيل له يوما أو ماتت ليلى قال ان ليلى فى قلبى لم تمت انا ليلى ومر يوما على دار ليلى فنظر الى السماء فقيل له يا مجنون لا تنظر الى السماء ولكن انظر الى جدار ليلى لعلك تراها قال أنا أكتفى بنجم يقع ظله على دار ليلى *(وحكى) عن منصور الحلاج رحمه الله تعالى انهم حبسوه ثمانية عشر يوما فجاءه الشبلى رضى الله عنه فقال يا منصور ما المحبة فقال لا تسألنى اليوم واسألنى غدا فلما جاء الغد وأخرجوه من السجن ونصبوا النطع لاجل قتله مر الشبلى بين يديه فنادى يا شبلى المحبة أولها حرق وآخرها قتل (اشارة) لما تحقق للحلاج رضى الله عنه فى نظره ان كل شئ ما خلا الله باطل وعلم ان الله هو الحق نسى عند تحقق اسم الحق اسم نفسه فسئل من أنت قال أنا الحق (روى) ان صدق المحبة فى ثلاث خصال أن يختار كلام حبيبه على كلام غيره ويختار مجالسة حبيبه على مجالسة غيره ويختار رضا حبيبه على رضا غيره كذا فى المنتهى وقيل العشق هتك الاستار وكشف الأسرار والوجد عجز الروح عن احتمال غلبة الشوق عند وجود حلاوة الذكر حتى لو قطع عضو من أعضائه لا يحس ولا يشعر (وحكى) ان رجلا كان يغتسل فى الفرات فسمع رجلا يقرأ وامتازوا اليوم أيها المجرمون فلم يزل يضطرب حتى غرق ومات وعن محمد بن عبد الله البغدادى قال رأيت فى البصرة شابا على سطح مرتفع قد أشرف على الناس وهو يقول من مات عاشقا فليمت هكذا لا خير فى عشق بلا موت ثم رمى بنفسه فحمل ميتا *قال الجنيد رحمه الله تعالى التصوف ترك الاختيار (وحكى) ان ذا النون المصرى رحمه الله دخل المسجد الحرام فرأى شابا عريانا مطروحا مريضا تحت اسطوانة وله أنين من قلب حزين قال فدنوت منه وسلمت عليه وقلت له من أنت يا غلام قال أنا غريب عاشق فعلمت ما يقول قلت وانا مثلك فبكى وبكيت أنا ببكائه قال أتبكى أنت فقلت أنا مثلك فبكى بأعلى صوته وصاح صيحة عظيمة عالية فخرجت روحه من ساعته فطرحت عليه ثوبى وخرجت من عنده لطلب الكفن فاشتريت الكفن ورجعت اليه فلم أجده فى مكانه فقلت سبحان الله فسمعت هاتفا يقول يا ذا النون ان هذا الغريب الذى طلبه الشيطان فى الدنيا فما وجده وطلبه مالك فلم يره وطلبه رضوان فى الجنة فما وجده قلت فأين هو قال فسمعت هاتفا يقول فى مقعد صدق عند مليك مقتدر بسبب محبته وكثرة طاعته وتعجيل توبته كذا فى زهر الرياض (وسئل) بعض المشايخ عن المحب فقال قليل الخلطة كثير الخلوة دائم الفكرة ظاهر الصمت لا يبصر اذا نظر ولا يسمع اذا نودى ولا يفهم اذا كلم ولا يحزن اذا أصيب بمصيبة واذا أصيب بجوع فلا يدرى ويعرى ولا يشعر ويشتم ولا يخشى ينظر الى الله تعالى فى خلوته ويأنس به ويناجيه ولا ينازع أهل الدنيا فى دنياهم وقد قال أبو تراب النخشبى فى علامات المحبة أبياتا

لا تخدعن فللحبيب دلائل * ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه * وسروره فى كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة * والفقر اكرام وبر عاجل
ومن الدلائل أن ترى من عزمه * طوع الحبيب وان ألح العاذل
ومن الدلائل أن يرى متبسما * والقلب فيه من الحبيب بلابل

ومن الدلائل أن يرى متفهما * لكلام من يحظى لديه السائل
ومن الدلائل أن يرى متقشفا * متحفظا من كل ماهو قائل

(حكاية) مرّ عيسى عليه السلام بشاب يسقى بستانا فقال الشاب لعيسى سل ربك أن يرزقنى من محبته مثقال ذرة فقال عيسى لا تطيق مقدار ذرة فقال نصف ذرة فقال عيسى عليه السلام يارب ارزقه نصف ذرة من محبتك فمضى عيسى عليه السلام فلما كان بعد مدة طويلة مرّ بمحل ذلك الشاب فسأل عنه فقالوا جن وذهب الى الجبال فدعا الله عيسى عليه السلام أن يريه اياه فرآه بين الجبال فوجده قائما على صخرة شاخصا طرفه الى السماء فسلم عليه عيسى عليه السلام فلم يرد عليه فقال أنا عيسى فأوحى الله تعالى الى عيسى كيف يسمع كلام الآدميين من كان فى قلبه مقدار نصف ذرة من محبتى فوعزتى وجلالى لو قطعته بالمنشار لما علم بذلك * من ادّعى ثلاثة ولم يتطهر من ثلاثة فهو مغرور أولها من ادّعى حلاوة ذكر الله وهو يحب الدنيا وثانيها من ادّعى محبة الاخلاص فى العمل ويحب تعظيم الناس له وثالثها من ادّعى محبة خالقه من غير اسقاط نفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيأتى زمان على أمتى يحبون خمسا وينسون خمسا يحبون الدنيا وينسون الآخرة ويحبون المال وينسون الحساب ويحبون الخلق وينسون الخالق ويحبون الذنوب وينسون التوبة ويحبون القصور وينسون المقبرة وقال منصور بن عمار لشاب يعظه يا شاب لا يغررك شبابك فكم من شاب أخر التوبة وأطال الامل ولم يذكر موته فقال انى أتوب غدا أو بعد غد فجاءه ملك الموت وهو غافل عن التوبة فصار فى جوف القبر لا ينفعه مال ولا عبد ولا ولد ولا أب ولا أم كما قال الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم اللهم ارزقنا التوبة قبل الموت ونبهنا عند الغفلة وانفعنا بشفاعة نبينا خير المرسلين صلى الله عليه وسلم صفة المؤمن أن يتوب من يومه وساعته ويندم على ما فعل من ذنوبه ويرضى بالقوت من الدنيا ولا يشتغل بالدنيا بل يشتغل بعمل الآخرة ويعبد الله تعالى بالاخلاص *(حكاية) كان رجل بخيل منافق حلف على زوجته بالطلاق أن لا تتصدق بصدقة فجاء سائل على باب داره وقال يا أهل الدار بحق الله الا أعطيتمونى شيأ فأعطته المرأة ثلاثة أرغفة فاستقبله المنافق وقال من أعطاك هذه الارغفة قال أعطونى من الدار الفلانية فكانت داره فدخل المنافق داره وقال لامرأته ألست قد حلفت عليك أن لا تعطى أحدا شيأ فقالت أعطيت لاجل الله عز وجل فذهب المنافق وأوقد التنور حتى حمى ثم قال قومى فألقى نفسك فى التنور لاجل الله فقامت المرأة وأخذت حليها فقال المنافق دعى الحلى فقالت المرأة الحبيب يتزين لحبيبه وأنا زائرة لحبيبى ثم ألقت نفسها فى التنور فاطبق المنافق عليها ومضى فلما تم لها ثلاثة أيام جاء المنافق ففتح عليها رأس التنور فرأى المرأة سالمة بقدرة الله تعالى فتعجب الرجل من تلك الحال فهتف به هاتف يقول أما علمت ان النار لا تحرق أحبابنا *(وحكى) ان آسية امرأة فرعون كانت تكتم ايمانها من فرعون فلما اطلع فرعون على ايمانها أمر بها أن تعذب فعذبوها بانواع العذاب وقال ارتدى فلم ترتد فاتى بأوتاد وضربوها على أعضائها ثم قال ارتدى فقالت انك تغلب نفسى وقلبى فى عصمة ربى لو قطعتنى اربا اربا ما ازددت الا حبا فمرّ موسى عليه السلام بين يديها فنادت موسى أخبرنى أراض عنى ربى ام ساخط قال موسى عليه السلام يا آسية ملائكة السموات فى انتظارك

أى مشتاقة اليك والله يباهى بك فاسالينى حاجتك فانها مقضية فقالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين وعن سلمان رضى الله عنه قال كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس فاذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة باجنحتها وكانت ترى بيتها فى الجنة وعن أبى هريرة ان فرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد وأضجعها وجعل على صدرها رحى واستقبل بها عين الشمس فرفعت رأسها الى السماء فقالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة الآية قال الحسن فنجاها الله أكرم نجاة ورفعها الى الجنة فهى تأكل وتشرب وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وديدن المؤمنين

(الباب الحادى عشر فى طاعة الله ومحبته ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم)

قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله اعلم رحمك الله أن محبة العبد لله ولرسوله طاعته لهما واتباعه أمرهما ومحبة الله للعباد انعامه عليهم بالغفران قيل العبد اذا علم أن الكمال الحقيقى ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه أو من غيره فهو من الله وبالله لم يكن حبه الا لله وفى الله وذلك يقتضى ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فى عبادته والحث على طاعته وعن الحسن قال أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد انا نحب ربنا فانزل الله هذه الآية وعن بشر الحافى رضى الله عنه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال يا بشر أتدرى بم رفعك الله من بين أقرانك قلت لا يا رسول الله قال بخدمتك للصالحين ونصيحتك لاخوانك ومحبتك لاصحابك وأهل سنتى واتباعك لسنتى قال صلى الله عليه وسلم من أحيا سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى يوم القيامة فى الجنة وجاء فى الآثار المشهورة ان المتمسك بسنة سيد الخلائق والمرسلين عند فساد الخلق واختلاف المذاهب له أجر مائة شهيد كذا فى شرعة الاسلام وقال كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى قالوا ومن أبى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى كل عمل ليس على سنتى فهو معصية وقال بعضهم لو رأيت شيخا يطير فى الهواء أو يمشى على البحر أو يأكل النار أو غير ذلك وهو يترك فرضا من فرائض الله تعالى أو سنة من السنن عامدا فاعلم انه كذاب فى دعواه وليس فعله كرامة بل هو استدراج نعوذ بالله منه قال الجنيد رحمه الله ما وصل أحد الى الله الا بالله والسبيل الى الوصول الى الله متابعة المصطفى صلى الله عليه وسلم وقال أحمد الحوارى رحمه الله كل عمل بغير اتباع السنة فباطل كما قال صلى الله عليه وسلم من ضيع سنتى حرمت عليه شفاعتى كذا فى شرعة الاسلام (حكى) أن رجلا رأى من بعض المجانين ما استجهله فيه فأخبر بذلك معروفا الكرخى رحمه الله فتبسم ثم قال يا أخى له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذى رأيته من مجانينهم (وحكى) عن الجنيد انه قال مرض استاذنا السرى رحمه الله فلم نعرف لعلته دواء ولا عرفنا لها سببا فوصف لنا طبيب حاذق فأخذنا قارورة مائه فنظر اليها الطبيب وجعل ينظر اليه مليا ثم قال أراه بول عاشق قال الجنيد فصعقت وغشى علىّ ووقعت القارورة من يدى ثم رجعت الى السرى فأخبرته

فتبسم ثم قال قاتله الله ما أبصره قلت يا أستاذ وتبين المحبة فى البول قال نعم قال الفضيل رحمه الله اذا قيل لك أتحب الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت وقال سفيان من أحب من يحب الله تعالى فانما أحب الله ومن أكرم من يكرم الله تعالى فانما يكرم الله تعالى وقال سهل رحمه الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبى صلى الله عليه وسلم وعلامة حبه صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها الا زادا وبلغة الى الآخرة قال أبو الحسن الزنجانى أصل العبادة على ثلاثة أركان العين والقلب واللسان فالعين بالعبرة والقلب بالفكرة واللسان بالصدق والتسبيح والذكر كما قال الله تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا يعنى غدوا وعشيا (حكى) ان عبد الله وأحمد بن حرب حضرا موضعا فقطع أحمد بن حرب قطعة من حشيش الارض فقال له عبد الله حصل عليك خمسة أشياء شغل قلبك به عن تسبيح مولاك وعودت نفسك الاشتغال بغير ذكر الله تعالى وجعلت ذلك طريقا يقتدى بك فيه ومنعته عن تسبيح ربه وألزمت نفسك حجة الله عز وجل يوم القيامة كذا فى رونق المجالس وعن السرى رضى الله عنه قال رأيت مع الجرجانى سويقا يستف منه فقلت لماذا لا تأكل طعاما غيره قال انى حسبت ما بين المضغ والاستفاف تسعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة وكان سهل بن عبد الله يأكل فى كل خمسة عشر يوما مرة فاذا دخل رمضان لم يأكل فيه الا أكلة واحدة ويصبر فى بعض الاوقات عن الطعام سبعين يوما وكان اذا أكل ضعف واذا جاع قوى وجاور أبو حماد الاسود فى المسجد الحرام ثلاثين سنة وما رؤى انه أكل أو شرب ولا يخلو ساعة من ذكر الله (وحكى) ان عمرو بن عبيد كان لا يخرج من منزله الا لثلاث للصلاة مع الجماعة ولعيادة المريض ولحضور الجنازة ويقول رأيت الناس سراقا وقطاعا للطريق العمر جوهر نفيس لا قيمة له فينبغى أن تملأ منه خزانة باقية فى الآخرة واعلموا بأن طالب الآخرة لا بد له من الزهد فى الحياة الدنيا ليصير همه هما واحدا ولا يفترق باطنه من ظاهره ولا يمكن حفظ الحال الا بضبط الظاهر والباطن قال الشبلى رحمه الله وكنت أول بدايتى اذا غلبنى النوم اكتحلت بالملح فاذا زاد على الامر أحمى الميل فأكتحل به (وحكى) عن ابراهيم بن الحاكم انه قال كان أبى اذا جاءه النوم دخل البحر فيسبح فتجتمع اليه حيتان البحر يسبحون معه (وحكى) أن وهب بن منبه دعا الله ان يرفع عنه النوم بالليل فذهب عنه النوم أربعين سنة وكان حسن الحلاج قيد نفسه من كعبه الى ركبته بثلاثة عشر قيدا وكان يصلى مع ذلك كل يوم وليلة ألف ركعة وكان الجنيد يأتى الى السوق فى بداية أمره فيفتح حانوته فيدخله ويسبل الستر فيصلى أربعمائة ركعة ثم يرجع الى بيته وصلى حبشى بن داود صلاة الغداة أربعين سنة على طهر العشاء فينبغى للمؤمن أن يكون دائما على الطهارة وكلما أحدث يتطهر ويصلى ركعتين ويجتهد أن يستقبل القبلة فى كل مجلسه ويصور فى نفسه انه جالس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قدر الحضور والمراقبة حتى يلازم السكينة والوقار فى الفعل ويحتمل الاذى ولا يقابل المسيء ويستغفر لكل مسيء ولا يعجب بنفسه ولا بعمله فان العجب من صفة الشيطان وينظر الى نفسه بعين الحقارة ويرى الصالحين بعين الاحترام والتعظيم فمن لم يعرف حرمة

الصالحين حرمه الله تعالى صحبتهم ومن لم يعرف حرمة الطاعة نزع من قلبه حلاوتها * سئل الفضيل ابن عياض فقيل له يا أبا على متى يكون الرجل صالحا قال اذا كانت النصيحة فى نيته والخوف فى قلبه والصدق فى لسانه والعمل الصالح فى جوارحه قال الله تعالى فى معراج النبى صلى الله عليه وسلم يا أحمد ان أحببت أن تكون أورع الناس فازهد فى الدنيا وارغب فى الآخرة فقال الهى كيف أزهد فى الدنيا فقال خذ من الدنيا بقدر الطعام والشراب واللباس ولا تدخر لغد ودم على ذكرى فقال يا رب كيف أدوم على ذكرك فقال بالخلوة عن الناس واجعل نومك الصلاة وطعامك الجوع وقال صلى الله عليه وسلم الزهد فى الدنيا يريح القلب والبدن والرغبة فيها تكثر الهم والحزن حب الدنيا رأس كل خطيئة والزهد فيها رأس كل خير وطاعة * (وحكى) ان بعض الصالحين مر على جماعة فاذا بطبيب يصف الداء والدواء فقال يا معالج الاجسام هل تعالج القلوب فقال الطبيب نعم صف لى داءه فقال قد أظلمته الذنوب فقسا وجفا فهل له من علاج فقال الطبيب علاجه التضرع والابتهال والاستغفار آناء الليل وأطراف النهار والمبادرة الى طاعة العزيز الغفار والاعتذار الى الملك الجبار فهذه معالجة القلوب والشفاء من علام الغيوب فصاح الرجل الصالح ومضى باكيا وقال نعم الطبيب أنت أصبت علاج قلبى فقال الطبيب هذا معالجة قلب من تاب ورجع بقلبه الى البر التواب * (وحكى) أن رجلا اشترى غلاما فقال الغلام يا مولاى ان لى معك ثلاثة شروط أحدها أن لا تمنعنى عن الصلاة المكتوبة اذا جاء وقتها والثانى أن تأمرنى بالنهار ما شئت ولا تأمرنى بالليل والثالث أن تجعل لى منزلا فى بيتك لا يدخله غيرى فقال له الرجل لك هذه الشروط ثم قال الرجل انظر فى البيوت فطاف الغلام فوجد فيها بيتا خرابا فقال أخذت هذا فقال يا غلام اخترت بيتا خرابا فقال الغلام يا مولاى أما علمت أن الخراب مع الله بستان فكان يخدم مولاه بالنهار ويتفرغ بالليل لعبادة ربه سبحانه وتعالى فبينما هو كذلك اذ طاف مولاه ذات ليلة فى الدار فبلغ حجرة الغلام فاذا هى منورة والغلام ساجد وعلى رأسه قنديل من النور معلق بين السماء والارض والغلام يناجى ربه ويتضرع ويقول الهى أوجبت على حق مولاى وخدمته بالنهار ولولا ذلك ما اشتغلت ليلى ولا نهارى الا بخدمتك فاعذرنى يا رب ومولاه ينظر اليه حتى انفجر الصبح ورد القنديل وانضم سقف البيت فرجع وأخبر امرأته بذلك فلما كانت الليلة الثانية أخذ بيد امرأته وجاء الى باب الحجرة فاذا الغلام فى السجود والقنديل على رأسه فوقفا على الباب ينظران اليه ويبكيان حتى أصبحا فدعا الغلام فقال له أنت عتيق لوجه الله تعالى حتى تتفرغ لعبادة من كنت تعتذر اليه فرفع الغلام يديه الى السماء وقال

يا صاحب السر ان السر قد ظهرا * ولا أريد حياتى بعد ما اشتهرا

ثم قال الهى أسألك الموت فخر الغلام ميتا هكذا أحوال الصالحين والعاشقين والطالبين وفى زهر الرياض ان موسى عليه السلام كان له صديق يأنس به فقال ذات يوم يا موسى ادع الله أن يعرفنى اياه حق معرفته فدعا موسى عليه السلام فاستجيب له فلحق صاحبه بالجبال مع الوحوش وفقده موسى فقال يا رب أخى ومؤنسى فقدته فقيل له يا موسى من عرفنى حق معرفتى لا يصحب مخلوقا أبدا وجاء فى الاخبار ان يحيى وعيسى عليهما السلام كانا يمشيان فى السوق فصدمتهما امرأة فقال يحيى والله ما شعرت بذلك فقال عيسى سبحان الله بدنك معى وقلبك أين قال يا ابن

الحالة لو اطمأن قلبي الى غير ربي طرفة عين لظننت انى ما عرفت الله ويقال صدق المعرفة أن يطلق الدنيا والعقبى ويتجرد للمولى وأن يسكر من شراب المحبة فلا يصحو الا عند الرؤية فهو على نور من ربه

(الباب الثانى عشر فى ذكر ابليس وعذابه)

قال الله سبحانه وتعالى فان تولوا أى أعرضوا عن طاعة الله ورسوله فان الله لا يحب الكافرين يعنى لا يغفر لهم ولا يقبل توبتهم كما لم يقبل توبة ابليس لكفره واستكباره وتاب على آدم عليه السلام وقبل توبته لانه أقر على نفسه بالذنب وندم عليه ولام نفسه وهذا وان لم يكن ذنبا حقيقة لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون لا تقع منهم المعصية أبدا لا قبل النبوة ولا بعدها على الصحيح لكنه على صورة الذنب ولذلك قال هو وحواء عليهما السلام ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فندم عليه السلام وأسرع بالتوبة ولم يقنط من رحمة الله تعالى كما قال الله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله وابليس لم يقر على نفسه بالذنوب ولم يندم عليها ولم يلم نفسه ولم يسرع بالتوبة وقنط من رحمة الله تعالى وتكبر فمن كان حاله مثل حال ابليس لم تقبل توبته ومن كان حاله مثل حال آدم قبل الله توبته لان كل معصية أصلها من الشهوة فانه يرجى غفرانها وكل معصية أصلها من الكبر فانه لا يرجى غفرانها ومعصية آدم أصلها من الشهوة ومعصية ابليس أصلها من الكبر (حكى) ان ابليس جاء الى موسى عليه السلام فقال له أنت الذى اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما فقال له موسى نعم فما الذى تريد يا هذا ومن أنت فقال ابليس يا موسى قل لربك خلق من خلقك قد سألك التوبة فأوحى الله الى موسى قل له انى قد استجبت لك فيما سألت ومره يا موسى أن يسجد لقبر آدم فاذا سجد له قبلت توبته وغفرت له ذنوبه فأخبره موسى فغضب ابليس واستكبر وقال يا موسى انا لم أسجد له فى الجنة فكيف أسجد له وهو ميت (روى) ان ابليس يشتد عليه العذاب فى النار فيقال له كيف وجدت عذاب الله فيقول أشد ما يكون فيقال له ان آدم فى رياض الجنة فاسجد له واعتذر حتى يغفر لك فيأبى فيشتد عليه العذاب بقدر عذاب أهل النار سبعين ألف ضعف وجاء فى الخبر ان الله تعالى يخرج ابليس من النار كل مائة ألف سنة ويخرج آدم ويأمره بالسجود له فيأبى ثم يرده الى النار اخوانى ان أردتم النجاة من ابليس فاعتصموا بالمولى واستعيذوا به * اذا كان يوم القيامة يوضع كرسى من النار فيقعد عليه ابليس عليه اللعنة فتجتمع الشياطين والكفار عنده وله صوت كصوت الحمار ينهق ويقول يا أهل النار كيف وجدتم اليوم ما وعد ربكم قالوا حقا ثم يقول هذا يوم أيست فيه من الرحمة فيأمر الله تعالى الملائكة أن يضربوه ومن تبعه بمقامع من نار فيهوون فيها أربعين سنة فلا يسمعون الامر بالخروج أبد الابد نعوذ بالله منها وردانه يؤتى بابليس يوم القيامة فيؤمر به أن يجلس على كرسى من نار وعلى عنقه طوق اللعنة ويأمر الله عز وجل الزبانية أن يجروه عن الكرسى ويلقوه فى النار فيتعلقون به لقوة فلا يقدرون ثم يأمر الله تعالى جبريل مع ثمانين ألف ملك بذلك فلا يقدرون ثم يأمر اسرافيل ثم عزرائيل أيضا ومع كل واحد منهم ثمانون ألف ملك فلا يقدرون فيقول الله تعالى لهم لو اجتمع عليه أضعاف ما خلقت

من الملائكة لما قدروا على أن ينقلوه وطوق اللعنة على عنقه (وروى) ان ابليس كان اسمه فى سماء الدنيا العابد وفى الثانية الزاهد وفى الثالثة العارف وفى الرابعة الولى وفى الخامسة التقى وفى السادسة الخازن وفى السابعة عزازيل وفى اللوح المحفوظ ابليس وهو غافل عن عاقبة أمره فأمره الله أن يسجد لآدم فقال أتفضله على وأنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فقال تعالى أنا أفعل ما أشاء فرأى لنفسه شرفا فولى آدم ظهره أنفة وكبرا وانتصب قائما الى أن سجدت الملائكة المدة المارة فلما رفعوا رؤسهم ورأوه لم يسجد وهم قد وفقوا للسجود سجدوا ثانيا شكرا وهو قائم يرى معرضا عنهم غير عازم على الاتباع ولا نادم على الامتناع فمسخه الله من الصورة البهية فنكسه كالخنزير وجعل رأسه كرأس البعير وصدره كسنام الجمل الكبير ووجهه بينهما كوجه القردة وعينيه مشقوقتين فى طول وجهه ومنخريه مفتوحتين ككوز الحجام وشفتيه كشفتى الثور وأنيابه خارجة كأنياب الخنزير وفى لحيته سبع شعرات وطرده من الجنة بل من السماء بل من الارض الى الجزائر فلا يدخل الارض الا خفية ولعنه الى يوم الدين لانه صار من الكافرين وانظر كان بهى الصورة رباعى الاجنحة كثير العلم كثير العبادة طاوس الملائكة وأعظمهم سيد الكروبين الى غير ذلك فلم يغن ذلك عنه شيأ ان فى ذلك لذكرى (وفى الاثر) لما مكر بابليس بكى جبريل وميكائيل فقال الله لهما ما يبكيكما قالا ربنا ما أمنا مكرك فقال تعالى لى هكذا كونا لا تأمنا مكرى (وروى) ان ابليس قال يا رب أخرجتنى من الجنة لاجل آدم وأنا لا أقدر عليه الا بتسلطك قال أنت متسلط عليه أى على أولاده لعصمة الانبياء منه قال زدنى قال لا يولد له ولد الا ولد لك مثلاه قال زدنى قال صدورهم مساكن لك تجرى فيها مجرى الدم قال زدنى قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك أى استعن عليهم باعوانك من راكب وماش وشاركهم فى الاموال أى بحملهم على كسبها وصرفها فى الحرام والاولاد أى بالحث على التوصل اليهم بالسبب المحرم كالوطء فى الحيض والاشراك فيهم بتسميتهم بنحو عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الباطلة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم أى المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بطول الامل وهذا على طريق التهديد كاعملوا ما شئتم فقال آدم يا رب قد سلطته على فلا أمتنع منه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه من الملائكة قال زدنى قال الحسنة بعشر أمثالها قال زدنى قال لا أنزع منهم التوبة ما دامت أرواحهم فى أبدانهم قال زدنى قال أغفر لهم ولا أبالى قال اكتفيت فقال ابليس يا رب جعلت فى بنى آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فما رسلى قال الكهان قال فما كتبى قال الوشم قال فما حديثى قال الكذب قال فما قرآنى قال الشعر قال فما مؤذنى قال المزمار قال فما مسجدى قال الاسواق قال فما بيتى قال الحمام قال فما طعامى قال الذى لم يذكر عليه اسمى قال فما شرابى قال السكر قال فما مصايدى قال النساء

(الباب الثالث عشر فى الامانة)

قال الله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها أى امتنعن من قبولها وأشفقنا منها أى خفن من الامانة أن لا يؤدينها فيلحقهن العقاب أو خفن من الخيانة

فيها ومعنى الامانة فى هـذه الآية الطاعة والفرائض التى يتعلق باداتها الثواب والعقاب قال القرطبى الامانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الاقوال وهو قول الجمهور واختلف فى تفاصيل بعضها فقال ابن مسعود هى فى أمانة الاموال كالودائع وغيرها وروى عنه انها فى كل الفرائض وأشدها أمانة المال وقال أبو الدرداء غسل الجنابة امانة وقال ابن عمر أول ما خلق الله من الانسان فرجه وقال هـذه امانة استودعتكها فلا تلبسها الا بحق فان حفظتها حفظتك فالفرج امانة والاذن امانة والعين امانة واللسان أمانة والبطن أمانة واليد والرجل أمانة ولا ايمان لمن لا أمانة له (قال الحسن) ان الامانة عرضت على السموات والارض والجبال فاضطربت وما فيها فقال الله لها ان أحسنت أجرتك وان أسأت عذبتك فقالت لا قال مجاهد فلما خلق الله آدم عرضها عليه وقال له ذلك فقال قد تحملتها ولا يخفى ان عرض هـذه الامانة على السموات والارض والجبال عرض تخيير لا عرض الزام ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها وقال القفال وغيره العرض فى هـذه الآية ضرب مثل أى ان السموات والارض والجبال على كبر اجرامها لو كانت بحيث يجوز تكليفها الثقل عليها تقلد الشرائع لما فيها من الثواب والعقاب أى ان التكليف أمر عظيم حقه أن تعجز عنه السموات والارض والجبال وقد كلفه الانسان كما قال تعالى (وحملها الانسان) اى التزم بحقها آدم بعد عرضها عليه فى عالم الذر عند خروج ذريته من ظهره وأخذ الميثاق عليهم (انه كان ظلوما جهولا) اى وهو فى ذلك الحمل ظلوم لنفسه جهول بقدر ما دخل فيه أو جهول بأمر ربه وعن ابن عباس قال عرضت الامانة على آدم فقيل خذها بما فيها فان أطعت غفرت لك وان عصيت عذبتك قال قبلتها بما فيها فما كان الا ما بين العصر الى الليل من ذلك اليوم حتى أكل من الشجرة لولا أن تداركه الله برحمته فتاب عليه وهدى والامانة مشتقة من الايمان فمن حفظ أمانة الله حفظ الله ايمانه قال صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له وقال الشاعر

تبا لمن رضى الخيانة مهيعا * وازور عن صون الامانة جانبه
رفض الديانة والمروءة فاغتدى * تترى عليه من الزمان مصائبه

(وقال آخر)

أخلق بمن رضى الخيانة شيمة * ان لا يرى الا صريع حوادث
ما زالت الارزاء ينزل بؤسها * أبدا بغادر ذمة أو ناكث

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطبع المؤمن على كل خلق ليس الخيانة والكذب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال أمتى بخير ما لم تر الامانة مغنما والصدقة مغرما وقال صلى الله عليه وسلم أد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك (وفى الصحيحين) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان اى اذا ائتمنه أحد بكلمة خانه بافشائها للناس أو بوديعة خانه بانكارها وعدم حفظها أو استعمالها بغير اذنه فحفظ الامانة صفة الملائكة المقربين والانبياء والمرسلين وشيمة الابرار المتقين قال الله سبحانه وتعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها قال المفسرون هـذه الآية مشتملة على كثير من أمهات الشرع والمخاطب بها عموم المكلفين الولاة

وغيرهم

وغيرهم فيجب على الولاة انصاف المظلوم واظهار حقه وذلك أمانة وحفظ أموال المسلمين لا سيما اليتامى ويجب على العلماء تعليم العوام أحكام دينهم فهى أمانة اختار لحفظها العلماء ويجب على الوالد رعاية ولده بحسن التاديب اذ هو أمانة عنده قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته (وفى زهر الرياض) يؤتى بالعبد يوم القيامة فيوقف بين يدى الله تعالى فيقول الله تعالى أرددت أمانة فلان فيقول لا يارب فيامر الله تعالى ملكا فأخذ بيده وينطلق به الى جهنم ويريه الامانة بعينها فى قعر جهنم فيهوى فيها سبعين عاما حتى ينتهى الى قعرها ثم يصعد بالامانة فاذا بلغ أعلى جهنم زلت قدمه فيهوى فيها كذلك ثم يصعد ثم يهبط وهكذا حتى يدركه لطف ربه بشفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم فيرضى عنه صاحب الامانة وروى عن سلمة قال بينما نحن جلوس عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ أتى بجنازة ليصلى عليها فقال هل عليه دين قالوا لا فصلى عليها ثم أتى بجنازة أخرى فقال هل عليه دين قالوا نعم قال فهل ترك شيأ فقالوا ثلاث دنانير فصلى عليها ثم أتى بثالثة فقال هل عليه دين قالوا نعم فقال صلى الله عليه وسلم هل ترك شيأ قالوا لا قال صلوا على صاحبكم وعن قتادة رضى الله عنه قال قال رجل يارسول الله أرأيت ان قتلت فى سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر يكفر الله عنى خطاياى قال نعم فلما أدبر الرجل ناداه فقال يغفر الله للشهيد كل ذنب الا الدين

(الباب الرابع عشر فى اتمام الصلاة بالخضوع والخشوع)

قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون اعلم ان الخشوع منهم من جعله من أفعال القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من جعله من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات والعبث وقد اختلفوا فى الخشوع هل هو من فرائض الصلاة أو من فضائلها على قولين واستدل من قال بالاول بحديث ليس للعبد من صلاته الا ما عقل وبقوله تعالى أقم الصلاة لذكرى والغفلة تضاد الذكر ولهذا قال تعالى ولا تكن من الغافلين (أخرج) البيهقى عن محمد بن سيرين قال نبئت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى رفع بصره الى السماء فنزلت الآية وزاد عبد الرزاق عنه فامره بالخشوع فرمى ببصره نحو مسجده وأخرج الحاكم والبيهقى عن أبى هريرة كان صلى الله عليه وسلم اذا صلى رفع بصره الى السماء فنزلت هـذه الآية فطأطأ رأسه وروى عن الحسن ان النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار على باب أحدكم كثير الماء يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى عليه من الدرن شئ يعنى ان الصلوات تطهر من الذنوب ولا تبقى منها شيأ فيما دون الكبائر وهذا اذا صلى بخشوع وحضور قلب والا فهى مردودة عليه وقال صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشئ من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم انما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لاقامة ذكر الله تعالى فاذا لم يكن فى قلبك للمذكور الذى هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك وقال صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا وقال بكر بن عبد الله يا ابن آدم اذا شئت ان تدخل على مولاك بغير اذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت قيل وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك

وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وكان ابراهيم الخليل اذا قام الى الصلاة يسمع وجيب قلبه على ميلين وكان سعيد التنوخى اذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه (وروى) ان عليا كرم الله وجهه كان اذا حضرت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه فيقال له مالك يا أمير المؤمنين فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها ويروى عن على بن الحسين انه كان اذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله ماهذا الذى يعتريك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم (ويروى) عن حاتم الاصم انه سئل عن صلاته فقال اذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذى أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحى ثم أقوم الى الصلاة وأجعل الكعبة بين حاجبى والصراط تحت قدمى والجنة عن يمينى والنار عن شمالى وملك الموت ورائى وأظنها آخر صلاتى ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيرا بتحقيق وأقرأ قراءة بترتيل وأركع ركوعا بتواضع وأسجد سجودا بتخشع وأقعد على الورك الايسر وأفرش ظهر قدمها وأنصب القدم اليمنى على الابهام وأتبعها الاخلاص ثم لا أدرى أقبلت منى أم لا وقال ابن عباس رضى الله عنهما ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه وقال صلى الله عليه وسلم يأتى فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وعن الحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم بأسوء الناس سرقة قالوا من هو يا رسول الله قال الذى يسرق من صلاته قالوا وكيف يسرق من صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها وقال صلى الله عليه وسلم أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فان كان قد أتمها هون عليه الحساب وان كان قد انتقص منها شيأ قال الله تعالى لملائكته هل لعبدى من تطوع فأتموا الفريضة منه وقال صلى الله عليه وسلم ما أعطى عبد عطاء خيرا من أن يؤذن له فى ركعتين يصليهما وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا أراد القيام الى الصلاة ترتعد فرائصه وتصطك أسنانه فقيل له فى ذلك قال حان وقت أداء الامانة وقضاء الفريضة ولا أدرى كيف أؤديها * (وحكى) عن خلف بن أيوب انه كان قائما فى الصلاة فلدغه زنبور فسال منه الدم وهو لا يشعر حتى خرج ابن سعيد فاعلمه بذلك فغسل ثوبه فقيل له يلدغك زنبور ويسيل منك الدم ولم تشعر به فقال أيشعر بمثل هذا من يكون واقفا بين يدى الملك الجبار وملك الموت على قفاه والنار عن شماله والصراط تحت قدميه * ووقعت الاكلة فى يد عمرو بن ذر وكان جليلا فى الزهد والعبادة فقال له الاطباء لا بد لك من قطع هذه اليد فقال اقطعوها فقالوا لا نقدر على قطعها الا أن نشدك بالحبال فقال لا ولكن اذا شرعت فى الصلاة فاقطعوها حينئذ فلما دخل فى الصلاة قطعت يده ولم يشعر بذلك

(الباب الخامس عشر فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر)

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة خلق الله تعالى من نفس المصلى غمامة بيضاء ثم يأمرها الله تعالى أن تأخذ من بحر الرحمة فتأخذ ثم يأمرها الله تعالى أن تمطر فاذا أمطرت فأى قطرة قطرت على الارض يخلق الله الذهب منها وأى قطرة قطرت على الجبال يخلق الله تعالى منها الفضة وأى قطرة قطرت على كافر رزقه الله تعالى الايمان (قال الله سبحانه وتعالى) كنتم خير أمة أخرجت للناس قال الكلبى هذه الآية تتضمن بيان حال هذه الامة فى الفضل على غيرها من الامم وفيها دليل على أن هذه الامة الاسلامية خير الامم على الاطلاق وان هذه الخيرية مشتركة بين أول هذه الامة وآخرها بالنسبة الى غيرها من الامم وان كانت متفاضلة فى ذاتها كما ورد فى فضل الصحابة على غيرهم ومعنى أخرجت أظهرت للناس أى لنفعهم ومصالحهم فى جميع الاعصار حتى تميزت وعرفت وقوله تعالى تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله كلام مستأنف يتضمن بيان كونهم خير امة مايشتمل عليه من انهم خير أمة ما أقاموا على ذلك واتصفوا به فاذا تركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر زال عنهم ذلك فجعلهم الله خير الناس للناس لانهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقاتلون الكفار ليسلموا فترجح منفعتهم على غيرهم كما قال صلى الله عليه وسلم خير الناس من ينفع الناس وشر الناس من يضر الناس (تؤمنون بالله) أى تصدقون بتوحيد الله وتثبتون على ذلك وتقرون أن محمدا نبى الله لان من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمن بالله لانه يزعم ان الآيات المعجزات التى أتى بها من عند نفسه وقال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان يعنى أضعف فعل أهل الايمان قال بعضهم التغيير باليد للامراء وباللسان للعلماء وبالقلب للعوام وقال بعضهم كل من يقدر على ذلك فالواجب عليه أن يغيره كما قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان الآية ومن التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير اليه وسد سبيل الشر والعدوان بحسب الامكان وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وايمانا ومن أهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الاكبر ومن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى الارض وخليفة كتابه وخليفة رسوله * عن حذيفة رضى الله عنه قال يأتى على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحب اليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم قال موسى يا رب ما جزاء من دعا أخاه وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر قال أكتب له بكل كلمة عبادة سنة وأستحى أن أعذبه بنارى (وفى الحديث القدسى) يقول الله تعالى يا ابن آدم لا تكن ممن يؤخر التوبة ويطول الامل ويرجع الى الآخرة بغير عمل يقول قول العابدين ويعمل عمل المنافقين ان أعطى لم يقنع وان منع لم يصبر ويحب الصالحين وليس منهم ويبغض المنافقين وهو منهم يأمر بالخير ولا يفعله وينهى عن الشر ولم ينته عنه وعن على كرم الله وجهه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيأتى قوم فى آخر الزمان أحداث الاسنان نواقص العقل يقولون من قول خير البرية لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بى الى السماء رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من النار قلت من هؤلاء

ياجبريل قال هؤلاء خطباء أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم كما قال الله تعالى في حقهم (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) يعني تتلون كتاب الله ولا تعملون بما فيه فكانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون فيجب على المؤمنين أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ولا ينسون أنفسهم كما قال الله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة) الآية فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف فالذي هجر الامر بالمعروف خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية وقد ذم الله أقواما بترك الامر بالمعروف فقال (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) يعني لا ينهى بعضهم بعضا (لبئسما كانوا يفعلون) روى عن أبي الدرداء رضي الله عنه انه قال لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو خياركم فلا يستجاب لهم ويستنصرون فلا ينصرون ويستغفرون فلا يغفر لهم وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب الله أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الانبياء قالوا يارسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر وقال أبوذر الغفاري قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه يارسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ياأبابكر ان لله تعالى مجاهدين في الارض أفضل من الشهداء أحياء مرزوقين يمشون على الارض يباهي الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزينت أم سلمة لرسول الله فقال أبو بكر رضي الله عنه يارسول الله ومن هم قال الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون في الله والمبغضون في الله ثم قال والذي نفسي بيده ان العبد ليكون في الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء لكل غرفة منها ثلثمائة باب منها الياقوت والزمرد الاخضر على كل باب نور وان الرجل منهم ليتزوج بثلثمائة ألف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت الى واحدة منهن فنظر اليها تقول له أتذكر يوم كذا وكذا أمرت فيه بالمعروف ونهيت عن المنكر وكلما التفت الى واحدة منهن ذكرت له مقاما أمر فيه بالمعروف ونهى عن المنكر (وفي الخبر) ان الله تعالى قال ياموسى هل عملت لي عملا قط قال الهي صليت لك وصمت لك وتصدقت لاجلك وسجدت لك وحمدت لك وقرأت كتابك وذكرتك قال الله تعالى ياموسى أما الصلاة فلك برهان وأما الصوم فلك جنة وأما الصدقة فلك ظل وأما التسبيح فلك أشجار في الجنة وأما قراءة كتابي فلك حور وقصور وأما الذكر فلك نور فأي عمل عملت لي قال موسى دلني يارب على عمل أعمله لك قال ياموسى هل واليت لي وليا قط وهل عاديت لي عدوا قط فعلم موسى ان أفضل الاعمال الحب لله والبغض لله لأعدائه وقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت يارسول الله أي الشهداء أكرم على الله عز وجل قال رجل قام الى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فان لم يقتله فان القلم لا يجري عليه بعد ذلك وان عاش ما عاش وقال الحسن البصري رحمه الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل شهداء أمتي رجل قام الى امام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر * أوحى الله الى يوشع بن نون عليه السلام اني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال يارب هؤلاء الاشرار

فا

فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم وعن أنس رضي الله عنه قال قلنا يارسول الله ألا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله وأوصى بعض السلف بنيه فقال اذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مس الاذى

(الباب السادس عشر في عداوة الشيطان)

يجب على المؤمن أن يحب العلماء والصلحاء ويلازم مجالستهم ويسأل ما لابد له ويتعظ بنصحهم ويجتنب الاعمال القبيحة ويتخذ الشيطان عدوا كما قال الله تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) اى فعادوه بطاعة الله تعالى ولا تطيعوه في معاصي الله تعالى وكونوا على حذر منه في جميع أحوالكم وأفعالكم وعقائدكم عن صميم قلوبكم واذا فعلتم فعلا فتفطنوا له فانه ربما يدخل عليكم فيه الرياء ويزين لكم القبائح واستعينوا عليه بربكم قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال هذه سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فبين لنا صلى الله عليه وسلم كثرة طرق الشيطان روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان راهب في بني اسرائيل فعمد الشيطان الى جارية فخنقها وألقى في قلوب أهلها ان دواءها عند الراهب فأتوا بها اليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فان سألوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس اليهم وألقى في قلوبهم انه أحبلها ثم قتلها ودفنها فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذي خنقتها وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها فأطعني تنج وأخلصك منهم قال بماذا قال اسجد لي سجدتين ففعل فقال له الشيطان اني بريء منك فهو الذي قال الله تعالى فيه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك (وروى) ان ابليس سأل الشافعي رضي الله عنه ما قولك فيمن خلقني كما اختار واستعملني فيما اختار وبعد ذلك ان شاء أدخلني الجنة وان شاء أدخلني النار أعدل في ذلك أم جار فنظر في كلامه ثم قال ياهذا ان كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك وان كان خلقك لما يريده هو فلا يسئل عما يفعل فاضمحل الى أن صار لا شيء ثم قال والله ياشافعي لقد أخرجت بمسئلتي هذه سبعين ألف عابد من ديوان العبودية (واعلم) ان مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدريها فحماية القلب عن وسواس الشيطان واجب وهو فرض عين على كل مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخله وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة (منها) الغضب والشهوة

فان الغضب غول العقل واذا ضعف العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبى بالكرة وقد ذكر أن بعض الاولياء قال لابليس أرنى كيف تغلب ابن آدم فقال آخذه عند الغضب وعند الهوى (ومنها) الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصا على كل شىء أعماه حرصه وأصمه فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا وفاحشا فقد روى ان نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى فى السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك فقال دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معى وأبدانهم معك فقال له نوح اخرج منها يا عدو الله فانك لعين فقال له ابليس خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين فأوحى الله الى نوح انه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين فقال له نوح ما الاثنتان فقال هما اللتان لا تكذبانى هما اللتان لا تخلفانى بهما أهلك الناس الحرص والحسد فبالحسد لعنت وجعلت رجيما وأما الحرص فانه أبيح لآدم الجنة كلها الا الشجرة فأصبت حاجتى منه بالحرص (ومنها) الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوى الشهوات وهى أسلحة الشيطان فقد روى ان ابليس ظهر ليحيى عليه السلام فرأى عليه معاليق من كل شىء فقال له يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التى أصبت بها ابن آدم فقال فهل لى فيها من شىء قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا قال لله على أن لا أملأ بطنى من الطعام أبدا فقال له ابليس ولله على أن لا أنصح مسلما أبدا (ومنها) حب التزين من الاثاث والثياب والدار فان الشيطان اذا رأى ذلك غالبا على قلب الانسان باض فيه وفرخ فلا يزال يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها ويدعوه الى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره فاذا أوقعه فى ذلك فقد استغنى أن يعود اليه ثانية فان بعض ذلك يجره الى البعض الى ان يساق اليه أجله فيموت وهو فى سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخشى من ذلك سوء العاقبة نعوذ بالله (ومنها) الطمع فى الناس فقد روى صفوان بن سليم ان ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال له يا ابن حنظلة احفظ عنى شيأ أعلمك به فقال لا حاجة لى به قال انظر فان كان خيرا أخذت وان كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسأل أحدا غير الله سؤال رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت فانى أملكك اذا غضبت (ومنها) العجلة وترك التثبت فى الامور قال صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان والتأنى من الله تعالى فعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الانسان من حيث لا يدرى فقد روى انه لما ولد عيسى بن مريم عليه السلام أتت الشياطين ابليس فقالوا له أصبحت الاصنام قد نكست رؤسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى أتى خافقى الارض فلم يجد شيأ فوجد عيسى عليه السلام قد ولد واذا بالملائكة حافين به فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت الا وأنا حاضرها الا هذا فايئسوا من ان تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بنى آدم من قبل العجلة والخفة (ومنها) الدراهم والدنانير وسائر أصناف الاموال من العروض والدواب والعقار فان كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان قال ثابت البنانى لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ما هو فانطلقوا

حتى أعيوا ثم جاؤه وقالوا ما ندرى قال أنا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء وقال قد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم فيمحق ذلك فقال لهم ابليس رويدا بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فنصيب منهم حاجتنا وروى أن عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت فى الدنيا فأخذه عيسى صلى الله عليه وسلم فرمى به من تحت رأسه وقال هذا لك مع الدنيا (ومنها) البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذى يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو الى الادخار والكنز والعذاب الاليم ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع المال وهى معشش الشياطين (ومنها) التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر لهم بعين الاحتقار وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا قال الحسن رضى الله عنه بلغنا ان ابليس قال سولت لامة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصى فقصموا ظهرى بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله منها وهى الاهواء وقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون أن ذلك من الاسباب التى تجر الى المعاصى فكيف يستغفرون منها (ومنها) سوء الظن بالمسلمين فيجب الاحتراز عنه وعن تهمة الاشرار فمهما رأيت انسانا يسىء الظن بالناس طلبا للعيوب فاعلم أنه خبيث باطنا وأن ذلك خبثه يترشح منه فيجب على الانسان قطع هذه الابواب من القلب ويعينه عليها ذكر الله تعالى (قال ابن اسحق) لما رأى كفار قريش هجرة الصحابة وعرفوا أنه صار له صلى الله عليه وسلم أصحاب من غيرهم فحذروا خروجه وعرفوا أنه أجمع لحربهم فاجتمعوا فى دار الندوة وهى دار قصى بن كلاب وسميت بذلك لاجتماع الندى فيها يتشاورون وكانت قريش لا تقضى أمرا الا فيها ولا يدخلون فيها غير قريشى الى ان يبلغ أربعين سنة بخلاف القرشى وقد أدخلوا أبا جهل واجتمعوا يوم السبت ولذا ورد يوم السبت يوم مكر وخديعة ومعهم ابليس فى صورة شيخ نجدى وذلك أنه وقف على باب الدار فى هيئة شيخ جليل عليه بت قيل كساء غليظ أو طيلسان من خز فقالوا من الشيخ قال من نجد سمع بالذى اتعدتم له فحضر ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم رأيا ونصحا قالوا ادخل فدخل فتشاوروا فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم وكانوا مائة رجل وقيل كانوا خمسة عشر رجلا فقال أبو البخترى المقتول كافرا ببدر احبسوه فى الحديد واغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء قبله فقال النجدى ما هذا برأى والله لو حبستموه فى الحديد ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه الى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم تكابروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا برأى فانظروا فى غيره فقال أبو الاسود ربيعة بن عمرو العامرى نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فلا نبالى أين ذهب فقال النجدى لعنه الله والله ما هذا برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حى من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله حتى يتابعوه عليكم ثم يسير بهم اليكم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد أديروا فيه رأيا غير هذا فقال أبو جهل والله ان لى فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلدا نسيبا وسيطا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ويتفرق دمه فى القبائل

فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فتقنع له لهم فقال النجدى لعنه الله القول ما قال لا أرى غيره فاجمع رأيهم على قتله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا على ذلك ثم أتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه فأمر عليه السلام عليا فنام مكانه وغطى ببرد له صلى الله عليه وسلم أخضر كان يشهد به الجمعة والعيدين بعد ذلك عند فعلهما فكان على أول من شرى نفسه فى الله ووقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى ذلك يقول على رضى الله عنه (شعر)

وقيت بنفسى خير من وطئ الثرى * ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول اله خاف أن يمكروا به * فنجاه ذو الطول الاله من المكر
وبات رسول الله فى الغار آمنا * موقى وفى حفظ الاله وفى ستر
وبت أراعيهم وما يتهموننى * وقد وطنت نفسى على القتل والاسر

ثم خرج صلى الله عليه وسلم من الباب عليهم وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان فى يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون ثم انصرف حيث أراد فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله والله خرج عليكم ثم ما ترك منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته فما ترون ما بكم فوضع كل رجل يده على رأسه فاذا عليه تراب ثم جعلوا يطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد نائم عليه برده فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا فقام على من الفراش فقالوا لقد صدقنا الذى كان حدثنا وفى هذا نزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك الآية (شعر)

لا تجزعن فبعد العسر تيسير * وكل شئ له وقت وتقدير
وللمقدر فى أحوالنا نظر * وفوق تدبيرنا لله تدبير

ثم أذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فى الهجرة قال ابن عباس بقوله تعالى وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا وأمره جبريل أن يستصحب أبا بكر رضى الله عنه (روى) الحاكم عن على رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبريل من يهاجر معى قال أبو بكر الصديق وأخبر صلى الله عليه وسلم عليا بمخرجه وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدى عنه الودائع التى كانت عنده للناس قالت عائشة رضى الله عنها فبينما نحن جلوس يوما فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة أى أول الزوال وهو أشد ما يكون من حرارة النهار وروى الطبرانى فى حديث اسماء كان النبى صلى الله عليه وسلم يأتينا بمكة كل يوم مرتين بكرة وعشية فلما كان يوم من ذلك جاءنا فى الظهيرة فقلت يا أبت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا أى مغطيا رأسه فى ساعة لم يكن يأتينا فيها قال أبو بكر رضى الله عنه فدى له أبى وأمى والله ما جاء به فى هذه الساعة الا أمر قالت عائشة رضى الله عنها فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له أبو بكر فدخل فتنحى أبو بكر عن سريره وجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لابى بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهلك يعنى عائشة وأسماء وفى رواية فقال أبو بكر لا عين عليك انما هما ابنتاى فقال صلى الله عليه وسلم فانه قد أذن لى فى

الخروج فقال أبو بكر الصحبة بأبى أنت وأمى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم نعم قالت عائشة رضى الله عنها فرأيت أبا بكر يبكى وما كنت أحسب أن أحدا يبكى من الفرح فقال أبو بكر فخذ بأبى أنت وأمى يا رسول الله احدى راحلتى هاتين قال صلى الله عليه وسلم لا بل بالثمن وفى رواية فقال بثمنها ان شئت وانما أخذها بالثمن لتكون هجرته صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام فى استكماله فضل الهجرة الى الله تعالى قالت عائشة فجهزناهما أحث اى أسرع الجهاز وفى رواية أحب الجهاز وصنعنا لهما سفرة أى زادا فى جراب زاد الواقدى انه كان فى السفرة شاة مطبوخة قالت فقطعت أسماء قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين تثنية نطاق بكسر النون ما يشد به الوسط قالت عائشة رضى الله عنها ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار ثور فكمنا فيه ثلاث ليالى وهو جبل بمكة نزله ثور بن عبد مناة فنسب له وروى أنهما خرجا من خوخة أى باب صغير لابى بكر فى ظهر بيته ليلا الى الغار وروى ان أبا جهل لقيهما فأعمى الله بصره عنهما حتى مضيا قالت أسماء بنت أبى بكر وخرج أبو بكر بماله خمسة آلاف درهم ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة جمع قائف وهو الذى يعرف الاثر فى كل وجه فوجد الذى ذهب جهة ثور أثره هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع الاثر لما انتهى الى ثور وشق على قريش خروجه وجزعوا لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن رده وروى القاضى عياض انه صلى الله عليه وسلم ناداه ثبير اهبط عنى فانى أخاف أن تقتل على ظهرى فأعذب فناداه حراء الى يا رسول الله وروى انه لما دخل الغار وأبو بكر معه أنبت الله على بابه الراءة وهى شجرة معروفة بأم غيلان فحجبت عن الغار أعين الكفار وان الله عز وجل أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار فعششتا على بابه وان ذلك مما صد المشركين عنه وان حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين جزاء وفاقا لما حصل بهما الحماية جوزيا بالنسل وحمايته فى الحرم فلا يتعرض له ثم أقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر فى الغار فرأى حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى أصحابه فقالوا له ما لك فقال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد فسمع النبى صلى الله عليه وسلم ما قال فعلم ان الله قد درأ عنه وقال آخر ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أربكم أى حاجتكم الى الغار ان فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد لو دخل لكسر البيض وتفسخ العنكبوت وهذا أبلغ فى الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود فتأمل كيف أظلت الشجرة المطلوب وأضلت الطالب وجاءت عنكبوت فسدت باب الطلب وحاكت وجه المكان فحاكت ثوب نسجها حتى عمى على القائف الطلب ولقد حصل لها بذلك الشرف وما أحسن قول ابن النقيب

ودود القز ان نسجت حريرا * يجمل لبسه فى كل شئ
فان العنكبوت أجل منها * بما نسجت على رأس النبى

(وروى) الشيخان عن أنس قال حدثنى أبو بكر قال قلت للنبى صلى الله عليه وسلم ونحن فى الغار لو أن أحدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وذكر بعض أهل السير ان أبا بكر لما قال ذلك قال له صلى الله عليه وسلم لو جاؤنا من ههنا لذهبنا

من ههنا فنظر الصديق الى الغار قد انفرج من الجانب الآخر واذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة الى جانبه وعن الحسن البصرى بلاغا ان أبا بكر ليلة انطلق معه صلى الله عليه وسلم الى الغار كان يمشى بين يديه ساعة ومن خلفه ساعة فسأله فقال أذكر الطلب فامشى خلفك وأذكر الرصد فامشى امامك فقال لو كان شئ أحببت ان تقتل دونى قال اى والذى بعثك بالحق فلما انتهيا الى الغار قال مكانك يارسول الله حتى أستبرئ لك الغار فاستبرأه فجعل يلتمس بيده فكلما رأى جحرا اقطع من ثوبه وألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع فبقى جحر فوضع عقبه عليه لئلا يخرج مايؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم و وضع رأسه فى حجر أبى بكر ونام فلدغ أبو بكر فى رجله من الجحر ولم يتحرك لئلا يوقظ المصطفى صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا أبا بكر قال لدغت فداك أبى وأمى فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب مايجده ولقد أحسن حسان بن ثابت رضى الله عنه حيث قال

وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد * طاف العدو به اذ صاعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا * من الخلائق لم يعدل به بدلا

وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة يوم الخميس وخرج من الغار ليلة الاثنين لانه أقام فيه ثلاث ليال وذلك من أول ربيع الاول ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتى عشرة ليلة خلت منه (حكى) ان زاهدا من الزهاد اسمه زكريا مرض مرضا شديدا ودنا وقت أجله فأتاه صديقه فى سكرات الموت ولقنه لا اله الا الله محمد رسول الله فأعرض الزاهد بوجهه ولم يقل فقال له ثانيا فأعرض فقال له ثالثا فقال لا أقول فغشى على صديقه فلما كان بعد ساعة وجد الزاهد خفة ففتح عينيه فقال هل قلتم لى شيأ قالوا نعم عرضنا عليك الشهادة ثلاثا فأعرضت فى مرتين وقلت فى الثالثة لا أقول فقال أتانى ابليس عليه اللعنة ومعه قدح من الماء و وقف عن يمينى وهو يحرك القدح فقال لى أتحتاج الى الماء قلت بلى قال قل عيسى ابن الله فأعرضت عنه ثم أتانى من قبل رجلى فقال لى كذلك فأعرضت عنه وفى الثالثة قال لى كذلك فقلت لا أقول فضرب القدح على الارض وولى هاربا فأنا رددت على ابليس لا عليكم فأنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال سأل بعضهم ربه ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى فى النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه و رأى الشيطان فى صورة ضفدع قاعد على منكبه الايسر بين منكبه وأذنه له خرطوم طويل دقيق أدخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى خنس اللهم لا تسلط علينا شيطانا مريدا ولا لسانا حسودا وأعنا على ذكرك وشكرك بجاه خاتم أنبيائك ورسلك صلى الله عليه وسلم وعلى آله وشرف وكرم

(الباب السابع عشر فى بيان الامانة والتوبة)

روى عن محمد بن المنكدر أنه قال سمعت أبى يقول بينما سفيان الثورى يطوف اذ رأى رجلا لا يرفع قدما ولا يضع قدما الا وهو يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم قال فقلت له ياهذا انك قد

تركت التسبيح والتهليل وأقبلت بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم هل عندك فى هذا شئ قال من أنت عافاك الله فقلت أنا سفيان الثورى قال لولا انك زاهد أهل زمانك ما أخبرتك عن حالى ولا أطلعتك على سرى ثم قال لى خرجت ووالدى حاجا الى بيت الله الحرام حتى اذا كنت فى بعض المنازل مرض والدى فقمت بشأنه حتى مات فاسود وجهه فقلت انا لله وانا اليه راجعون وغطيت وجهه فغلبتنى عيناى فنمت حزينا فرأيت رجلا لم أر أحسن منه وجها ولا أنظف منه ثوبا ولا أطيب منه ريحا يرفع قدما ويضع أخرى حتى دنا من والدى فكشف الازار عن وجهه فامر يده على وجهه فابيض ثم ولى راجعا فتعلقت بثوبه فقلت ياعبد الله من أنت الذى من الله على والدى بك فى أرض الغربة قال أوما تعرفنى أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن أما ان والدك كان مسرفا على نفسه ولكن كان يكثر الصلاة على فلما نزل به ما نزل استغاث بى وأنا غياث لمن أكثر الصلاة على فانتبهت فاذا وجه أبى قد ابيض (وروى) عن عمرو بن دينار عن أبى جعفر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من نسى الصلاة على فقد أخطأ طريق الجنة (اعلم) ان الامانة مأخوذة من الأمن لانه يؤمن معها من منع الحق وضدها الخيانة من الخون وهو النقص لانك اذا خنت أحدا فى شئ فقد أدخلت عليه النقصان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكر والخديعة والخيانة فى النار وقال صلى الله عليه وسلم من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم فهو ممن كملت مروأته وظهرت عدالته ووجبت أخوته ومدح أعرابى قوما فقال شغفوا برعى الامانة فلا يغدرون بذمة ولا ينتهكون لمسلم حرمة ولم تعلق بهم ذمة فهم خير أمة أقول وهؤلاء الذين مدحهم الاعرابى قد انقرضوا فلم نر فى هذه الازمان الا ذئابا فى ثياب كما قال

بمن يثق الانسان فيما ينوبه * ومن أين للحر الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس الا أقلهم * ذئابا على أجسادهن ثياب

(وكما قال آخر)

ذهب الذين يقال عند فراقهم * ليت البلاد وما بها تتصدع

وعن حذيفة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الامانة سترفع ويصبح الناس يتبايعون ومايكاد أحدهم أن يؤدى الامانة وحتى يقال ان فى بنى فلان أمينا (واعلم) أن التوبة واجبة بالاخبار والآيات قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وهذا أمر على العموم وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا الآية ومعنى النصوح الخالص لله تعالى خاليا عن الشوائب مأخوذ من النصح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقوله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل فى أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش أوماشاء الله قال أرجع الى مكانى الذى كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته ويروى عن الحسن قال لما تاب الله على آدم عليه السلام هنأته الملائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل

عليهما السلام فقالا يا آدم قرت عينك بتوبة الله عليك فقال آدم عليه السلام يا جبريل فان كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامى فأوحى الله اليه يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة فمن دعانى منهم لبيته كما لبيتك ومن سألنى المغفرة لم أبخل عليه لانى قريب مجيب يا آدم وأحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيئ الليل الى النهار ولمسيئ النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا وهو قابل وقال صلى الله عليه وسلم لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة فقيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينه تائبا منه فارا حتى يدخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم كفارة الذنب الندامة وقال صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له ويروى أن حبشيا قال يا رسول الله انى كنت أعمل الفواحش فهل لى من توبة قال نعم فولى ثم رجع فقال يا رسول الله أكان يرانى وأنا أعملها قال نعم فصاح الحبشى صيحة خرجت فيها روحه ويروى ان الله عز وجل لما لعن ابليس سأله النظرة فانظره الى يوم القيامة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح فقال الله تعالى وعزتى وجلالى لا حجبت عنه التوبة ما دام فيه الروح وقال صلى الله عليه وسلم ان الحسنات يذهبن السيآت كما يذهب الماء الوسخ وعن سعيد بن المسيب أنزل قوله تعالى انه كان للاوابين غفورا فى الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الفضيل قال الله تعالى بشر المذنبين بانهم ان تابوا اقبلت منهم وحذر الصديقين أنى ان وضعت عليهم عدلى عذبتهم وقال عبد الله بن عمر من ذكر خطيئة ألم بها فوجل منها قلبه محيت عنه فى أم الكتاب ويروى ان نبيا من الانبياء أذنب فأوحى الله اليه وعزتى لئن عدت لأعذبنك فقال يا رب أنت أنت وأنا أنا وعزتك ان لم تعصمنى لأعودن فعصمه الله تعالى ويروى ان رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به هل له من توبة فاعرض عنه ابن مسعود ثم التفت اليه فرأى عينيه تذرفان فقال ان للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق الا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا به لا يغلق فاعمل ولا تيأس (ويروى) أنه كان فى بنى اسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر فى المرآة فرأى الشيب فى لحيته فساءه ذلك فقال الهى أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك أتقبلنى فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصه أحببتنا فاحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك وان رجعت الينا قبلناك (وروى) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تاب العبد تاب الله عليه وأنسى الحفظة ما كانوا كتبوا من مساوى عمله وأنسى جوارحه ما عملت من الخطايا وأنسى مكانه من الارض ومقامه من السماء ليجيئ يوم القيامة وليس شئ من الخلق يشهد عليه وروى عن على كرم الله وجهه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مكتوب حول العرش قبل أن يخلق الخلق باربعة آلاف عام وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى (واعلم) ان التوبة فرض عين من الذنوب الكبائر والصغائر فورا فان الاصرار على الصغائر يلحقها بالكبائر قال الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية والتوبة النصوح أن يتوب العبد ظاهرا وباطنا

نادما غير عازم على العود ومثل من تاب ظاهرا فقط كمثل مزبلة بسط عليها ديباج والناس ينظرون اليها ويتعجبون منها فاذا كشف عنها الغطاء أعرضوا عنها فكذلك الخلق ينظرون الى أهل الطاعة الظاهرة فاذا كشف الغطاء يوم القيامة يوم تبلى السرائر أعرضت الملائكة عنهم ولذا قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم وعن ابن عباس رضى الله عنهما كم من تائب يجيئ يوم القيامة يظن انه تائب وليس بتائب اى لانه لم يحكم أبواب التوبة من الندم والعزم على عدم العود ورد المظالم لاربابها ان أمكن واستحلالهم منها ان تيسر والا أكثر من الاستغفار له ولهم عسى الله أن يرضيهم عنه ونسيان الذنب من أقبح المصائب فعلى العاقل أن يحاسب نفسه ولا ينسى ذنبه كما قيل

يا أيها المذنب المحصى جرائمه * لا تنس ذنبك واذكر منه ما سلفا
وتب الى الله قبل الموت وانزجرا * يا عاصيا واعترف ان كنت معترفا

(وروى الفقيه أبو الليث) بسنده قال دخل عمر رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال يا رسول الله بالباب شاب قد أحرق فؤادى وهو يبكى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخله يا عمر قال فدخل وهو يبكى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا شاب قال يا رسول الله أبكتنى ذنوب كثيرة وخفت من جبار غضبان على فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشركت بالله شيأ قال لا قال أقتلت نفسا بغير حق قال لا قال فان الله يغفر ذنبك ولو كان مثل السموات السبع والارضين والجبال قال يا رسول الله ذنبى أعظم من ذلك قال ذنبك أعظم أم الكرسى قال ذنبى أعظم يا رسول الله قال ذنبك أعظم أم العرش قال ذنبى أعظم قال ذنبك أعظم أم الهك يعنى عفو الله قال بل الله أعظم وأجل قال فانه لا يغفر الذنب العظيم الا الرب العظيم يعنى عظيم التجاوز ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنى عن ذنبك قال انى أستحى منك يا رسول الله قال بل أخبرنى قال يا رسول الله انى كنت أنبش القبور منذ سبع سنين حتى ماتت جارية من بنات الانصار فنبشت قبرها وأخذت كفنها ومضيت غير بعيد فغلب الشيطان على فرجعت فجامعتها ثم مضيت غير بعيد واذا بالجارية قامت وقالت ويلك يا شاب أما تستحى من ديان يأخذ للمظلوم من الظالم تركتنى عريانة فى عسكر الموتى وأوقفتنى جنبا بين يدى الله عز وجل قال فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدفع فى قفاه ويقول يا فاسق ما أحوجك الى النار اخرج عنى فخرج الشاب تائبا الى الله تعالى أربعين ليلة فلما تم له أربعون ليلة رفع رأسه الى السماء وقال يا اله محمد وآدم وابراهيم ان كنت غفرت لى فاعلم محمدا وأصحابه صلى الله عليه وسلم والا فارسل نارا من السماء فاحرقنى بها ونجنى من عذاب الآخرة قال فهبط جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك أنت خلقت الخلق فقال بل هو الذى خلقنى وخلقهم ورزقنى ورزقهم قال جبريل عليه السلام يقول لك الله تعالى انى تبت على الشاب فدعا النبى صلى الله عليه وسلم الشاب وبشره بان الله تعالى تاب عليه (حكى) انه كان فى زمن موسى عليه السلام رجل لا يستقيم على التوبة كلما تاب أفسد فمكث على ذلك عشرين سنة فأوحى الله تعالى الى موسى قل لعبدى فلان انى غضبت عليه فبلغ موسى عليه السلام الرسالة الى ذلك

الرجل فحزن وذهب الى الصحراء قائلا الهى أنفدت رحمتك أم ضرتك معصيتى أم نفدت خزائن عفوك أم بخلت على عبادك أى ذنب أعظم من عفوك والكرم من صفاتك القديمة واللوم من صفاتى الحادثة أفتغلب صفتى صفتك واذا حجبت عبادك عن رحمتك فمن يرجون وان طردتهم فالى من يقصدون الهى ان كانت رحمتك قد نفدت وكان لا بد من عذابى فاحمل على جميع عذاب عبادك فانى قد فديتهم بنفسى فقال الله تعالى ياموسى اذهب اليه وقل له لو كانت ذنوبك ملء الارض لغفرتها لك بعد ما عرفتنى بكمال القدرة والعفو والرحمة وقال صلى الله عليه وسلم مامن صوت أحب الى الله من صوت عبد مذنب تائب يقول يارب فيقول الرب لبيك ياعبدى سل ماتريد أنت عندى كبعض ملائكتى أنا عن يمينك وعن شمالك وفوقك وقريب من ضمير قلبك اشهدوا ياملائكتى انى قد غفرت له (قال ذو النون المصرى) رحمه الله ان لله عبادا نصبوا أشجار الخطايا نصب روامق القلوب وسقوها بماء التوبة فأثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتلذذوا من غير عى ولا بكم وانهم هم البلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكأس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولهت قلوبهم فى الملكوت وجالت أفكارهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرؤا صحيفة الخطايا فاورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا الى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت أرواحهم فى العلا حتى أناخوا فى رياض النعيم وخاضوا فى بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة وأقلعوا برياح النجاة فى بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة

(الباب الثامن عشر فى فضل الترحم)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة الا رحيم قالوا يارسول الله كلنا رحيم قال ليس الرحيم من يرحم نفسه خاصة ولكن الرحيم من يرحم نفسه وغيره ومعنى رحمته لنفسه أن يرحمها من عذاب الله تعالى بترك المعاصى والتوبة منها وفعل الطاعات والاخلاص فيها ومعنى رحمته لغيره أن لا يسعى فى أذية المسلم قال صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم الناس من يده ولسانه ويرحم البهائم فلا يكلفها ما لا تطيق فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشى فى الطريق فاشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل بها وشرب ثم طلع فاذا كلب يلهث من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى بلغ منى فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله تعالى فغفر له قالوا يارسول الله ان لنا فى البهائم لأجرا قال فى كل ذات كبد رطبة أجر وعن أنس بن مالك قال بينما عمر رضى الله عنه يعس ذات ليلة اذ مر برفقة قد نزلت تخشى عليهم السرقة فلقى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فقال ما الذى جاء بك فى هذه الساعة ياأمير المؤمنين قال مررت برفقة قد نزلت فخذتنى نفسى انهم اذا باتوا ناموا فخشيت عليهم السارق فانطلق بنا نحرسهم قال فانطلقا فقعدا قريبا من الرفقة يحرسان حتى اذا طلع الفجر نادى عمر رضى الله عنه ياأهل الرفقة الصلاة حتى اذا رآهم تحركوا انصرف فعلينا أن نقتدى

بالصحابة رضى الله عنهم فقد مدحهم الله تعالى بقوله رحماء بينهم وكانوا رحماء على المسلمين وعلى جميع الخلق وكانوا يرحمون أهل الذمة فقد روى عن عمر رضى الله عنه انه رأى رجلا من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس وهو شيخ كبير فقال له عمر رضى الله عنه ما أنصفناك أخذنا منك الجزية مادمت شابا ثم ضيعناك اليوم وأمر بأن يجرى عليه قوته من بيت مال المسلمين وروى عن على رضى الله عنه قال رأيت عمر رضى الله عنه على قتب وهو يعدو بالابطح فقلت له ياأمير المؤمنين أين تصير قال بعير ند من الصدقة فأنا اطلبه فقلت له لقد أذللت الخلفاء من بعدك فقال لا تلمنى ياأبا الحسن فو الذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة لو أن عناقا ذهب بشاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة لانه لا حرمة لوال ضيع المسلمين ولا لفاسق روع المؤمنين وعن الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بدلاء أمتى لا يدخلون الجنة بكثرة صلاة ولا صيام ولكن يدخلونها بسلامة الصدور وسخاوة النفوس والرحمة لجميع المسلمين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء وعنه صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له وقال مالك بن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من حق المسلمين عليك ان تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان تعود مريضهم وان تحب تائبهم وروى ان موسى عليه السلام قال يارب باى شئ اتخذتنى صفيا قال برحمتك على خلقى وعن أبى الدرداء رضى الله عنه انه كان يتبع الصبيان فيشترى منهم العصافير فيرسلها ويقول اذهبى فعيشى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادّهم وتواصلهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر *(حكاية)* مر عابد من بنى اسرائيل على كثيب من رمل وقد أصابت بنى اسرائيل مجاعة عظيمة فتمنى فى نفسه ان هذا لو كان دقيقا لاشبع به بنى اسرائيل فأوحى الله الى نبى بنى اسرائيل ان قل لفلان ان الله تعالى قد أوجب لك من الاجر مالو كان دقيقا وأشبعت به الناس ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله (حكى) ان عيسى عليه السلام خرج يوما فلقى ابليس وبيده عسل وفى الاخرى رماد فقال ما تفعل يا عدو الله بهذا العسل والرماد قال أما العسل فأجعله على شفاه المغتابين حتى يبلغوا منها وأما الرماد فأضعه على وجه اليتامى حتى يبغضهم الناس وقال صلى الله عليه وسلم ان اليتيم اذا ضرب اهتز عرش الرحمن لبكائه فيقول الله عز وجل ياملائكتى من أبكى هذا الصبى الذى غيبت أباه فى التراب وقال صلى الله عليه وسلم من آوى يتيما الى طعامه وشرابه أوجب الله له الجنة وفى روضة العلماء كان ابراهيم عليه السلام اذا أراد أن يأكل طعاما مشى الميل والميلين يطلب من يأكل معه وبكى على كرم الله وجهه يوما فقيل ما يبكيك قال لم يأتنى ضيف منذ سبعة أيام فأخاف ان يكون الله قد أهاننى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطعم جائعا يريد به وجه الله وجبت له الجنة ومن منع الطعام عن الجائع منع الله عنه فضله يوم القيامة وعذبه فى النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخى قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار وقال صلى الله عليه وسلم الجاهل السخى أحب الى الله من العابد البخيل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة يدخل الجنة

أربعة بغير حساب العالم الذى يعمل بعلمه ومن حج ولم يرفث ولم يفسق حتى مات والشهيد الذى قتل فى المعركة لاعلاء كلمة الاسلام والسخى الذى اكتسب مالا من الحلال وأنفقه فى سبيل الله بغير رياء فهؤلاء يتنازع بعضهم بعضا أيهم يدخل الجنة أولا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع على العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها الى غيره وقال صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية الى الارض فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن الى الجنة وعن جابر رضى الله عنه قال قيل يارسول الله أى الاعمال أفضل قال الصبر والسماحة وروى المقدام بن شريح عن أبيه عن جده قال قلت يارسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام

(الباب التاسع عشر فى بيان الخشوع فى الصلاة)

جاء فى الخبر ان جبريل عليه السلام جاء يوما الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله كنت رأيت ملكا فى السماء على سرير وحوله سبعون ألف ملك صفوفا يخدمونه وكل نفس يتنفس ذلك الملك يخلق الله من نفسه ملكا والآن رأيت ذلك الملك على جبل قاف منكسر الجناح وهو يبكى فلما رآنى قال أتشفع لى قلت ما جرمك قال كنت على السرير ليلة المعراج فمر بى محمد صلى الله عليه وسلم فما قمت له فعاقبنى الله بهذه العقوبة وجعلنى فى هذا المكان كما ترى قال فتضرعت الى الله فشفعت له فقال الله تعالى ياجبريل قل له حتى يصلى على محمد فصلى ذلك الملك عليك فعفا الله عنه وأنبت جناحيه (اعلم) أنه ورد أن أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة فان وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وان وجدت ناقصة ردت اليه وسائر عمله وقال صلى الله عليه وسلم مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى وقال يزيد الرقاشى كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجلين من أمتى ليقومان الى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلاتيهما ما بين السماء والارض وأشار الى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله يوم القيامة الى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده وقال صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهى بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتنى ومن صلى صلاة لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهى سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتنى حتى اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وقال صلى الله عليه وسلم أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته وقال ابن مسعود رضى الله عنه الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى ومن طفف فقد علم ما قال الله ويل للمطففين وقال بعض العلماء مثل المصلى مثل التاجر الذى لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال وكذلك المصلى لا تقبل له نافلة حتى يؤدى الفريضة وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول اذا حضرت الصلاة قوموا الى ناركم التى أوقدتموها فأطفؤها وقال صلى الله عليه وسلم انما الصلاة تمسكن وتواضع وقال صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله

الا بعدا وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء والمنكر وقال صلى الله عليه وسلم كم من قائم وليس له من قيامه الا التعب والنصب وما أراد به الا الغافل وقال صلى الله عليه وسلم ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها وقال أهل المعرفة الصلاة أربعة أشياء الشروع مع العلم والقيام مع الحياء والاداء مع التعظيم والخروج مع الخوف وقال بعض المشايخ من لم يجمع قلبه على الحقيقة فسدت صلاته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنة نهر يقال له الافيح فيه حوارى خلقهن الله من الزعفران يلعبن بالدر والياقوت يسبحن الله بسبعين ألف لغة أصواتهن أطيب من صوت داود عليه السلام ويقلن نحن لمن صلى صلاته بالخشوع والحضور فيقول الله تعالى لاسكننه دارى ولاجعلنه من زوارى (وروى) ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام ياموسى اذا ذكرتنى فاذكرنى وأنت تنتفض أعضاؤك وكن عند ذكرى خاشعا مطمئنا واذا ذكرتنى فاجعل لسانك من وراء قلبك واذا قمت بين يدى فقم قيام العبد الذليل وناجنى بقلب وجل ولسان صادق وروى ان الله تعالى أوحى اليه قل لعصاة أمتك لا يذكرونى فانى آليت على نفسى ان من ذكرنى ذكرته فاذا ذكرونى ذكرتهم باللعنة هذا فى عاص غير غافل فى ذكره فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان قال بعض الصحابة رضى الله عنهم يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم فى الصلاة من الطمأنينة والهدو ومن وجود النعيم بها واللذة ورأى النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته فى صلاته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وقال من لم يخشع قلبه ردت صلاته واعلم ان الله مدح الخاشعين المتواضعين فى الصلاة فى غير آية فقال فى صلاتهم خاشعون على صلواتهم يحافظون على صلاتهم دائمون قيل ان المصلين كثير والخاشعين فى الصلاة قليل والحاج كثير والبار قليل والطير كثير والعندليب قليل والعالم كثير والعامل قليل والصلاة محل الخضوع ومعدن التواضع والخشوع وهذا علامة القبول فان للجواز شرطا وللقبول شرطا فشرط الجواز أداء فرضها وشرط القبول الخشوع قال تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون الآية والتقوى قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين وقال صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين مقبلا فيهما على الله بقلبه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (واعلم) انه لا يلهى عن الصلاة الا الخواطر الواردة الشاغلة فلا بد من دفعها ودفعها قد يكون بالصلاة فى مظلم أو خال عن الشوغل من الاصوات والفرش المنقوشة والتجرد عن الملابس المزينة بحيث تلهيه اذا نظر اليها فى الصلاة كما روى انه صلى الله عليه وسلم لما لبس الخميصة التى أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته وقال اذهبوا بها الى أبى جهم فانها ألهتنى آنفا عن صلاتى وأمر صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه فى صلاته اذ كان جديدا فأمر أن ينزع منها ويرد الشراك الخلق وكان صلى الله عليه وسلم فى يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال شغلنى هذا نظرة اليه ونظرة اليكم وروى ان أبا طلحة صلى فى حائط له فيه شجر فأعجبه دبسى طار فى الشجر يلتمس مخرجا فأتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصابه من الفتنة ثم قال يارسول الله هو صدقة فضعه كيف شئت (وعن رجل آخر) انه صلى فى حائط له والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليها فأعجبته ولم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمان رضى الله عنه وقال هو صدقة فاجعله فى سبيل الله عز وجل فباعه عثمان بخمسين ألفا وقال بعض

السلف أربعة فى الصلاة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصا وان تصلى بطريق من يمر بين يديك قال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل مقبل على المصلى مالم يلتفت وكان الصديق رضى الله عنه فى صلاته كأنه وتد وبعضهم كان يسكن فى ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كأنه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدى من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدى ملك الملوك (وفى التوراة) مكتوب يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدى مصليا باكيا فانا الله الذى اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نورى وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه فى الاسلام وما أكمل لله تعالى صلاة قيل وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله عز وجل فيها وسئل أبو العالية عن قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هو الذى يسهو فى صلاته فلا يدرى على كم ينصرف أعلى شفع أم على وتر وقال الحسن هو الذى يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لا ينجو منى عبدى الا باداء ما افترضته عليه

(الباب العشرون فى بيان الغيبة والنميمة)

اعلم ان الله سبحانه وتعالى نص على ذم الغيبة فى كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وقال صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا فان الرجل قد يزنى ويتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبها وقالوا مثل من يغتاب الناس كمثل من نصب منجنيقا فهو يرمى به يمينا وشمالا فهو يرمى بحسناته كذلك وقال صلى الله عليه وسلم من رمى أخاه بغيبة يريد بها شينه أوقفه الله تعالى على جسر جهنم يوم القيامة حتى يخرج مما قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغيبة ذكرك أخاك بما يكره أى سواء ذكرته بنقصان بدنه أو نسبه أو فعله أو قوله أو دينه أو دنياه حتى فى ثوبه وردائه ودابته حتى ذكر بعض المتقدمين لو قلت ان فلانا ثوبه طويل أو قصير يكون ذلك غيبة فكيف ذكرك ما يكره من نفسه وروى ان امرأة قصيرة دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض حاجاتها فلما خرجت قالت عائشة رضى الله عنها ما أقصرها فقال النبى صلى الله عليه وسلم اغتبتيها يا عائشة وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان فيها ثلاث آفات لا يستجاب لصاحبها دعاء ولا تقبل له حسنة وتتراكم عليه السيآت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذم النميمة شر الناس يوم القيامة ذو وجهين النمام الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه من كان ذا وجهين فى الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة نمام فان قيل ما الحكمة فى ان الله تعالى خلق كل مخلوق ذا لسان ناطق وغير ناطق وليس للسمك لسان أصلا فقيل لان الله تعالى لما خلق آدم أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا كلهم الا ابليس فلعنه الله وأخرجه من الجنة ومسخه فأهبط الى الارض فجاء الى البحار فأول ما رآه السمك فأخبره بخلق آدم وقال انه يصطاد ويأخذ دواب البحر والبر فبلغ السمك دواب البحر بخبر آدم فاذهب الله لسانه (حكى) عن عمرو بن دينار أنه قال كان رجل من أهل المدينة له أخت فى ناحية المدينة فاشتكت

فكان يأتيها يعودها ثم ماتت وجهزها وحملها الى القبر فلما دفنت رجع الى أهلها ثم ذكر ان له كيسا كان معه فضيعه فى القبر فاستعان برجل من أصحابه فأتيا القبر فنبشاه فوجدا الكيس فقال للرجل تنح عنى حتى أنظر على أى حال هى فرفع بعض ما على اللحد فاذا القبر يشتعل نارا فرجع الى أمه فقال أخبرينى علام كانت أختى فقالت كانت اختك تأتى أبواب الجيران فتلقى اذنها الى أبوابهم حتى تستمع الحديث لكى تمشى بالنميمة فعلم ان هذا سبب عذاب القبر فمن أراد أن ينجو من عذاب القبر فليحترز من النميمة والغيبة (وحكى) عن أبى الليث البخارى انه خرج حاجا فجعل فى جيبه درهمين وحلف ان اغتبت أحدا فى طريق مكة ذاهبا أو آيبا فلله على ان أتصدق بهما فذهب الى مكة ورجع الى منزله والدرهمان فى جيبه فقيل له فى ذلك قال لأن أزنى مائة مرة أحب الى من ان اغتاب مرة واحدة قال أبو حفص الكبير لو لم أصم رمضان أحب الى من ان أغتاب انسانا ثم قال من اغتاب فقيها جاء يوم القيامة مكتوبا على وجهه هذا آيس من رحمة الله وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسرى بى على أقوام يخمشون وجوههم باظافيرهم ويأكلون الجيفة فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس فى الدنيا وقال الحسن رضى الله عنه والله للغيبة أسرع فى دين الرجل المؤمن من الاكلة فى الجسد وقال أبو هريرة رضى الله عنه يبصر أحدكم القذى فى عين أخيه ولا يبصر الجذع فى عين نفسه وروى أن سلمان كان فى سفر مع أبى بكر وعمر وكان يطبخ لهما فنزلوا منزلا فلم يتهيأ أن يصلح لهم من الطعام فبعثاه الى النبى صلى الله عليه وسلم لينظر عنده شيأ من الطعام فلم يجد فرجع اليهما فقالا انه لو ذهب الى بئر كذا ليبس ماؤها فنزلت هذه الآية ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل لحم أخيه فى الدنيا قدم اليه لحمه يوم القيامة ويقال كله ميتا فانك أكلته حيا فيأكله ثم تلا قوله تعالى أيحب أحدكم أن يأكل لحم اخيه ميتا وروى عن جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنه ان ريح الغيبة كانت تبين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لقلتها وأما فى هذه الازمان فقد كثرت الغيبة وامتلأت الانوف منها فلا تميز رائحتها ومثل ذلك كمثل رجل دخل دار الدباغين فلم يقدر على القرار فيها من شدة الرائحة ونتنها وأهلها المقيمون فيها يأكلون الطعام ويشربون فيها ولا تتبين لهم تلك الرائحة المنتنة لانها ملأت أنوفهم فكذلك أمر الغيبة فى أيامنا هذه (قال كعب) رضى الله عنه قرأت فى بعض الكتب أن من مات تائبا من الغيبة كان آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها كان أول من يدخل النار وقال الله تعالى ويل لكل همزة لمزة أى أشد العذاب للهمزة الذى يعيبك فى الغيب واللمزة الذى يعيبك فى وجهك والآية نزلت فى الوليد بن المغيرة وكان يغتاب النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين فى وجوههم ويجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فانها أشد من الزنا قالوا كيف تكون الغيبة أشد من الزنا قال ان الرجل يزنى ثم يتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يعفو عنه صاحبه فالواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ليخرج من حق الله ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته وقال صلى الله عليه وسلم من اغتاب أخاه المسلم حول

الله وجهه الى دبره يوم القيامة وينبغى لصاحب الغيبة أن يستغفر الله تعالى قبل القيام من المجلس وقبل أن تصل الى المغتاب لانه اذا تاب صاحب الغيبة قبل وصولها الى المغتاب تقبل توبته أما اذا بلغته فلا يرتفع عنه الاثم بالتوبة مالم يجعله فى حل وكذلك اذا زنى بامرأة لها زوج فبلغه الخبر لا يرتفع بالتوبة مالم يجعله فى حل وأما ترك الصلاة والزكاة والصوم والحج فلا يرتفع بالتوبة بل بقضاء الفائت من ذلك والله أعلم

(الباب الحادى والعشرون فى بيان الزكاة)

قال الله تعالى والذين هم للزكاة فاعلون يعنى يؤدون وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جنبه وظهره اى ويوسع جسمه لها كلها وان كثرت كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار الحديث وقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل للاغنياء من الفقراء يوم القيامة يقولون ظلمونا حقوقنا التى فرضت عليهم فيقول الله تعالى وعزتى وجلالى لأدنينكم ولاباعدنهم ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم وروى انه صلى الله عليه وسلم مر ليلة أسرى به على قوم على أدبارهم رقاع وعلى أقبالهم رقاع يسرحون كما تسرح الانعام الى الضريع والزقوم ورضف جهنم قال من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد (وحكى) ان جماعة من التابعين خرجوا لزيارة أبى سنان فلما دخلوا عليه وجلسوا عنده قال قوموا بنا نزور جارا لنا مات أخوه ونعزيه فيه قال محمد بن يوسف الفريابى فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه فجعلنا نعزيه ونسليه وهو لا يقبل تسلية ولا عزاء فقلنا له أما تعلم أن الموت سبيل لابد منه قال بلى ولكن أبكى على ما أصبح وأمسى فيه أخى من العذاب فقلنا له قد أطلعك الله على الغيب قال لا ولكن لما دفنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس جلست عند قبره واذا صوت من قبره يقول آه أفردونى وحيدا أقاسى العذاب قد كنت أصوم قد كنت أصلى قال فأبكانى كلامه فنبشت عنه التراب لانظر ما حاله واذا القبر يلتهب عليه نارا وفى عنقه طوق من نار فحملتنى شفقة الاخوة ومددت يدى لأرفع الطوق من رقبته فاحترقت أصابعى ويدى ثم أخرج الينا يده فاذا هى سوداء محترقة قال فرددت عليه التراب وانصرفت فكيف لا أبكى على حاله وأحزن عليه فقلنا فما كان أخوك يعمل فى الدنيا قال كان لا يؤدى الزكاة من ماله قال فقلنا هذا تصديق قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وأخوك عجل له العذاب فى قبره الى يوم القيامة قال ثم خرجنا من عنده وأتينا أباذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرنا له قصة الرجل وقلنا له يموت اليهودى والنصرانى ولا نرى فيهم ذلك فقال

أولئك لاشك انهم فى النار وانما يريكم الله فى أهل الايمان لتعتبروا قال الله تعالى فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ وجاء فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مانع الزكاة عند الله بمنزلة اليهود والنصارى ومانع العشر عند الله تعالى بمنزلة المجوس ومن يمنع الزكاة والعشر من ماله ملعون على لسان الملائكة والنبى صلى الله عليه وسلم ولا تقبل شهادته وقال طوبى له ان أدى الزكاة والعشر وطوبى لمن ليس عليه عذاب الزكاة وعذاب يوم القيامة ومن أدى الزكاة من ماله رفع الله عنه عذاب القبر وحرم الله لحمه على النار وأوجب له الجنة بغير حساب ولا يصله عطش يوم القيامة

(الباب الثانى والعشرون فى بيان الزنا)

قال الله سبحانه وتعالى والذين هم لفروجهم حافظون أى عن الفواحش وعما لا يحل لهم كما قال الله تعالى فى آية أخرى ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن يعنى ما كبر وهو الزنا وما صغر وهو القبلة واللمس والنظر كما جاء فى الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم انه قال اليدان تزنيان والرجلان تزنيان والعينان تزنيان قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم الآية قد أمر الله تعالى الرجال والنساء بغض البصر عن الحرام وبحفظ الفرج عن الحرام وقد حرم الله الزنا فى ايات كثيرة قال الله تعالى ومن يفعل ذلك يلق أثاما يعنى عقابا فى النار ويقال واديا فى النار ويقال جب فى النار اذا فتح فيه صاح أهل جهنم من خبث رائحته وروى عن بعض الصحابة انه قال اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلاثة فى الدنيا وثلاثة فى الآخرة فأما التى فى الدنيا فنقصان الرزق وقطع الاجل وسواد الوجه وأما التى فى الآخرة فغضب الله وشدة الحساب ودخول النار وروى ان موسى عليه السلام قال يارب ما لمن زنى قال الله تعالى ألبسه درعا من النار لو وضع على جبل شاهق لاصبح رمادا وورد ان امرأة فاجرة أحب الى ابليس من ألف فاجر وفى المصابيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج منه الايمان وكان فوق رأسه كالظلة فاذا خرج من ذلك العمل رجع اليه الايمان وفى كتاب الاقناع قال النبى صلى الله عليه وسلم مامن ذنب أعظم عند الله من نطفة يضعها الرجل فى رحم من لا تحل له واللواط أشد من الزنا لما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من لاط لا يجد رائحة الجنة وان رائحتها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام (وحكى) ان عبد الله بن عمر كان جالسا على باب داره فرأى غلاما جميلا فدخل عبد الله هاربا وأغلق بابه فلما مكث ساعة قال هل ذهبت هذه الفتنة أم لا فقالوا ذهبت فخرج من الدار فقيل له يا عبد الله ما فعل هذا فى نفسك أسمعت فيه شيأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النظر اليهم حرام والكلام معهم حرام ومجالستهم حرام قال القاضى الامام رحمه الله سمعت بعض المشايخ يقول ان مع كل امرأة شيطانا ومع كل غلام ثمانية عشر شيطانا وروى من قبل غلاما بشهوة عذبه الله تعالى فى النار خمسمائة عام ومن قبل امرأة بشهوة فكأنما زنى بسبعين بكرا ومن زنى بالبكر فكأنما زنى بسبعين ألف ثيب (وفى رونق التفاسير) قال الكلبى ان أول من عمل عمل قوم لوط ابليس لعنه الله فتصور لهم فى صورة غلام أمرد جميل ثم دعاهم الى نفسه فنكحوه فصار ذلك عادة لهم فى كل

غريب فارسل اليهم لوط عليه السلام فنهاهم عن ذلك ودعاهم الى عبادة الله وتوعدهم على اصرار المعصية بعذاب الله فقالوا له ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فسأل لوط عليه السلام ربه أن ينصره عليهم فقال رب انصرنى على القوم المفسدين فأمر الله السماء أن تمطر عليهم الحجارة مكتوب على كل حجر اسم من رمى به وهو معنى قوله مسومة عند ربك أى معلمة أى عليها علامة فى خزائن الله أو فى حكمه (وحكى) ان رجلا تاجرا من قوم لوط كان بمكة فجاء حجر ليصيبه فى الحرم فقالت الملائكة للحجر ارجع من حيث جئت فان الرجل فى حرم الله فرجع الحجر فوقف خارج الحرم أربعين يوما بين السماء والارض حتى قضى الرجل تجارته فلما خرج أصابه الحجر خارجا عن الحرم فاهلكه وكان لوط قد أخرج امرأته معه ونهى من تبعه أن لا يلتفت خلفه الا امرأة لوط فانها لما سمعت هذا العذاب التفتت وقالت واقوماه فأدركها حجر فوقع على رأسها فقتلها قال مجاهد لما أصبحوا غدا جبريل على قريتهم وقلعها من أركانها ثم أدخل جناحه ثم حملها على خوافى جناحه بما فيها ثم صعد بها الى السماء حتى سمع أهل السماء صياح ديكتهم ونباح كلابهم ثم قلبها فكان أول ما سقط منها سرادقها فلم يصب قوما ما أصابهم ثم ان الله طمس على أعينهم ثم قلبت قريتهم وهى خمس مدائن أكبرها سذوم وهى المؤتفكات المذكورة فى سورة براءة يقال كان فيها أربعة آلاف ألف

(الباب الثالث والعشرون فى صلة الرحم وحقوق الوالدين)

قال تعالى واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام أى واتقوا الارحام أن تقطعوها * وقال تعالى فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم * وقال تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الارض أولئك هم الخاسرون * وقال تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار * وأخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم والترمذى وقال حديث حسن صحيح وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد عن أبى بكرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ذنب أجدر أى أحق أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم والشيخان لا يدخل الجنة قاطع قال سفيان يعنى قاطع رحم وأحمد بسند رواته ثقات ان أعمال بنى آدم تعرض كل خميس وليلة جمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم والبيهقى انه أتانى جبريل عليه السلام فقال هذه ليلة النصف من شعبان ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعر غنم كلب لا ينظر الله فيها الى مشرك ولا الى مشاحن ولا الى قاطع رحم ولا الى مسبل أى ازاره خيلاء ولا الى عاق لوالديه ولا الى مدمن خمر الحديث وابن حبان وغيره ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن الخمر

وقاطع

وقاطع الرحم ومصدق بالسحر وأحمد مختصرا وابن أبى الدنيا والبيهقى يبيت قوم من هذه الامة على طعم وشرب ولهو ولعب فيصبحوا قد مسخوا قردة وخنازير وليصيبنهم خسف وقذف حتى يصبح الناس فيقولون خسف الليلة ببنى فلان وخسف الليلة بدار فلان خواص ولترسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قبائل فيها وعلى دور ولترسلن عليهم الريح العقيم التى أهلكت عادا على قبائل فيها وعلى دور بشربهم الخمر ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وأكلهم الربا وقطيعتهم الرحم وخصلة نسيها جعفر والطبرانى فى الاوسط عن جابر رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مجتمعون فقال يا معشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم فانه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم واياكم والبغى فانه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة بغى واياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء انما الكبرياء لله رب العالمين والاصبهانى كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يجالسنا اليوم قاطع رحم فقام فتى من الحلقة فأتى خالة له قد كان بينهما بعض الشئ فاستغفر لها فاستغفرت له ثم عاد الى المجلس فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم وهذا مؤيد لما روى ان أبا هريرة رضى الله عنه كان يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحرج على كل قاطع رحم الا قام من عندنا فقام شاب الى عمة له قد صارمها منذ سنين فصالحها فسألته عن السبب فذكره لها فقالت ارجع واسأله لم ذاك فرجع فسأله فقال لانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم والطبرانى ان الملائكة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم والطبرانى بسند صحيح عن الاعمش قال كان ابن مسعود رضى الله عنه جالسا بعد الصبح فى حلقة فقال أنشد الله قاطع رحم لما قام عنا فانا نريد أن ندعو ربنا وان أبواب السماء مرتجة أى بضم ففتح والجيم مخففة مغلقة دون قاطع رحم والشيخان الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله وأبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح واعترض تصحيحه بأنه منقطع ورواية وصله قال البخارى خطأ عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته أو قال بتته أى قطعته وأحمد باسناد صحيح ان من أربى الربا الاستطالة فى عرض المسلم بغير حق وان هذه الرحم شجنة من الرحمن عز وجل فمن قطعها حرم الله عليه الجنة وأحمد باسناد جيد قوى وابن حبان فى صحيحه ان الرحم شجنة من الرحمن تقول يا رب انى قطعت يا رب انى أسئ الى يا رب انى ظلمت يا رب فيجيبها ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك والشجنة بكسر أوله المعجم وضمه واسكان الجيم القرابة المشتبكة كاشتباك العروق ومعنى من الرحمن أى مشتق لفظها من لفظ اسمه الرحمن كما يأتى فى الحديث على الاثر والبزار باسناد حسن الرحم حجنة متمسكة بالعرش تكلم بلسان ذلق اللهم صل من وصلنى واقطع من قطعنى فيقول الله تبارك وتعالى أنا الرحمن الرحيم وانى شققت الرحم من اسمى فمن وصلها وصلته ومن بتكها بتكته الحجنة بفتح الحاء المهملة والجيم وتخفيف النون صنارة المغزل أى الحديدة العقفاء التى يعلق بها الخيط ثم يفتل الغزل والبتك القطع

والبزار ثلاث متعلقات بالعرش الرحم تقول اللهم انى بك فلا أقطع والامانة تقول اللهم انى بك فلا أخان والنعمة تقول اللهم انى بك فلا أكفر والبزار واللفظ له والبيهقى الطابع معلق بقائمة العرش فاذا اشتكت الرحم وعمل بالمعاصى واجترئ على الله تعالى بعث الله الطابع فيطبع على قلبه فلا يعقل بعد ذلك شيأ وأخرج الشيخان من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت* وأخرجا أيضا من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ أى يؤخر وهو بضم أوله وتشديد ثالثه المهمل وبالهمز له فى أثره أى أجله فليصل رحمه وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن يبسط له فى رزقه أو ينسأ له فى أثره فليصل رحمه رواه البخارى والترمذى ولفظه قال تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة فى الاهل مثراة فى المال منسأة فى الاثر أى بها الزيادة فى العمر وعبد الله ابن الامام أحمد فى زوائد المسند والبزار باسناد جيد والحاكم من سره أن يمد له فى عمره ويوسع له فى رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه والبزار باسناد لا بأس به والحاكم وصححه انه صلى الله عليه وسلم قال مكتوب فى التوراة من أحب أن يزاد فى عمره وفى رزقه فليصل رحمه وأبو يعلى ان الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما فى العمر ويدفع بهما ميتة السوء ويدفع بهما المكروه والمحذور وأبو يعلى باسناد جيد عن رجل من خثعم قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى نفر من أصحابه فقلت أنت الذى تزعم انك رسول الله قال نعم قال قلت يا رسول الله أى الاعمال أحب الى الله قال الايمان بالله قلت يا رسول الله ثم مه قال ثم صلة الرحم قلت يا رسول الله أى الاعمال أبغض الى الله قال الاشراك بالله قلت يا رسول الله ثم مه قال قطيعة الرحم قلت يا رسول الله ثم مه قال ثم الامر بالمنكر والنهى عن المعروف والبخارى ومسلم واللفظ له عرض اعرابى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى سفر فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ثم قال يا رسول الله أو يا محمد أخبرنى بما يقربنى من الجنة ويباعدنى من النار فكف النبى صلى الله عليه وسلم ثم نظر فى أصحابه ثم قال لقد وفق هذا أو لقد هدى قال كيف قلت فأعادها فقال النبى صلى الله عليه وسلم تعبد الله لا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصل الرحم دع الناقة وفى رواية وتصل ذا رحمك فلما أدبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تمسك بما أمرته به دخل الجنة والطبرانى باسناد حسن ان الله ليعمر بالقوم الديار ويثمر لهم الاموال وما نظر اليهم منذ خلقهم بغضا لهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال بصلتهم أرحامهم وأحمد بسند رواته ثقات الا أن فيه انقطاعا انه من أعطى الرفق فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة وصلة الرحم وحسن الجوار وحسن الخلق يعمرن الديار ويزدن فى الاعمار وأبو الشيخ وابن حبان والبيهقى يا رسول الله من خير الناس قال أتقاهم للرب وأوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر والطبرانى وابن حبان فى صحيحه واللفظ له عن أبى ذر رضى الله عنه قال أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير أوصانى أن لا أنظر الى من هو فوقى وأن أنظر الى من هو دونى وأوصانى بحب المساكين والدنو منهم وأوصانى أن أصل رحمى وان أدبرت وأوصانى أن لا أخاف فى الله لومة لائم وأوصانى أن أقول الحق وان كان مرا وأوصانى أن أكثر من لا حول ولا قوة الا بالله فانها

كنز من كنوز الجنة والشيخان وغيرهما عن ميمونة رضى الله عنها انها أعتقت وليدة لها ولم تستأذن النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذى يدور عليها فيه قالت أشعرت يا رسول الله انى أعتقت وليدتى قال أو فعلت فقالت نعم قال اما انك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لاجرك وابن حبان والحاكم أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل فقال انى أذنبت ذنبا عظيما فهل لى من توبة قال هل لك من أم قال لا قال وهل لك من خالة قال نعم قال فبرها والبخارى وغيره ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها والترمذى وقال حسن لا تكونوا امعة تقولون ان أحسن الناس أحسنا وان ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا وان أساؤا أن لا تظلموا والامعة بكسر ففتح وتشديد فمهملة هو الذى لا رأى له فهو يتبع كل واحد على رأيه ومسلم يا رسول الله ان لى قرابة أصل ويقطعونى وأحسن اليهم ويسيؤن الى وأحلم عليهم ويجهلون على فقال ان كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل أى بفتح وتشديد الرماد الحار ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك والطبرانى وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم أفضل الصدقة صدقة على ذى الرحم الكاشح أى الذى يضمر عداوته فى كشحه أى خصره كناية عن باطنه وهو فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم وتصل من قطعك والبزار والطبرانى والحاكم وصححه واعترض بأن فيه واهيا ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته قالوا وما هى يا رسول الله قال تعطى من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك فاذا فعلت ذلك يدخلك الجنة وأحمد باسنادين أحدهما رواته ثقات عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده فقلت يا رسول الله أخبرنى بفواضل الاعمال فقال يا عقبة صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك زاد الحاكم ألا ومن أراد أن يمد فى عمره ويبسط فى رزقه فليصل رحمه والطبرانى بسند محتج به ألا أدلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وأن تعفو عمن ظلمك والطبرانى ان أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتصفح عمن شتمك والبزار ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات وفى رواية للطبرانى ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع به الدرجات قالوا نعم يا رسول الله قال تحلم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك وابن ماجه أسرع الخير ثوابا البر وصلة الرحم وأسرع الشر عقوبة البغى وقطيعة الرحم والطبرانى ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر له فى الآخرة من قطيعة الرحم والخيانة والكذب وان أعجل البر ثوابا الصلة الرحم حتى ان أهل البيت ليكونون فجرة فتنمو أموالهم ويكثر عددهم اذا تواصلوا

(الباب الرابع والعشرون فى بر الوالدين)

أخرج الشيخان عن ابن مسعود رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى العمل أحب الى الله تعالى قال الصلاة لوقتها قلت ثم أى قال بر الوالدين قلت ثم اى قال الجهاد فى سبيل الله ومسلم وغيره لا يجزى ولد والده الا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه ومسلم أقبل رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الاجر من

الله تعالى قال فهل من والديك أحد حى قال نعم بل كلاهما حى قال فتبتغى الاجر من الله قال نعم
قال فارجع الى والديك فأحسن صحبتهما وأبو يعلى والطبرانى بسند جيد أتى رجل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال انى أشتهى الجهاد ولا أقدر عليه قال هل بقى من والديك أحد قال
أمى قال فاسأل الله فى برها فاذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد والطبرانى يارسول الله
انى أريد الجهاد فى سبيل الله قال أمك حية قال نعم قال صلى الله عليه وسلم الزم رجلها فثم
الجنة وابن ماجه يارسول الله ماحق الوالدين على ولدهما قال هما جنتك ونارك وابن ماجه
والنسائى واللفظ له والحاكم وصححه يارسول الله أردت ان أغزو وقد جئت أستشيرك فقال
هل لك من أم قال نعم قال الزمها فان الجنة عند رجليها وفى رواية صحيحة ألك والدان قال نعم
قال الزمهما فان الجنة تحت أرجلهما والترمذى وصححه عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن
رجلا أتاه فقال ان لى امرأة وان أمى تأمرنى بطلاقها فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فان شئت فأضع ذلك الباب أواحفظه وابن حبان فى صحيحه ان
رجلا أتى أبا الدرداء فقال ان أبى لم يزل بى حتى زوجنى وانه الآن يأمرنى بطلاقها قال ما أنا بالذى
آمرك ان تعق والديك ولا بالذى آمرك ان تطلق زوجتك غير أنك ان شئت حدثتك بما سمعت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فحافظ على ذلك ان
شئت أودع قال وأحسب عطاء قال فطلقها وأصحاب السنن الاربعة وابن حبان فى صحيحه
وقال الترمذى حديث حسن صحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان تحتى امرأة أحبها
وكان عمر يكرهها فقال لى طلقها فأبيت فأتى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له
فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقها وأحمد بسند صحيح من سره أن يمد له فى عمره ويزاد
فى رزقه فليبر والديه وليصل رحمه وأبو يعلى وغيره وصححه الحاكم من بر والديه طوبى له زاد
الله فى عمره وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه واللفظ له والحاكم وصححه ان الرجل ليحرم الرزق
بالذنب يصيبه ولا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد فى العمر الا البر وفى رواية للترمذى وقال حسن
غريب لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد فى العمر الا البر والحاكم وصححه عفوا عن نساء الناس
تعف نساؤكم وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم ومن أتاه أخوه متنصلا فليقبل ذلك محقا كان أو مبطلا
فان لم يفعل لم يرد على الحوض والطبرانى باسناد حسن بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا
تعف نساؤكم ومسلم رغم أنفه ثم رغم أنفه اى لصق بالرغام وهو التراب من الذل
قيل من يارسول الله قال من أدرك والديه عنده الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة أو لا يدخلانه
الجنة والطبرانى بأسانيد أحدها حسن صعد النبى صلى الله عليه وسلم المنبر فقال آمين آمين آمين
ثم قال أتانى جبريل عليه السلام فقال يا محمد من أدرك أحد أبويه ثم لم يبرهما فمات فدخل
النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين فقال يا محمد من أدرك شهر رمضان فمات فلم يغفر له فأدخل
النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين قال ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل
النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين ورواه ابن حبان فى صحيحه الا أنه قال فيه ومن أدرك أبويه
أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين ورواه الحاكم وغيره
وقال فى آخره فلما رقيت الثالثة قال بعد من أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه

الجنة قلت آمين ورواه الطبرانى وفيه من أدرك والديه أو أحدهما فلم يبرهما دخل النار فأبعده
الله وأسحقه قلت آمين وأحمد من طرق أحدها حسن من أعتق رقبة مسلمة فهى فداؤه من
النار ومن أدرك أحد والديه ثم لم يغفر له فأبعده الله زاد فى رواية وأسحقه والشيخان يارسول
الله من أحق الناس بحسن صحابتى قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم
من قال أبوك والشيخان عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت قدمت على أمى وهى
مشركة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
قدمت على أمى وهى راغبة أى عن الاسلام أو فيما عندى أفأصل أمى قال نعم صلى أمك
وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم رضا الله فى رضا الوالد أو قال الوالدين
وسخط الله فى سخط الوالد أو قال الوالدين وفى رواية للطبرانى طاعة الله فى طاعة الوالد أو قال
الوالدين ومعصيته فى معصية الوالد أو قال الوالدين وفى أخرى للبزار رضا الرب تبارك وتعالى فى
رضا الوالدين وسخط الرب تبارك وتعالى فى سخط الوالدين والترمذى واللفظ له وابن حبان فى
صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل فقال انى أذنبت ذنبا
عظيما فهل لى من توبة قال هل لك من أم قال لا قال فهل لك من خالة قال نعم قال فبرها وأبو داود
وابن ماجه يارسول الله هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما أى
الدعاء لهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التى لا توصل الا بهما
واكرام صديقهما ورواه ابن حبان فى صحيحه بزيادة قال الرجل ما أكثر هذا يارسول الله
وأطيبه قال فاعمل به ومسلم ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لقيه رجل من الاعراب بطريق
مكة فسلم عليه عبد الله بن عمر وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه قال ابن
دينار فقلنا أصلحك الله انهم الاعراب وهم يرضون باليسير فقال عبد الله بن عمر ان أبا هذا كان
ودا لعمر بن الخطاب وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أبر البر صلة الولد أهل
ود أبيه وابن حبان فى صحيحه عن أبى بردة رضى الله عنه قال قدمت المدينة فأتانى عبد الله بن عمر
فقال أتدرى لم أتيتك قلت لا قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أحب ان يصل
أباه فى قبره فليصل اخوان أبيه بعده وانه كان بين أبى عمر وبين أبيك اخاء وود فأحببت ان أصل
ذلك وفى حديث الصحيحين وغيرهما المشهور بروايات متعددة ان ثلاثة نفر ممن كان قبلنا
خرجوا يتماشون ويرتادون لاهليهم فأخذهم المطر حتى أووا الى غار فى الجبل فانحدرت على فمه
صخرة فسدته فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعوا بصالح أعمالكم وفى رواية فقال
بعضهم لبعض انظروا أعمالا عملتموها لله عز وجل صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها وفى أخرى
فقال بعضهم لبعض عفا الاثر ووقع الحجر ولا يعلم بمكانكم الا الله فادعوا الله بأوثق أعمالكم
فقال أحدهم اللهم انه كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بى
طلب شجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن
أغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا
فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من الصخرة
ففرجت شيأ لا يستطيعون الخروج وفى رواية ولى صبية صغار كنت أرعى فاذا أرحت عليهم

فحلبت بدأت بوالدى أسقيهما قبل ولدى وانه نأى بى طلب شجرة يوما فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رؤسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمى فلم يزل ذلك دأبى ودأبهما حتى طلع الفجر فان كنت تعلم انى قد فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء وذكر الآخر عفته عن الزنا بابنة عمه والآخر تنميته لمال أجير فانفرجت عنهم كلها وخرجوا يتماشون

(الباب الخامس والعشرون فى الزكاة والبخل)

قال الله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة سماهم المشركين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد لا يؤدى زكاة ماله الا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع حتى يطوق به عنقه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر المهاجرين خمس خصال ان ابتليتم بهن ونزلت بكم أعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها الا فشا فيهم الاوجاع التى لم تكن فى أسلافهم ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا المطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلط عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض ما فى أيديهم ومالم يحكم أئمتهم بكتاب الله الا جعل الله بأسهم بينهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض البخيل فى حياته السخى عند موته وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم أقسم الله تعالى لا يدخل الجنة بخيل وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والبخل فان البخل دعا قوما فمنعوا زكاتهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم ودعاهم فسفكوا دماءهم وقال صلى الله عليه وسلم خلق الله اللؤم فحفه بالبخل والمال (وسئل) الحسن رضى الله عنه عن البخل قال هو أن يرى الرجل ما أنفق تلفا وما أمسك شرفا وأصل البخل حب المال وطول الامل وخوف الفقر وحب الولد ففى الحديث الولد مجبنة مبخلة ومن الناس من لا يسمح باداء زكاة ماله ولا بالاحسان الى نفسه وعياله وانما لذته ورغبته فى رؤية دنانيره وكونها فى قبضته وهو عالم أنه يموت وفى مثله يقول الشاعر

أأخى ان من الرجال بهيمة * فى صورة الرجل اللبيب المبصر
فطن بكل مصيبة فى ماله * فاذا أصيب بدينه لم يشعر

(وقال آخر)

البخل داء دوى لا يليق بذى * مروءة لا ولا عقل ولا دين
من آثر البخل عن وفر وعن جدة * فقد لعمرى أضحى وهو مغبون
يا بؤس من منع الدارين حقهما * فباع دنياه بعد الدين بالدون

(وقال آخر)

اذا المال لم ينفع صديقا ولم يصب * قريبا ولم يجبر به حال معدم

فعقباه ان تحتازه كف وارث * وللباخل الموروث عقبى التندم

وقال بشر لقاء البخيل كرب والنظر اليه يقسى القلب وكانت العرب تتعاير بالبخل والجبن وقال الشاعر

انفق ولا تخش اقلالا فقد قسمت * على العباد من الرحمن أرزاق
لا ينفع البخل مع دنيا مولية * ولا يضر مع الاقبال انفاق

(وقال آخر)

أرى الناس خلان الجواد ولا أرى * بخيلا له فى العالمين خليل
وانى رأيت البخل يزرى باهله * فاكرمت نفسى أن يقال بخيل

وكفى بالبخيل خسة أن يجمع لغيره ويحتمل معرة ضيره ولا ينال لذة وفره وخيره وفى مثله يقول وكيع

لئيم لا يزال يلم وفرا * لوارثه ويدفع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاو * فريسته ليأكلها سواه

وفى الحكم المنثورة بشر مال البخيل بحادث أو وارث وقال أبو حنيفة رحمه الله لا أرى ان أعدل بخيلا لان البخل يحمله على الاستقصاء فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يغبن فمن كان هكذا لا يكون مأمون الامانة ولقى يحيى عليه السلام ابليس فقال له يا ابليس أخبرنى بأحب الناس اليك وأبغض الناس اليك قال أحب الناس الى المؤمن البخيل وأبغض الناس الى الفاسق السخى قال له لماذا قال لان البخيل قد كفانى بخله والفاسق السخى أتخوف أن يطلع الله عليه فى سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى لما أخبرتك

(الباب السادس والعشرون فى طول الامل)

قال صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف عليكم اثنتان طول الامل واتباع الهوى وان طول الامل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق وقال صلى الله عليه وسلم انا زعيم لثلاثة بثلاثة للمكب على الدنيا والحريص عليها والشحيح بها بفقر لا غنى بعده وشغل لا فراغ منه وهم لا فرح معه وعن أبى الدرداء رضى الله عنه انه اشرف على أهل حمص فقال ألا تستحيون تبنون مالا تسكنون وتاملون مالا تدركون وتجمعون مالا تأكلون ان الذين كانوا قبلكم بنوا شديدا وجمعوا كثيرا وأملوا بعيدا فاصبحت مساكنهم قبورا وآمالهم غرورا وجمعهم بورا وقال على بن أبى طالب لعمر رضى الله عنهما اذا أردت أن تلقى صاحبيك فارقع قميصك واخصف نعلك واقصر أملك وكل دون الشبع (وأوصى) آدم ابنه شيثا عليهما السلام بخمسة أشياء وأمره أن يوصى بها أولاده من بعده أولها قال له قل لاولادك لا تطمئنوا للدنيا فانى اطمأننت بالجنة الباقية فأخرجنى الله منها والثانى قل لهم لا تعملوا بهوى نسائكم فانى عملت بهوى امرأتى وأكلت من الشجرة فلحقتنى الندامة والثالث قل لهم كل عمل تريدونه فانظروا عاقبته فانى لو نظرت عاقبة الامر لم يصبنى ما أصابنى والرابع اذا اضطربت قلوبكم بشئ فاجتنبوه فانى حين أكلت من الشجرة اضطرب قلبى فلم أرجع فلحقنى الندم والخامس استشيروا فى الامور فانى لو شاورت الملائكة لم يصبنى ما أصابنى وقال مجاهد قال لى عبد الله بن عمر اذا أصبحت فلا تحدث

نفسك بالمساء واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك قبل موتك ومن صحتك قبل سقمك فانك لا تدرى ما اسمك غدا وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه أيريد كلكم ان يدخل الجنة قالوا نعم يارسول الله قال قصروا الامل واستحيوا من الله حق الحياء قالوا كلنا نستحيى من الله تعالى قال ليس ذلك بالحياء ولكن الحياء من الله تعالى ان تذكروا المقابر والبلى وتحفظوا الجوف وما وعى والرأس وما حوى ومن يشتهى كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا فهنالك استحياء العبد من الله حق الحياء وبها يصيب العبد ولاية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم أول صلاح هذه الامة بالزهد واليقين وهلاك آخرها بالبخل والامل وروى عن أم المنذر انها قالت اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية الى الناس فقال أيها الناس أما تستحيون من الله قالوا وماذاك يارسول الله قال تجمعون مالا تأكلون وتأملون مالا تدركون وتبنون مالا تسكنون وعن أبى سعيد الخدرى قال اشترى اسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون من اسامة المشترى الى شهر ان أسامة لطويل الامل والذى نفسى بيده ما طرفت عيناى الا ظننت ان شفرى لا يلتقيان حتى يقبض الله روحى ولا رفعت طرفى فظننت انى واضعه حتى أقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت انى لا أسيغها حتى أغص بها من الموت ثم قال يا بنى آدم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى والذى نفسى بيده انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب فاقول له يارسول الله ان الماء منك قريب فيقول ما يدرينى لعلى لا أبلغه وروى أنه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاثة أعواد فغرز عودا بين يديه والآخر الى جنبه وأما الثالث فأبعده فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا الانسان وهذا الاجل وذاك الامل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الاجل دون الامل (وقيل) بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الارض فقال عيسى اللهم انزع منه الامل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم اردد عليه الامل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال بينما أنا أعمل اذ قالت لى نفسى الى متى تعمل وأنت شيخ كبير فالقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لى نفسى والله لابد لك من عيش ما بقيت فقمت الى مسحاتى

(الباب السابع والعشرون فى ملازمة الطاعة وترك الحرام)

معنى الطاعة القيام بفروض الله تعالى والاجتناب لمحارمه والوقوف عند حدوده قال مجاهد فى قول الله عز وجل ولا تنس نصيبك من الدنيا هو ان يعمل العبد بطاعة الله تعالى واعلم ان أصل الطاعة العلم بالله والخوف من الله والرجاء فى الله والمراقبة لله فاذا تجرد العبد عن هذه الخصال لم يدرك حقيقة الايمان لانه لا تصح الطاعة لله الا بعد العلم به والايمان بوجوده خالقا عالما قادرا لا يحيط به علم ولا يتصوره وهم ليس كمثله شىء وهو السميع البصير قال اعرابى لمحمد بن على ابن الحسين رضى الله عنهم هل رأيت الله حين عبدته قال لم أكن أعبد من لم أره قال كيف رأيته قال لم تره الابصار بمشاهدة العيان لكن رأته القلوب بحقيقة الايمان لا يدرك بالحواس

ولا

ولا يشبه بالناس معروف بالآيات منعوت بالعلامات لا يجور فى القضيات ذلك الله لا اله الا هو رب الارض والسموات فقال الاعرابى الله أعلم حيث يجعل رسالاته (سئل) بعض العارفين عن علم الباطن فقال هو سر من أسرار الله يقذفه فى قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا (روى) أن كعب الاحبار قال لو أن بنى آدم بلغوا من اليقين مثقال حبة من عظمة الله عز وجل لمشوا على الماء والريح اه فسبحان من جعل الاقرار بالعجز عن ادراك معرفته ايمانا كما جعل اقرار المنعم عليه بالعجز عن ادراك شكره شكرا قال محمود الوراق

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة * علىّ له فى مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها * وان مس بالضراء أعقبها الاجر
وما منهما الا له فيه نعمة * تضيق لها الاوهام والبر والبحر

واذا ثبت العلم بالربوبية تعين الاقرار بالعبودية واذا تقرر الايمان فى القلب وجبت الطاعة للرب والايمان نوعان ظاهر وباطن فالظاهر النطق باللسان والباطن الاعتقاد بالقلب والمؤمنون متباينون فى منازل القرب متفاوتون فى درجات الطاعة والايمان جامع لهم بقدر حظ كل واحد منهم من الموهبة وتمكنه من علو المرتبة فى الاخلاص لله والتوكل عليه والرضا بحكمه فأما الاخلاص فأن لا يطلب العبد بما يعمل جزاء من الخالق والله خلقكم وما تعملون فان كانت الطاعة رجاء للمثوبة وخوفا من العقوبة فذلك العبد لا يكون كامل الاخلاص فانه لنفسه سعى روى انه صلى الله عليه وسلم قال لا يكن أحدكم كالكلب السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط أجرا لم يعمل وقال تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة وانما تعينت علينا عبادته ووجبت طاعته بما سبق له من الفضل علينا وتقدم له من الاحسان الينا فضلا عن كونه أمرنا بها ليرتب الجزاء عليها فضلا ويجازى من ضل عنها عدلا وأما التوكل فهو الاعتماد على الله سبحانه عند الحاجة والاستناد اليه مع الضرورة والثقة به عند النازلة مع سكون النفس وطمأنينة القلب فالمتوكلون على ربهم علموا أنه المقدر والاسباب تحت حكم الخالق المدبر لا يركنون لآباء ولا أبناء ولا أموال ولا صنائع بل صرفوا بهديه جميع الامور اليه ولم يعتمدوا فى حال من الاحوال الا عليه ومن يتوكل على الله فهو حسبه وأما الرضا فهو طيب النفس بما يجرى به المقدور قال بعض العلماء أقرب الناس الى الله أرضاهم بما قسم لهم ومن كلام الحكماء رب مسرة هى الداء ومرض هو الشفاء كما قال

كم نعمة مطوية * لك بين أثناء النوائب
ومسرة قد أقبلت * من حيث ترتقب المصائب
فاصبر على حدثان دهرك * فالامور لها عواقب
ولكل كرب فرجة * ولكل خالصة شوائب

وحسبنا قول الله عز وجل وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم (واعلم) انه لن يستكمل العبد طاعة ربه الا برفض الدنيا وفى بعض الحكم ابلغ المواعظ ما لم يحجبها عن القلب حاجب وهذه

الحجب انما هى عوارض الدنيا ومن كلامهم الدنيا ساعة فاجعلها طاعة قال أبو الوليد الباجى

اذا كنت أعلم علما يقينا * بأن جميع حياتى كساعه
فلم لا أكون ضنينا بها * وأجعلها فى صلاح وطاعه

وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى أكره الموت قال ألك مال قال نعم قال قدم مالك فان المرء عند ماله وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال البر فى ثلاثة فى النطق والنظر والصمت فمن كان منطقه فى غير ذكر الله فقد لغا ومن كان نظره فى غير اعتبار فقد سها ومن كان صمته فى غير فكر فقد لها وترك الدنيا يكون باطراح الفكرة فى أحوالها وترك التمنى بلذاتها فان الفكرة تبعث الارادة لتعلق النفس بالفكرة (وليحذر) من ارسال النظر فيما لا يحل فانه سهم صائب وسلطان غالب قال عليه الصلاة والسلام النظر سهم من سهام ابليس فمن تركها مخافة الله تعالى أعقبه ايمانا يجد طعمه فى قلبه ومن كلام الحكماء من أطلق طرفه كثر أسفه ادمان النظر يكشف الخبر ويفضح البشر ويطول به المكث فى سقر احفظ عينيك فانك ان أطلقتهما أوقعتاك فى مكروه وان ملكتهما ملكت سائر جوارحك (قيل لافلاطون) أيهما أشد ضررا بالقلب السمع أم البصر قال هما للقلب كالجناحين للطائر لا يستقل الا بهما ولا ينهض الا بقوتهما وربما قص أحدهما فانهض بالآخر على تعب ومشقة وقال محمد بن ضوء كفى بالعبد نقصانا عند الله وضعة عند ذوى العقول أن ينظر الى كل ما يسنح له (رأى بعض الزهاد) رجلا يضحك الى غلام فقال له ياخرب العقل والقلب وياخرب الطرف أما تستحى من كرام كاتبين وملائكة حافظين يحفظون الافعال ويكتبون الاعمال وينظرون اليك ويشهدون عليك بالبلاء الظاهر والغل الدخيل المخامر الذى أقمت نفسك فيه مقام من لا يبالى من وقف عليه ونظر من الخلق اليه وللقاضى الارجانى

تمتعتما يا ناظرى بنظرة * فاوردتما قلبى أشر الموارد
أعيناى كفا عن فؤادى فانه * من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

وقال على كرم الله وجهه العيون مصائد الشيطان والعين أنفذ الجوارح سرعة وأشدها صرعة فمن أتبع جوارحه نفسه فى طاعة ربه فقد وصل أمله ومن أتبع جوارحه نفسه فى نيل لذته فقد أحبط عمله وأنشدوا

اذا ما صفت نفس المريد لطاعة * ولما تشبها للمعاصى شوائب
وأتبعها فعل الجوارح كلها * فتلك عليه أنعم ومواهب
تلقته فى دار الخلود كرامة * اذا جب للعاصى سنام وغارب

قال عبد الله بن المبارك أصل الايمان التصديق بما جاءت به الرسل فمن صدق القرآن خرج الى العمل به ونجا من الخلود فى النار ومن اجتنب المحارم خرج الى التوبة ومن أخذ القوت من حله خرج الى الورع ومن أدى الفرائض صح اسلامه ومن صدق لسانه سلم من التبعات ومن رد المظالم نجا من القصاص ومن أتى بالسنن زكت أعماله ومن أخلص لله قبل عمله وروى عن أبى الدرداء انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أوصنى قال له اكتسب طيبا واعمل صالحا وسل الله رزق يوم ليوم وعد نفسك من الموتى (وليحذر) من الاعجاب بالعمل فانه

من أعظم الآفات وأحبط للاعمال فان المعجب بعمله ممتن على ربه وما يدريه أقبل منه أم رد عليه رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا (وليحذر أيضا) من الرياء قيل فى قوله تعالى وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون قيل عملوا أعمالا كانوا يرونها فى الدنيا من الحسنات فبدت لهم يوم القيامة من السيآت وكان بعض السلف اذا قرأ هذه الآية قال ويل لاهل الرياء وقيل أيضا فى قوله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه أحدا أى لا يظهرها رياء ولا يخفيها حياء روى عن ابن مسعود أن آخر ما نزل من القرآن واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون قال محمد بن بشير

مضى أمسك الادنى شهيدا معدلا * ويومك هذا بالفعال شهيد
فان تك بالامس اقترفت اساءة * فثن باحسان وأنت حميد
ولا ترج فعل الخير منك الى غد * لعل غدا يأتى وأنت فقيد

(وقال غيره)

تعجل الذنب بما تشتهى * وتأمل التوبة فى قابل
والموت يأتى بعد ذا غفلة * ماذا لفعل الحازم العاقل

وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما نال وحسن الصبر على ما قد فات وفى بعض الحكم المنثورة من صبر على البلاء وصل الى الوفاء قال

عليك بالصبر ان نابتك نائبة * من الزمان ولا تركن الى الجزع
وان تعرضت الدنيا بزينتها * فالصبر عنها دليل الخير والورع
فجاهد النفس قسرا فيهما أبدا * تلق الذى ترتجيه غير ممتنع

(وقال آخر)

الصبر مفتاح ما يرجى * ولم يزل دائما يعين
فاصبر وان طالت الليالى * فربما ساعد الحزون
وربما نيل باصطبار * ما قيل هيهات لا يكون

(وقال آخر)

الصبر أوثق عروة الايمان * ومجنة من نزغة الشيطان
الصبر فيه عواقب محمودة * والطيش فيه عواقب الخسران
فاذا لقيت من الزمان ملمة * وكذاك فينا عادة الازمان
فتدرع الصبر الجميل تيقنا * ان التصبر رائد الرضوان

والصبر له فروع صبر على الفرائض بالمواظبة عليها بكمالها فى أحب أوقاتها وصبر على النوافل وصبر على أذى الاصحاب والجار وصبر على الامراض وصبر على الفقر والصبر عن المعاصى وعن الشهوات وعن الشبهات وعن فضول جميع جوارح البدن وغير ذلك

(الباب الثامن والعشرون فى بيان ذكر الموت)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم اللذات معناه نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلوا على الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمينا وقالت عائشة رضى الله عنها يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة وانما سبب هذه الفضيلة كلها أن ذكر الموت يوجب التجافى عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة والغفلة عن الموت تدعو الى الانهماك فى شهوات الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت وانما قال هذا لان الدنيا سجن المؤمن اذ لا يزال فيها فى عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق تحفة فى حقه وقال صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم وأراد بهذا المسلم حقا المؤمن صدقا الذى يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصى الا باللمم والصغائر فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر واقامته الفرائض قال عطاء الخراسانى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلى فيه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت وقال أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالموت مفرقا وقال عليه السلام كفى بالموت واعظا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت أما والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فأحسنوا الثناء عليه فقال كيف ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هنالك وقال ابن عمر رضى الله عنهما أتيت النبى صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من أكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله فقال أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له أولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخر وقال الحسن رحمه الله تعالى فضح الموت الدنيا فلم يترك لذى لب فرحا وقال الربيع بن خيثم ما غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت وكان يقول لا تشعروا بى أحدا وسلونى الى ربى سلا (وكتب) بعض الحكماء الى رجل من اخوانه يا أخى احذر الموت فى هذه الدار قبل أن تصير الى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده وكان ابن سيرين اذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة وقال ابراهيم التيمى شيئان قطعا عنى لذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدى الله عز وجل وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها وقال مطرف رأيت فيما يرى النائم كأن قائلا يقول فى وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم الا والهين وقال أشعث كنا ندخل على الحسن فانما هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت وقالت صفية رضى الله عنها ان امرأة اشتكت الى عائشة رضى الله عنها قساوة قلبها فقالت أكثرى ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضى الله عنها وكان عيسى عليه السلام اذا ذكر الموت عنده يقطر جلده دما وكان داود عليه السلام اذا ذكر الموت والقيامة يبكى حتى تنخلع أوصاله فاذا ذكر

الرحمة رجعت اليه نفسه وقال الحسن ما رأيت عاقلا قط الا أصبته من الموت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظنى فقال أنت أول خليفة تموت قال زدنى قال ليس من آبائك أحد الى آدم الا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك وكان الربيع بن خيثم قد حفر قبرا فى داره فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبى ساعة واحدة لفسد وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير ان هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة أكثر ذكر الموت فان كنت واسع العيش ضيقه عليك وان كنت ضيق العيش وسعه عليك وقال أبو سليمان الدرانى قلت لام هرون أتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته (قال أبو موسى التميمى) توفيت امرأة الفرزدق فخرج فى جنازتها وجوه البصرة وفيهم الحسن رضى الله عنه فقال الحسن يا أبا فراس ماذا أعددت لهذا اليوم فقال شهادة أن لا اله الا الله منذ ستين سنة فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها فقال

أخاف وراء القبر ان لم تعافنى * أشد من القبر التهابا وأضيقا
اذا جاءنى يوم القيامة قائد * عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى * الى النار مغلول القلادة أزرقا

وقد أنشدوا فى أهل القبور

قف بالقبور وقل على ساحاتها * من منكم المغمور فى ظلماتها
ومن المكرم منكم فى قعرها * قد ذاق برد الأمن من روعاتها
أما السكون لذى العيون فواحد * لا يستبين الفضل فى درجاتها
لو جاوبوك لأخبروك بألسن * تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيع فنازل فى روضة * يفضى الى ما شاء من دوحاتها
والمجرم الطاغى بها متقلب * فى حفرة يأوى الى حياتها
وعقارب تسعى اليه فروحه * فى شدة التعذيب من لدغاتها

وقال مالك بن دينار مررت بالمقبرة فانشأت أقول

أتيت القبور فناديتها * فاين المعظم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه * وأين المزكى اذا ما افتخر

قال فنوديت من بينها أسمع صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول

تفانوا جميعا فما مخبر * وماتوا جميعا ومات الخبر
تروح وتغدو بنات الثرى * فتمحو محاسن تلك الصور
فيا سائلى عن أناس مضوا * أمالك فيما ترى معتبر

(وجد مكتوب على قبر)

تناجيك أجداث وهن صموت * وسكانها تحت التراب خفوت
أيا جامع الدنيا لغير بلاغة * لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

(وقال ابن السماك مررت على المقابر فاذا على قبر مكتوب)

يمرّ أقاربي جنبات قبري * كأن أقاربي لم يعرفوني
ذووا الميراث يقتسمون مالي * وما يألون ان جحدوا ديوني
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا * فيالله أسرع ما نسوني

(ووجد على قبر مكتوبا)

ان الحبيب من الاحباب مختلس * لا يمنع الموت بوّاب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها * يا من يعدّ عليه اللفظ والنفس
أصبحت يا غافلا فى النقص منغمسا * وأنت دهرك فى اللذات منغمس
لا يرحم الموت ذا جهل لغرّته * ولا الذى كان منه العلم يقتبس
كم أخرس الموت فى قبر وقفت به * عن الجواب لسانا ما به خرس
قد كان قصرك معمورا له شرف * فقبرك اليوم فى الاجداث مندرس

(ووجد على قبر مكتوبا)

وقفت على الاحبة حين صفت * قبورهم كافراس الرهان
فلما بكيت وفاض دمعى * رأت عيناى بينهم مكانى

(ووجد على قبر طبيب مكتوبا)

قد قلت لما قال لى قائل * قد صار لقمان الى رمسه
فأين من يوصف من طبه * وحذقه فى الماء مع جسه
هيهات لا يدفع عن غيره * من كان لا يدفع عن نفسه

(ووجد على قبر آخر مكتوبا)

يا أيها الناس كان لى أمل * قصر بى عن بلوغه الاجل
فليتق الله ربه رجل * أمكنه فى حياته العمل
ما أنا وحدى نقلت حيث ترى * كل الى مثله سينتقل

(الباب التاسع والعشرون فى ذكر السموات والاجناس المختلفة)

روى أوّل ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بنظر الهيبة فذابت وارتعدت من خوف ربها فصارت ماء ثم نظر اليها بنظر الرحمة فجمد نصفها فخلق منه العرش فارتعد العرش فكتب الله عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن العرش وترك الماء على حاله يرتعد الى يوم القيامة وذلك قوله تعالى وكان عرشه على الماء ثم تلاطم وتموج وصعدت منه أدخنة وارتفع بعضها مترا كما على بعض وكان له زبد فخلق الله تعالى منه السموات والارض طباقا فكانتا رتقا فخلق الريح فيها ففتق بين اطباق السماء واطباق الارض كما أخبر سبحانه وتعالى بقوله ثم استوى الى السماء وهى دخان قال أهل الحكمة انما خلق الله تعالى السماء من دخان ولم يخلقها من بخار لان الدخان خلق متماسك الاجزاء يستقر منتهاه والبخار متراجع وذلك من كمال علمه سبحانه وحكمته ثم نظر تعالى الى الماء بعين الرحمة فجمد كما جاء فى الحديث *(فائدة)* بين سماء الدنيا والارض وكذا بين كل سماء وسماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك وقيل ان السماء الدنيا أشدّ بياضا من اللبن

واغا

واغا اخضرت من خضرة جبل قاف واسم تلك السماء رقيعة والثانية من حديد تتلألأ نورا واسمها فيدوم أو ماعون والثالثة من نحاس يقال لها الملكوت أو هاريون والرابعة من فضة بيضاء يكاد نورها يخطف الابصار واسمها الزاهرة والخامسة من ذهب أحمر يقال لها المزينة أو المسهرة والسادسة من جوهرة تتلألأ نورا واسمها الخالصة والسابعة من ياقوتة حمراء واسمها اللابية أو الدامعة وفيها البيت المعمور له أربعة أركان ركن من ياقوتة حمراء وركن من زبرجدة خضراء وركن من فضة بيضاء وركن من ذهب أحمر وورد أن البيت المعمور من العقيق يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا يعودون اليه الى يوم القيامة والمعتمد أن الارض أفضل من السماء لان الانبياء خلقوا منها ودفنوا فيها وأفضل طبقات الارض أعلاها لما ذكر ولانه محل انتفاع العالم (وعن ابن عباس) أفضل السموات هى التى يلى سقفها عرش الرحمن وهى الكرسى لقربها من العرش ولان جميع النجوم المنتفع بها مثبتة فيها غير السبعة السيارة أما هى فمثبتة فى السموات السبع فزحل فى السابعة وهو ليوم السبت والمشترى فى السادسة وهو ليوم الخميس والمريخ فى الخامسة وهو ليوم الثلاثاء والشمس فى الرابعة وهو ليوم الاحد والزهرة فى الثالثة وهى ليوم الجمعة وعطارد فى الثانية وهو ليوم الاربعاء والقمر فى الاولى وهو ليوم الاثنين (نكتة لطيفة) من عجيب صنع البارى تبارك وتعالى أن خلق السموات السبع من دخان مع كون كل سماء لا تشبه صاحبتها وأنزل من السماء ماء فأخرج به من أنواع النبات والاثمار المختلفة اللون والطعم كما قال تعالى ونفضل بعضها على بعض فى الاكل وخلق أولاد آدم على طبقات شتى منهم الابيض والاسود والسهل والحزن والمؤمن والكافر والعالم والجاهل مع ان الاصل آدم فسبحان من أتقن كل شئ خلقه

(الباب الثلاثون فى بيان الكرسى والعرش وبيان الملائكة المقربين والارزاق والتوكل)

قال الله تعالى وسع كرسيه السموات والارض قيل كرسيه مجاز عن علمه وقيل ملكه وقيل الفلك المعروف روى عن على كرّم الله وجهه ان الكرسى لؤلؤة وطوله لا يعلمه الا الله تعالى وفى الخبر ما السموات والارضون السبع مع الكرسى الا كحلقة فى فلاة وأخرج ابن ماجه ان السموات فى جوف الكرسى والكرسى بين يدى العرش (وعن عكرمة) قال الشمس جزء من سبعين جزأ من نور الكرسى والعرش جزء من سبعين جزأ من نور الستور يعنى بها الحجب وورد ان بين حملة العرش وحملة الكرسى سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ولولا ذلك لاحترق حملة الكرسى من نورهم والعرش جسم نورانى علوى فوق الكرسى فهو غيره خلافا للحسن البصرى قيل من ياقوتة حمراء وقيل من جوهرة خضراء وقيل من درّة بيضاء وقيل من نور والاولى الامساك عن القطع بحقيقته ويسميه الفلكيون بالفلك التاسع والفلك الاعلى وفلك الافلاك والفلك الاطلس اى الخالى من الكواكب اذ كلها على ما قال قدماء أهل الهيئة ثوابت فى الفلك الثامن المسمى عندهم بفلك البروج وعند أهل الشرع بالكرسى والعرش سقف المخلوقات فلا شئ يخرج عن دائرته فهو منتهى علم العباد لا مجال للادراك وراءه ولا مطاب لطالب فوقه قال الله تعالى فان تولوا فقل حسبى الله

لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وصفه بالعظم لانه أعظم المخلوقات وقد تحقق صلى الله عليه وسلم بالتوكل كما أمر ولذا سمى فى التوراة وغيرها بالمتوكل كيف والتوكل فرع التوحيد والمعرفة وهو صلى الله عليه وسلم سيد الموحدين ورأس العارفين ولا ينافى التوكل الاخذ فى الاسباب كما قد يتوهم بل هو أيضا مأمور به فقد قال له صلى الله عليه وسلم اعرابى أأعقل ناقتى أم أتركها وأتوكل فقال اعقلها وتوكل وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا أى جياعا وتروح بطانا أى شباعا فاشار بقوله تغدو الى التسبب (حكاية) التقى ابراهيم بن أدهم وشقيق البلخى بمكة فقال له ابراهيم ما بدء امرك الذى بلغك هذا قال مررت ببعض الفلوات فرأيت طيرا مكسور الجناحين فى فلاة من الارض فقلت انظر من أين يرزق هذا فقعدت بحذائه فاذا أنا بطير قد أقبل فى منقاره جرادة فوضعها فى منقار الطير المكسور الجناحين فقلت لنفسى ان الذى قيض هذا الطير لهذا الطير قادر أن يرزقنى حيث كنت فتركت التكسب واشتغلت بالعبادة فقال ابراهيم ولم لا تكون أنت الطير الصحيح الذى أطعم الطير العليل حتى تكون أفضل منه أما سمعت عن النبى صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى ومن علامة المؤمن أن يطلب أعلى الدرجتين فى أموره كلها حتى يبلغ منازل الابرار فأخذ شقيق يد ابراهيم فقبلها وقال انت استاذنا يا أبا اسحق ثم اذا تسبب الانسان فليجتهد أن لا ينظر الى أسبابه ولا يقف عندها بل يجعل مولاه مطمح نظره ومرمى قصده كالسائل يقصد الناس بوعاء فى يده ولا ينظر اليه وانما ينظر الى الذين يعطونه وفى الحديث من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما فى يديه (وقد قيل) لحذيفة المرعشى وكان قد خدم ابراهيم بن أدهم ما أعجب ما رأيت منه فقال بقينا فى طريق مكة أياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأوينا الى مسجد خراب فنظر الى ابراهيم وقال يا حذيفة أرى بك الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال على بدواة وقرطاس فجئت به فكتب بعد البسملة أنت المقصود بكل حال والمشار اليه بكل معنى وكتب

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر * أنا جائع أنا ضائع أنا عارى
هى ستة وأنا الضمين لنصفها * فكن الضمين لنصفها يا بارى
مدحى لغيرك لهب نار خضتها * فاجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع الى الرقعة فقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة الى أول من يلقاك فخرجت فاول من لقينى كان رجلا على بغلة فناولته الرقعة فأخذها فلما وقف عليها بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو فى المسجد الفلانى فدفع الى صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فسألته عن راكب البغلة فقال هذا نصرانى فجئت الى ابراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجىء الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصرانى وأكب على رأس ابراهيم يقبله وأسلم * (فائدة) * قال ابن عباس لما خلق الله تعالى حملة العرش قال لهم احملوا عرشى فلم يطيقوا فخلق مع كل واحد منهم مثل من فى السموات السبع من الملائكة فقال احملوا عرشى فلم يطيقوا فخلق مع كل منهم مثل من فى السموات من الملائكة ومن فى الارض من الخلق وقال احملوا عرشى فلم يطيقوا فقال قولوا لا حول ولا قوة الا بالله فلما قالوها حملوه فنفذت أقدامهم فى الارض

السابعة

السابعة على متن الريح فلما لم تستقر أقدامهم على شىء تمسكوا بالعرش ولم يفتروا عن قولهم لا حول ولا قوة الا بالله خيفة أن ينقلب أحدهم فلا يعرف أين يهوى فهم حاملون للعرش وهو حاملهم والكل محمول بالقدرة وروى من قال اذا أصبح واذا أمسى حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله تعالى ما أهمه صادقا كان بها أو كاذبا وفى رواية كفاه الله ما أهمه من أمر آخرته ودنياه

(الباب الحادى والثلاثون فى ترك الدنيا وذمها)

الآيات الواردة فى ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيها فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على أهلها قالوا من هوانها ألقوها قال والذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال أبو موسى الاشعرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة وقال زيد بن أرقم كنا مع أبى بكر الصديق رضى الله عنه فدعا بشراب فأتى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرون على مسألته قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما أبكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيأ ولم أر معه أحدا فقلت يا رسول الله ما الذى تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لى فقلت لها اليك عنى ثم رجعت فقالت انك ان أفلت منى لم يفلت منى من بعدك وقال صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا وأخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة الى أن زينة الدنيا ستخلق مثل تلك الخرق وان الاجسام التى ترى بها ستصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسلم ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بنى اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا فى الحلية والنساء والطيب والثياب وقال عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام أيضا يا معشر الحواريين انى قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدى فان من خبث الدنيا أن عصى الله فيها وان من خبث الدنيا أن الآخرة لا تدرك الا بتركها ألا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا ان أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة أورثت أهلها حزنا طويلا وقال أيضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا

ينازعنكم فيها الملوك والنساء فاما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يعرضوا لكم ماتركتموهم
ودنياهم وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب
الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجئ الموت
فيأخذ بعنقه وقال موسى بن يسار قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لم يخلق خلقا
أبغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها (وروى) ان سليمان بن داود عليهما السلام مر
فى موكبه والطير تظله والجن والانس عن يمينه وشماله قال فمر بعابد من بنى اسرائيل فقال والله
يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان وقال لتسبيحة فى صحيفة مؤمن خير مما
أعطى ابن داود فان ما أعطى ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم ألهاكم
التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت
أو تصدقت فأبقيت وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع
من لا عقل له وعليها يعادى من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له
وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله فى شئ وألزم الله قلبه أربع
خصال هما لا ينقطع عنه أبدا وشغلا لا يتفرغ منه أبدا وفقرا لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ
منتهاه أبدا وقال أبو هريرة قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعها
بما فيها فقلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدى وأتى بى واديا من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس
أناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم وتأمل
كآمالكم ثم هى اليوم عظام بلا جلد ثم هى صائرة رمادا وهذه العذرات هى ألوان أطعمتهم
اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها فى بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه
الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم
التى كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى
اشتد بكاؤنا ويروى ان الله عز وجل لما أهبط آدم الى الارض قال له ابن للخراب ولد للفناء وقال
داود بن هلال مكتوب فى صحف ابراهيم عليه السلام يا دنيا ما أهونك على الابرار الذين تصنعت
وتزينت لهم انى قذفت فى قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا أهون على منك كل
شأنك صغير والى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومى لأحد ولا يدوم لك أحد وان
بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للابرار الذين أطلعونى من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم
على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندى من الجزاء اذا وفدوا الى من قبورهم الا النور
يسعى أمامهم والملائكة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتى وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الدنيا موقوفة بين السماء والارض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر اليها وتقول
يوم القيامة يا رب اجعلنى لأدنى أوليائك اليوم نصيبا فيقول اسكتى يا لاشئ انى لم أرضك لهم فى
الدنيا أأرضاك لهم اليوم وروى فى أخبار آدم عليه السلام انه لما أكل من الشجرة تحركت
معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا فى شئ من أطعمة الجنة الا فى هذه الشجرة فلذلك
نهيا عن أكلها قال فجعل يدور فى الجنة فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له قل له أى شئ تريد
قال آدم أريد أن أضع ما فى بطنى من الاذى فقيل للملك قل له فى أى مكان تريد أن تضعه أعلى

الفرش أم على السرر أم على الانهار أم تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك اهبط
الى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم
الى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فاذا
عرض لهم شئ من الدنيا وثبوا عليه وقال صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه المؤمن بين مخافتين
بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه فليتزود
العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا
خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة والذى نفسى بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من
دار الا الجنة أو النار وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا والآخرة فى قلب مؤمن كما
لا يستقيم الماء والنار فى اناء واحد وروى أن جبريل عليه السلام قال لنوح عليه السلام
يا أطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا فقال كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من
الآخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا يكنك قال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال
نبينا صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت وعن الحسن قال خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فقال هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه
العمى ويجعله بصيرا ألا انه من رغب فى الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن
زهد فى الدنيا وقصر فيها أمله أعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية ألا انه سيكون بعدكم قوم
لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى ألا فمن
أدرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على
المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين
صديقا وروى أن عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجأ
اليه فوقعت عينه على خيمة من بعيد فأتاها فاذا فيها امرأة فحاد عنها فاذا هو بكهف فى جبل فأتاه
فاذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال الهى جعلت لكل شئ مأوى ولم تجعل لى مأوى فأوحى الله
تعالى اليه مأواك فى مستقر رحمتى لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدى ولأطعمن
فى عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولآمرن مناديا ينادى أين الزهاد فى الدنيا زوروا
عرس الزاهد فى الدنيا عيسى بن مريم وقال عيسى بن مريم عليه السلام ويل لصاحب الدنيا
كيف يموت ويتركها وما فيها وتغره ويأمنها ويثق بها وتخذله وويل للمغترين كيف أرتهم
ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف
يفتضح غدا بذنبه (وقيل) أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى ما لك ولدار الظالمين
انها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هى الا لعامل يعمل فيها
فنعمت الدار هى يا موسى انى مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم وروى أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم أبى عبيدة
فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال أظنكم سمعتم أن
أبا عبيدة قدم بشئ قالوا أجل يا رسول الله قال فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى

عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض فقيل ما بركات الارض قال زهرة الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا أهلها موتى فى الافنية والطرق فقال يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا أنا لو علمنا خبرهم فسأل الله تعالى فأوحى اليه اذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل أشرف على نشز ثم نادى يا أهل القرية فأجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قالوا بتنا فى عافية وأصبحنا فى الهاوية قال وكيف ذاك قالوا بحبنا الدنيا وطاعتنا أهل المعاصى قال وكيف كان حبكم للدنيا قالوا حب الصبى لامه اذا أقبلت فرحنا بها واذا أدبرت حزنا وبكينا عليها قال فما بال أصحابك لم يجيبونى قال لانهم ملجمون بلجم من نار بأيدى ملائكة غلاظ شداد قال فكيف أجبتنى أنت من بينهم قال لانى كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابنى معهم فأنا معلق على شفير جهنم لا أدرى أنجو منها أم أكبكب فيها فقال المسيح للحواريين لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وقال أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء أعرابى بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم انه حق على الله أن لا يرفع شيأ من الدنيا الا وضعه وقال عيسى عليه السلام من الذى يبنى على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علمنا علما واحدا يحبنا الله عليه قال ابغضوا الدنيا يحبكم الله تعالى (وقال أبو الدرداء) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة ثم قال أبو الدرداء من قبل نفسه لو تعلمون ما أعلم لخرجتم الى الصعدات تجأرون وتبكون على أنفسكم ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن غيب عن قلوبكم ذكر الآخرة الامل فصارت الدنيا أملك بأعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التى لا تدع هواها مخافة مما فى عاقبته ما لكم لا تحابون ولا تناصحون وأنتم اخوان على دين الله ما فرق بين أهوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم ما لكم تناصحون فى أمر الدنيا ولا تناصحون فى أمر الآخرة ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على أمر آخرته ما هذا الا من قلة الايمان فى قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لانها أملك لامور كم فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها تكدون أنفسكم بالمشقة والاحتراف فى طلب أمر لعلكم لا تدركونه فبئس القوم أنتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم فى شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فائتونا لنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن اليه قلوبكم والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم انكم تستبينون صواب الرأى فى دنياكم وتأخذون بالحزم فى أموركم ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك فى وجوهكم

ويظهر على ألسنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المآتم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك فى وجوهكم ولا يتغير حالكم انى لارى الله قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله فأصبحتم على الغل ونبتت مراعيكم على الامل وتصافيتم على رفض الاجل ولوددت أن الله تعالى أراحنى منكم وألحقنى بمن أحب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد أسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا وبالله أستعين على نفسى وعليكم (وقال عيسى) عليه السلام يا معشر الحواريين ارضوا بدنىء الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدنىء الدين مع سلامة الدنيا وفى معناه قيل

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا * وما أراهم رضوا فى العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما * استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك الدنيا أبر وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لتأتينكم بعدى دنيا تأكل ايمانكم كما تأكل النار الحطب (وأوحى) الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى لا تركنن الى حب الدنيا فلن تأتينى بكبيرة هى أشد منها ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكى ورجع وهو يبكى فقال موسى يا رب عبدك يبكى من مخافتك فقال يا ابن عمران لو سال دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا (الآثار) قال على رضى الله عنه من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا أولها من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها (وقال الحسن) رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها الى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وقال أيضا رحمه الله من نافسك فى دينك فنافسه ومن نافسك فى دنياك فألقها فى نحره (وقال لقمان عليه السلام) لابنه يا بنى ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وما أراك ناجيا وقال الفضيل طالت فكرتى فى هذه الآية انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا (وقال بعض الحكماء) انك لن تصبح فى شئ من الدنيا الا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك فى أكلة وصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة وان رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر قال يخلق الابدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويبعد الامنية قيل فما حال أهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وفى ذلك قيل

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره * فسوف لعمرى عن قليل يلومها
اذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر وأهلها منها على وجل اما بنعمة زائلة أو بلية نازلة أو منية قاضية وقال بعضهم من عيب الدنيا أنها لا تعطى أحدا ما يستحق لكنها اما أن تزيد واما أن

تنقص (وقال سفيان) أماترى النعم كأنها مغضوب عليها قد وضعت فى غير أهلها وقال أبو سليمان الدارانى من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيأ الا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيأ الا أراد أكثر وليس لهذا غاية ولا لهذا غاية وقال رجل لابى حازم أشكو اليك حب الدنيا وليست لى بدار فقال انظر ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذه الا من حله ولا تضعه الا فى حقه ولا يضرك حب الدنيا وانما قال هذا لانه لو آخذ نفسه بذلك لا تعبه حتى يتبرم بالدنيا و يطلب الخروج منها (وقال يحيى بن معاذ) الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيأ فيجىء فى طلبه فيأخذك وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغى لنا أن نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى (وقال أبو حازم) اياكم والدنيا فانه بلغنى أنه يوقف العبد يوم القيامة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حقره الله وقال ابن مسعود ما أصبح أحد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة وفى ذلك قيل

وما المال والأهلون الا وديعة * ولابد يوما أن ترد الودائع

وزار رابعة أصحابها فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحب شيأ أكثر من ذكره وقيل لابراهيم بن أدهم كيف أنت فقال

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

فطوبى لعبد آثر الله ربه * وجاد بدنياه لما يتوقع

(وقيل أيضا فى ذلك)

أرى طالب الدنيا وان طال عمره * ونال من الدنيا سرورا وأنعما

كبان بنى بنيانه فأقامه * فلما استوى ما قد بناه تهدما

(وقيل أيضا فى ذلك)

هب الدنيا تساق اليك عفوا * أليس مصير ذلك الى انتقال

وما دنياك الا مثل فىء * أظلك ثم آذن بالزوال

وقال لقمان لابنه يا بنى بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا (وقال مطرف بن الشخير) لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال ابن عباس ان الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن أراد منها شيأ فليصبر على معاشرة الكلاب وفى ذلك قيل

يا خاطب الدنيا الى نفسها * تنح عن خطبتها تسلم

ان التى تخطب غدارة * قريبة العرس من المأتم

وقال أبو الدرداء من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وفى ذلك قيل

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

وقيل أيضا

يا راقد الليل مسرورا بأوله * ان الحوادث قد يطرقن أسحارا

أفنى القرون التى كانت منعمة * كر الجديدين اقبالا وادبارا

كم قد أبادت صروف الدهر من ملك * قد كان فى الدهر نفاعا وضرارا

يا من يعانق دنيا لا بقاء له * يمسى ويصبح فى دنياه سفارا

هلا تركت من الدنيا معانقة * حتى تعانق فى الفردوس أبكارا

ان كنت تبغى جنان الخلد تسكنها * فينبغى لك أن لا تأمن النارا

وقال أبو أمامة الباهلى رضى الله عنه لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبى وأخرجت أمة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبون الدنيا ما أبالى أن لا يعبدوا الاوثان وانما أغدو عليهم وأروح بثلاث أخذ المال من غير حقه وانفاقه فى غير حقه وامساكه عن حقه والشر كله من هذا نبع وقال رجل لعلى كرم الله وجهه يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا قال وما أصف لك من دار من صح فيها سقم ومن أمن فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها افتتن فى حلالها الحساب وفى حرامها العقاب وفى متشابهها العتاب وقيل له ذلك مرة أخرى فقال أطول أم أقصر فقيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعنى الدنيا وقال أبو سليمان الدارانى اذا كانت الآخرة فى القلب جاءت الدنيا تزاحمها فاذا كانت الدنيا فى القلب لم تزاحمها الآخرة لان الآخرة كريمة والدنيا لئيمة وهذا تشديد عظيم ونرجو أن يكون ما ذكره سيار بن الحكم أصح اذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان فى القلب فأيهما غلب كان الآخر تبعا له وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله على كرم الله وجهه حيث قال الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضى احداهما تسخط الاخرى (وقال الحسن) والله لقد أدركت أقواما كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذى تمشون عليه ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت ذهبت الى ذا أو ذهبت الى ذا وقال رجل للحسن ما تقول فى رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه أيحسن له أن يتعيش فيه يعنى يتنعم فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره (وقال الفضيل) لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت على حلالا لا أحاسب عليها فى الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة اذا مر بها أن تصيب ثوبه (وقيل) لما قدم عمر رضى الله عنه الشام فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل فسلم وساءله ثم أتى منزله فلم ير فيه الا سيفه وترسه ورحله فقال له عمر رضى الله عنه لو اتخذت متاعا فقال يا أمير المؤمنين ان هذا يبلغنا المقيل وقال سفيان خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك وقال الحسن والله لقد عبدت بنو اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم للدنيا وقال وهب قرأت فى بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمان لابنه يا بنى انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة فأنت الى دار تقرب منها أقرب من دار تباعدت عنها (وقال سعيد بن مسعود) اذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذى يلعب بوجهه وهو لا يشعر وقال عمرو

ابن العاص على المنبر والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم والله ما مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث الا والذى عليه أكثر من الذى له وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا من قال ذا قاله من خلقها ومن هو أعلم بها اياكم وما شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل الأوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب وقال أيضا مسكين ابن آدم رضى بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ان أخذه من حله حوسب به وان أخذه من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته فى دينه ويجزع من مصيبته فى دنياه (وكتب الحسن) الى عمر بن عبد العزيز سلام عليك أما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات فأجابه عمر سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل (وقال الفضيل بن عياض) الدخول فى الدنيا هين ولكن الخروج منها شديد وقال بعضهم عجبا لمن يعرف أن الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك وعجبا لمن رأى تقلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم أن القدر حق كيف ينصب وقدم على معاوية رضى الله عنه رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود لباد الخلق ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ماشئت قال عمر مضى فترده أو أجل حضر فتدفعه قال لا أملك ذلك قال لا حاجة لى اليك وقال داود الطائى رحمه الله يا ابن آدم فرحت ببلوغ أملك وانما بلغته بانقضاء أجلك ثم سوفت بعملك كأن منفعته لغيرك وقال بشر من سأل الله الدنيا فانما يسأله طول الوقوف بين يديه وقال أبو حازم ما فى الدنيا شئ يسرك الا وقد ألصق الله اليه شيأ يسوءك (وقال الحسن) لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا بحسرات ثلاث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما أمل ولم يحسن الزاد لما قدم عليه (وقيل لبعض العباد) قد نلت الغنى فقال انما نال الغنى من عتق من رق الدنيا وقال أبو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا الا من كان فى قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعرى أى عذاب الله ينزل علينا وقال أبو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وقال الحسن أهينوا الدنيا فوالله ما هى لاحد بأهنأ منها لمن أهانها وقال أيضا اذا أراد الله بعبد خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا نفد أعاد عليه واذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا وكان بعضهم يقول فى دعائه يا ممسك السماء أن تقع على الارض الا باذنك أمسك الدنيا عنى وقال محمد ابن المنكدر أرأيت لو أن رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله وجاهد فى سبيل الله واجتنب محارم الله غير انه يؤتى به يوم القيامة فيقال ان هذا عظم فى عينه ما صغره الله وصغر فى عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا وقال أبو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فانك لا تجد عليها أعوانا وأما مؤنة الدنيا فانك لا تضرب بيدك الى شئ منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه وقال أبو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والارض كالشن البالى تنادى ربها منذ خلقها الى يوم يفنيها يا رب يا رب لم تبغضنى فيقول لها اسكتى يالا شئ وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا

والذنوب فى القلب قد احتوشته فتى يصل الخير اليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشئ من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب علمه هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب الى الآخرة وضيع نفسه قيل له انه كان يفعل ويفعل وذكروا أبوابا من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا وقال بعضهم الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هى قال لمن تركها فقيل الآخرة لمن هى قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب وأخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها (وقال الجنيد) كان الشافعى رحمه الله من المريدين الناطقين بلسان الحق فى الدنيا وعظ أخا له فى الله وخوفه بالله فقال يا أخى ان الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها الى الخراب صائر وساكنها الى القبور زائر شملها على الفرقة موقوف وغناها الى الفقر مصروف الاكثار فيها اعسار والاعسار فيها يسار فافزع الى الله وارض برزق الله لا تتسلف من دار فنائك الى دار بقائك فان عيشك فئ زائل وجدار مائل أكثر من عملك وأقصر من أملك (وقال ابراهيم بن أدهم لرجل) أدرهم فى المنام أحب اليك أم دينار فى اليقظة فقال دينار فى اليقظة فقال كذبت لان الذى تحبه فى الدنيا كأنك تحبه فى المنام والذى لا تحبه فى الآخرة كأنك لا تحبه فى اليقظة وعن اسمعيل ابن عياش قال كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون اليك عنا يا خنزيرة فلو وجدوا لها اسما أقبح من هذا لسموها به وقال كعب لتحببن اليكم الدنيا حتى تعبدوها وأهلها وقال يحيى ابن معاذ الرازى رحمه الله العقلاء ثلاثة من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبنى قبره قبل أن يدخله وأرضى خالقه قبل أن يلقاه وقال أيضا الدنيا بلغ من شؤمها أن تمنيك لها يلهيك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كمطفئ النار بالتبن (وقال بندار) اذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون فى الزهد فاعلم انهم فى سخرة الشيطان وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقته نيرانها يعنى الحرص حتى يصير رمادا ومن أقبل على الآخرة صفته بنيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن أقبل على الله عز وجل أحرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لاحد لقيمته وقال على كرم الله وجهه انما الدنيا ستة أشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فأشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب وأشرف المشروبات الماء ويستوى فيه البر والفاجر وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال وأشرف المنكوحات المرأة وهى مبال فى مبال وان المرأة لتزين أحسن شئ منها ويراد أقبح شئ منها وأشرف المشمومات المسك وهو دم

(الباب الثانى والثلاثون فى ذم الدنيا أيضا)

قال بعضهم يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بأمانيها وتزينت لخطابها فأصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة

والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثير بوائقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل ودها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان عليل أو مدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل أو هل الى الطبيب من سبيل فتدعى لك الاطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى ولماله أحصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع أنينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا أخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الاعضاء ثم عرج بها الى السماء فاجتمع عند ذلك اخوانك وأحضرت اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف أهلك الى مالك وبقيت مرتهنا بأعمالك (وقال بعضهم) لبعض الملوك ان أحق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها وأعطى حاجته منها لانه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه أو على جمعه فتفرقه أو تأتى سلطانه فتهدمه من القواعد أو تدب الى جسمه فتسقمه أو تفجعه بشئ هو ضنين به بين أحبابه فالدنيا أحق بالذم هى الآخذة ما تعطى الراجعة فيما تهب بيناهى تضحك صاحبها اذ أضحكت منه غيره وبيناهى تبكى له اذ أبكت عليه وبيناهى تبسط كفه بالاعطاء اذ بسطتها بالاسترداد فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتعفره فى التراب غدا سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقى تجد فى الباقى من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا (وكتب) الحسن البصرى الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فان الدنيا دار ظعن ليست بدار اقامة وانما أنزل آدم عليه السلام من الجنة اليها عقوبة فاحذرها يا أمير المؤمنين فان الزاد منها تركها والغنى منها فقرها لها فى كل حين قتيل تذل من أعزها وتفقر من جمعها هى كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه فكن فيها كالمداوى جراحه يحتمى قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة التى قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وحلت بآمالها وسوفت بخطابها فاصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهى لازواجها كلهم قالية فلا الباقى بالماضى معتبر ولا الآخر بالاول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنها مدكر فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسى المعاد فشغل فيها لبه حتى زلت به قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت وتألمه وحسرات الفوت بغصته وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا أمير المؤمنين وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها فان صاحب الدنيا كلما اطمأن منها الى سرور أشخصته الى مكروه الضار فى أهلها غار والنافع فيها غدا ضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها الى فناء فسرورها مشوب بالاحزان لا يرجع منها ما ولى وأدبر ولا يدرى ما هو آت فينتظر أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها

على خطر ان عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فابى أن يقبلها أذكره أن يخالف على الله أمره أو يحب ما أبغضه خالقه أو يرفع ما وضعه مليكه فزواها عن الصالحين اختبارا وبسطها لاعدائه اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر عليها انه أكرم بها ونسى ما صنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه جل وعز أنه قال لموسى عليه السلام اذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وان شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى بن مريم عليه السلام فانه كان يقول ادامى الجوع وشعارى الخوف ولباسى الصوف وصلائى فى الشتاء مشارق الشمس وسراجى القمر ودابتى رجلاى وطعامى وفاكهتى ما أنبتت الارض أبيت وليس لى شئ وأصبح وليس لى شئ وليس على الارض أحد أغنى منى (وقال وهب بن منبه) لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام الى فرعون قال لا يروعنكما لباسه الذى لبس من الدنيا فان ناصيته بيدى ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس الا باذنى ولا يعجبنكما ما تمتع به منها فانما هو زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت أن أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عما أوتيتما لفعلت ولكنى أرغب بكما عن ذلك فأزوى ذلك عنكما وكذلك أفعل بأوليائى انى لأذودهم عن نعيمها كما يذود الراعى الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة وانى لأجنبهم ملاذها كما يجنب الراعى الشفيق ابله عن منازل الغرة وما ذاك لهوانهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالما موفرا انما يتزين لى أوليائى بالذل والخوف والخضوع والتقوى تنبت فى قلوبهم وتظهر على أجسادهم فهى ثيابهم التى يلبسون ودثارهم الذى يظهرون وضميرهم الذى يستشعرون ونجاتهم التى بها يفوزون ورجاؤهم الذى اياه يأملون ومجدهم الذى به يفخرون وسيماهم التى بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم انه من أخاف لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ثم أنا الثائر له يوم القيامة * وخطب على كرم الله وجهه يوما خطبة فقال فيها اعلموا انكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحياة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها الى زوال وهى بين أهلها دول وسجال لا تدوم أحوالها ولا يسلم من شرها نزالها بينا أهلها منها فى رخاء وسرور اذاهم منها فى بلاء وغرور أحوال مختلفة وتارات منصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وانما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصيهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه فيها موفور واعلموا عباد الله انكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعمارا وأشد منكم بطشا وأعمر ديارا وأبعد آثارا فاصبحت أصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر

والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة فى القبور اللاطية الملحدة فحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب المكان والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلى وأكلتهم الجنادل والثرى وأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد نضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب وسكنوا تحت التراب وظعنوا فليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فكأن قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلى والوحدة فى دار المثوى وارتهنتم فى ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو عاينتم الامور وبعثرت القبور وحصل ما فى الصدور وأوقفتم للتحصيل بين يدى الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ان الله عز وجل يقول ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الآية جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه متبعين لاوليائه حتى يحلنا واياكم دار المقامة من فضله انه حميد مجيد (وقال بعض الحكماء) الايام سهام والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الايام بك وسرعة الليالى فى بدنك لو كشف لك عما أحدثت الايام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتى عليك واستثقلت ممر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وانها لأمر من العلقم اذا عجنها الحكيم وقد أعيت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها وما تأتى به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ اللهم أرشدنا الى الصواب وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها فقال الدنيا وقتك الذى يرجع اليك فيه طرفك لان ما مضى عنك فقد فاتك ادراكه وما لم يأت فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعاته وأحداثه تتوالى على الانسان بالتغيير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور * وخطب عمر ابن عبد العزيز رحمة الله عليه فقال يا أيها الناس انكم خلقتم لامر ان كنتم تصدقون به فانكم حمقى وان كنتم تكذبون به فانكم هلكى فما خلقتم للابد ولكنكم من دار الى دار تنقلون عباد الله انكم فى دار لكم فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق لا تصفو لكم نعمة تسرون بها الا بفراق أخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما أنتم صائرون اليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل * وقال على كرم الله وجهه فى خطبته أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية أجسامكم وأنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل قوم فى سفر سلكوا طريقا وكأنهم قد قطعوه وأفضوا الى علم فكأنهم بلغوه وكم عسى أن يجرى المجرى حتى ينتهى الى الغاية وكم عسى أن يبقى من له يوم فى الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بمتاعها ونعمائها فانه الى زوال عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه

وقال محمد بن الحسين لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والادب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا وأنه لم يرضها لاوليائه وانها عنده حقيرة ذليلة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر أصحابه من فتنتها أكلوا منها قصدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفى وتركوا ما يلهى لبسوا من الثياب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام أدناه مما سد الجوعة ونظروا الى الدنيا بعين انها فانية والى الآخرة أنها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة ونظروا الى الآخرة بقلوبهم فعلموا انهم سينظرون اليها بأعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا انهم سيرتحلون اليها بأبدانهم تعبوا قليلا وتنعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم

(الباب الثالث والثلاثون فى فضل القناعة)

اعلم أنه ينبغى أن يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما فى أيديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بأن يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس والمسكن ويقتصر على أقله قدرا وأخسه نوعا ويرد أمله الى يومه أو الى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فان تشوق الى الكثير أو طول أمله فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع الى مساوى الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروآت وقد جبل الآدمى على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وعن أبى واقد الليثى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوحى اليه أتيناه يعلمنا مما أوحى اليه فجئته ذات يوم فقال ان الله عز وجل يقول انا أنزلنا المال لاقام الصلاة وايتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لاحب أن يكون له ثان وان كان له الثانى لاحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال أبو موسى الاشعرى نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الامل وحب المال أو كما قال ولما كانت هذه جبلة للآدمى مضلة وغريزة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد فقير ولا غنى الا ود يوم القيامة انه كان أوتى قوتا فى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة فى الطلب فقال ألا أيها الناس أجملوا فى الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له وان يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهى راغمة وروى أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال أى عبادك أغنى قال أقنعهم بما أعطيته قال فأيهم أعدل قال من أنصف من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن

تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب وقال أبو هريرة قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الانصارى أن أعرابيا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظنى وأوجز فقال اذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واجمع اليأس مما فى أيدى الناس وقال عوف بن مالك الاشجعى كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله قلنا أوليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتصلوا الخمس وأن تسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيأ قال فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحدا أن يناوله اياه وقال عمر رضى الله عنه ان الطمع فقر وان اليأس غنى وانه من يأس عما فى أيدى الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وفى ذلك قيل

العيش ساعات تمر * وخطوب أيام تكر
اقنع بعيشك ترضه * واترك هواك تعيش حر
فلرب حتف ساقه * ذهب وياقوت ودر

وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى أحد وقال سفيان خير دنياكم مالم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادى يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال سميط بن عجلان انما بطنك يا ابن آدم شبر فى شبر فلم يدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل فى الظاهر والقصد فى الباطن واليأس مما فى أيدى الناس ويروى أن الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا لك كلها لم يكن لك منها الا القوت واذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا اليك محسن وقال ابن مسعود اذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتى الرجل فيقول انك وانك فيقطع ظهره فانما يأتيه ما قسم له من الرزق أو ما رزق (وكتب بعض بنى أمية) الى أبى حازم يعزم عليه الا رفع اليه حوائجه فكتب اليه قد رفعت حوائجى الى مولاى فما أعطانى منها قبلت وما أمسك عنى قنعت وقيل لبعض الحكماء أى شئ أسر للعاقل وأيما شئ أعون على دفع الحزن فقال أسرها اليه ما قدم من صالح العمل وأعونها على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء وقال بعض الحكماء وجدت أطول الناس غما الحسود وأهنأهم عيشا القنوع وأصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع وأخفضهم عيشا أرفضهم للدنيا وأعظمهم ندامة العالم المفرط وفى ذلك قيل

أرفه ببال فتى أمسى على ثقة * أن الذى قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه * والوجه منه جديد ليس يخلقه

ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق فى دهره شيأ يؤرقه
(وقد قيل أيضا)
حتى متى أنا فى حل وترحال * وطول سعى وادبار واقبال
ونازح الدار لا أنفك مغتربا * عن الاحبة لا يدرون ما حالى
بمشرق الارض طورا ثم مغربها * لا يخطر الموت من حرصى على بالى
ولو قنعت أتانى الرزق فى دعة * ان القنوع الغنى لا كثرة المال

وقال عمر رضى الله عنه ألا أخبركم بما أستحل من مال الله تعالى حلتان لشتائى وقيظى وما يسعنى من الظهر لحجى وعمرتى وقوتى بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرفعهم ولا بأوضعهم فوالله ما أدرى أيحل ذلك أم لا كأنه شك فى أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التى تجب القناعة بها وعاتب أعرابى أخاه على الحرص فقال يا أخى أنت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب أنت ما قد كفيته وكأن ما غاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد نقلت عنه كأنك يا أخى لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وفى ذلك قيل

أراك يزيدك الاثراء حرصا * على الدنيا كأنك لا تموت
فهل لك غاية ان صرت يوما * اليها قلت حسبى قد رضيت

وقال الشعبى حكى أن رجلا صاد قنبرة فقالت ما تريد أن تصنع بى قال أذبحك وآكلك قالت والله ما أشفى من قرم ولا أشبع من جوع ولكن أعلمك ثلاث خصال هن خير لك من أكلى أما واحدة فأعلمك وأنا فى يدك وأما الثانية فاذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هات الاولى قالت لا تلهفن على ما فاتك فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل تقول يا شقى لو ذبحتنى لاخرجت من حوصلتى درتين زنة كل درة عشرون مثقالا قال فعض على شفته وتلهف وقال هات الثالثة قالت أنت قد نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون انا لحمى ودمى وريشى لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون فى حوصلتى درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الآدمى فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون أنه يكون وقال ابن السماك ان الرجاء حبل فى قلبك وقيد فى رجلك فاخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك وقال أبو محمد اليزيدى دخلت على الرشيد فوجدته ينظر فى ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رآنى تبسم فقلت فائدة أصلح الله أمير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين فى بعض خزائن بنى أمية فاستحسنتهما وقد أضفت اليهما ثالثا وأنشدنى

اذا سد باب عنك من دون حاجة * فدعه لأخرى ينفتح لك بابها
فان قراب البطن يكفيك ملؤه * ويكفيك سوآت الامور اجتنابها
ولا تك مبذالا لعرضك واجتنب * ركوب المعاصى يجتنبك عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد اذ وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج وقال رجل للفضيل فسر لى قول كعب قال يطمع الرجل

في الشيء يطلبه فيذهب عليه دينه وأما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب أن يفوتها شيء ويكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم أنفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن أحبك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله فلو لم يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك

(الباب الرابع والثلاثون في فضل الفقراء)

قال صلى الله عليه وسلم خير هذه الامة فقراؤها وأسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها وقال صلى الله عليه وسلم ان لي حرفتين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني الفقر والجهاد وروى أن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك أينما كنت فأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له فقال له جبريل يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت وروى أن المسيح صلى الله عليه وسلم مر في سياحته برجل نائم ملتف في عباءة فايقظه وقال يا نائم قم فاذكر الله تعالى فقال ما تريد مني اني قد تركت الدنيا لاهلها فقال له فنم اذا يا حبيبي ومر موسى صلى الله عليه وسلم برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر بعباءة فقال يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع فأوحى الله تعالى اليه يا موسى أما علمت أني اذا نظرت الى عبد بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها وعن أبي رافع أنه قال ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فأرسلني الى رجل من يهود خيبر وقال قل له يقول لك محمد أسلفني أو بعني دقيقا الى هلال رجب قال فأتيته فقال لا والله الا برهن فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أما والله اني لأمين في أهل السماء أمين في أهل الارض ولو باعني أو أسلفني لأديت اليه اذهب بدرعي هذا اليه فارهنه فلما خرجت نزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا الآية وهذه الآية تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم معافى في جسمه آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقال كعب الاحبار قال الله تعالى لموسى عليه السلام يا موسى اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وقال عطاء الخراساني مر نبي من الانبياء بساحل فاذا هو برجل يصطاد حيتانا فقال باسم الله وألقى الشبكة فلم يخرج فيها شيء ثم مر بآخر فقال باسم الشيطان وألقى شبكته فخرج فيها من الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا رب ما هذا وقد علمت ان كل ذلك بيدك فقال الله تعالى للملائكة اكشفوا لعبدي عن منزلتيهما فلما رأى ما أعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولذاك من الهوان قال رضيت يا رب وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الاغنياء والنساء وفي لفظ آخر فقلت أين الاغنياء فقيل حبسهم الجد وفي حديث آخر فرأيت أكثر أهل النار النساء فقلت ما شأنهن فقيل شغلهن

الاحمران الذهب والزعفران وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن في الدنيا الفقر وفي الخبر آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه وفي حديث آخر رأيته دخل الجنة زحفا وقال المسيح صلى الله عليه وسلم بشدة يدخل الغني الجنة وفي خبر آخر عن أهل البيت رضي الله عنهم أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له أهلا ولا مالا وفي الخبر اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال موسى عليه السلام يا رب من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لاجلك فقال كل فقير فقير فيمكن أن يكون الثاني للتوكيد ويمكن أن يراد به الشديد الضر وقال المسيح صلوات الله عليه وسلامه اني لاحب المسكنة وأبغض النعماء وكان أحب الاسامي اليه صلوات الله عليه أن يقال له يا مسكين ولما قالت سادات العرب وأغنياؤهم للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون اليك ولا نجيء ونجيء اليك ولا يجيئون يعنون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذر وخباب بن الارت وعمار بن ياسر وأبي هريرة وأصحاب الصفة من الفقراء رضي الله عنهم أجمعين أجابهم النبي صلى الله عليه وسلم الى ذلك وذلك لانهم شكوا اليه التأذي برائحتهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فاذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد ذلك على الاغنياء منهم الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجمعهم واياهم مجلس واحد فنزل عليه قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم يعني الفقراء تريد زينة الحياة الدنيا يعني الاغنياء ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني الاغنياء وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الآية واستأذن ابن ام مكتوم على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من أشراف قريش فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى عبس وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى يعني ابن أم مكتوم أما من استغنى فأنت له تصدى يعني هذا الشريف وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى اليه كما يعتذر الرجل للرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج يا عبدي الى هذه الصفوف فمن أطعمك في أو كساك في يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به فيأخذ بيده ويدخله الجنة وقال عليه السلام أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الايادي فان لهم دولة قالوا يا رسول الله وما دولتهم قال اذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به الى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت حركة أمامي فنظرت فاذا بلال ونظرت في أعلاها فاذا فقراء أمتي وأولادهم ونظرت في أسفلها فاذا فيه من الاغنياء والنساء قليل فقلت يا رب ما شأنهم قال أما النساء فأضر بهن الاحمران الذهب والحرير وأما الاغنياء فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت أصحابي فلم أر عبد الرحمن بن عوف

ثم جاءنى بعد ذلك وهو يبكى فقلت ما خلفك عنى قال يا رسول الله والله ما وصلت اليك حتى لقيت
المشيبات وظننت انى لا أراك فقلت ولم قال كنت أحاسب بمالى فانظر الى هذا وعبد الرحمن
صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المخصوصين بأنهم من
أهل الجنة وهو من الاغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الامن قال بالمال هكذا
وهكذا ومع هذا فقد استضر بالغنى الى هذا الحد ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على
رجل فقير فلم ير له شيأ فقال لو قسم نور هذا على أهل الارض لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم
ألا أخبركم بملوك أهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذى
طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره وقال عمران بن حصين كانت لى من رسول الله صلى الله
عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك فى عيادة فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم بأبى أنت وأمى يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقف بباب
فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معى قالت
ومن معك يا رسول الله قال عمران فقالت فاطمة والذى بعثك بالحق نبيا ما على الا عباءة قال
اصنعى بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدى قد واريته فكيف برأسى فألقى اليها
ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدى بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا ابنتاه
كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادنى وجعا على ما بى أنى لست أقدر على طعام آكله
فقد أضر بى الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعى يا ابنتاه فوالله ماذقت
طعاما منذ ثلاث وانى لأكرم على الله منك ولو سألت ربى لأطعمنى ولكن آثرت الآخرة على
الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشرى فوالله انك لسيدة نساء أهل الجنة قالت فأين
آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها
وأنت سيدة نساء عالمك انكن فى بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ولا نصب ثم قال لها
اقنعى بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا فى الدنيا سيدا فى الآخرة وروى عن على كرم الله
وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا
وتكالبوا على جمع الدراهم رماهم الله بأربع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان
والخيانة من ولاة الاحكام والشوكة من الاعداء وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ذو الدرهمين
اشد حبسا أو قال اشد حسابا من ذى الدرهم وأرسل عمر رضى الله عنه الى سعيد بن عامر
بالف دينار فجاء حزينا كئيبا فقالت امرأته أحدث أمر قال أشد من ذلك ثم قال أرينى درعك
الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه ثم قام يصلى ويبكى الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى ان الرجل
من الاغنياء يدخل فى غمارهم [3] فيؤخذ بيده فيستخرج وقال أبو هريرة ثلاثة يدخلون الجنة بغير
حساب رجل يريد أن يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين
ورجل دعا بشرابه فلا يقال له أيها تريد (وقيل) جاء فقير الى مجلس الثورى رحمه الله فقال له
تخط لو كنت غنيا ما قربتك وكان الاغنياء من أصحابه يودون أنهم فقراء لكثرة تقريبه للفقراء
واعراضه عن الاغنياء وقال المؤمل ما رأيت الغنى أذل منه فى مجلس الثورى ولا رأيت الفقير

[3] قوله فى غمارهم بضم الغين المعجمة وفتحها أى فى زحمتهم وجماعتهم الكثيرة كما فى القاموس اه مصححه

اعز

أعز منه فى مجلس الثورى رحمه الله وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما
يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب فى الجنة كما يرغب فى الغنى لفاز بهما جميعا ولو خاف الله
فى الباطن كما يخاف خلقه فى الظاهر لسعد فى الدارين جميعا وقال ابن عباس ملعون من أكرم
بالغنى وأهان بالفقر وقال لقمان عليه السلام لابنه لا تحقرن أحدا لخلقان ثيابه فان ربك
وربه واحد وقال يحيى بن معاذ حبك للفقراء من أخلاق المرسلين وايثارك مجالستهم من
علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين وفى الاخبار عن الكتب السالفة
ان الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه عليهم السلام احذر أن أمقتك فتسقط من عينى فأصب
عليك الدنيا صبا ولقد كانت عائشة رضى الله تعالى عنها تفرق مائة ألف درهم فى يوم واحد
يوجهها اليها معاوية وابن عامر وغيرهما وان درعها المرقوع وتقول لها الجارية لو اشتريت لك
بدرهم لحما تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتينى لفعلت وكان قد أوصاها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ان أردت اللحوق بى فعليك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنياء
ولا تنزعى درعك حتى ترقعيه وجاء رجل الى ابراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى عليه أن
يقبلها فألح عليه الرجل فقال له ابراهيم أتريد أن أمحو اسمى من ديوان الفقراء بعشرة آلاف
درهم لا أفعل ذلك أبدا رضى الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى الى
الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا
من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والافلا فالاول القانع وهذا الراضى ويكاد يشعر هذا بمفهومه
أن الحريص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة فى فضل الفقر تدل على أن له ثوابا
كما سيأتى تحقيقه فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعل الله فى حبس الدنيا عنه ورب راغب
فى المال لا يخطر بقلبه انكار على الله تعالى ولا كراهة فى فعله فتلك الكراهة هى التى تحبط ثواب
الفقر وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لكل
شئ مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء لصبرهم هم جلساء الله تعالى يوم القيامة
وروى عن على كرم الله وجهه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أحب العباد الى الله تعالى
الفقير القانع برزقه الراضى عن الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد
كفافا وقال ما من أحد غنى ولا فقير الا ود يوم القيامة انه كان أوتى قوتا فى الدنيا وأوحى
الله تعالى الى اسمعيل عليه السلام اطلبنى عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء
الصادقون وقال صلى الله عليه وسلم لا أحد أفضل من الفقير اذا كان راضيا وقال صلى الله
عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتى من خلقى فتقول الملائكة ومن هم يا ربنا
فيقول فقراء المسلمين القانعون لعطائى الراضون بقدرى أدخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون
ويشربون والناس فى الحساب يترددون فهذا فى القانع والراضى وأما الزاهد فسنذكر فضله
ان شاء الله تعالى * وأما الآثار فى الرضا والقناعة فكثيرة ولا يخفى أن القناعة يضادها
الطمع وقد قال عمر رضى الله عنه ان الطمع فقر واليأس غنى وانه من يئس عما فى أيدى الناس
وقنع استغنى عنهم وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ما من يوم الا وملك ينادى من تحت
العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه ما من

أحد والا وفى عقله نقص وذلك انه اذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبان فى هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وقيل كان ابراهيم بن أدهم من أهل النعم بخراسان فبينما هو يشرف من قصر له ذات يوم اذ نظر الى رجل فى فناء القصر وفى يده رغيف يأكله فلما أكل نام فقال لبعض غلمانه اذا قام فجئنى به فلما قام جاء به اليه فقال ابراهيم أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع قال نعم قال فشبعت قال نعم قال ثم نمت طيبا قال نعم فقال ابراهيم فى نفسه فما أصنع أنا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر ومر رجل بعامر بن عبد القيس وهو يأكل ملحا وبقلا فقال له يا عبد الله أرضيت من الدنيا بهذا فقال ألا أدلك على من رضى بشر من هذا قال بلى قال من رضى بالدنيا عوضا عن الآخرة وكان محمد بن واسع رحمة الله عليه يخرج خبزا يابسا فيبله بالماء ويأكله بالملح ويقول من رضى من الدنيا بهذا لم يحتج الى أحد وقال الحسن رحمه الله لعن الله أقواما أقسم لهم الله تعالى ثم لم يصدقوه ثم قرأ وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق الآية وكان أبو ذر رضى الله عنه يوما جالسا فى الناس فأتته امرأته فقالت له أتجلس بين هؤلاء والله ما فى البيت هفة ولا سفة فقال يا هذه ان بين أيدينا عقبة كؤودا لا ينجو منها الا كل مخف فرجعت وهى راضية وقال ذو النون رحمه الله أقرب الناس الى الكفر ذو فاقة لا صبر له وقيل لبعض الحكماء ما مالك فقال التجمل فى الظاهر والقصد فى الباطن واليأس مما فى أيدى الناس ويروى أن الله عز وجل قال فى بعض الكتب السالفة المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا محسن اليك وقد قيل فى القناعة

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس * واقنع بيأس فان العز فى اليأس
واستغن عن ذى قربى وذى رحم * ان الغنى من استغنى عن الناس

وقد قيل فى هذا المعنى أيضا

يا جامعا مانعا والدهر يرمقه * مقدرا أى باب منه يغلقه
مفكرا كيف تأتيه منيته * أغاديا أم بها يسرى فتطرقه
جمعت مالا فقل لى هل جمعت له * يا جامع المال أياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه * ما المال مالك الا يوم تنفقه
أرفه ببال فتى يغدو على ثقة * أن الذى قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون ما يدنسه * والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق فى ظلها هما يؤرقه

(الباب الخامس والثلاثون فى اتخاذ ولى من دون الله سبحانه وتعالى وفى بيان العرصات)

قال الله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار الآية قال بعض المفسرين أجمع أهل اللغة على أن الركون مطلق الميل والسكون يسيرا أو كثيرا وقال عبد الرحمن بن زيد الركون هنا الادهان وذلك أن لا ينكر عليهم كفرهم وعن عكرمة لا تصطنعوهم والظاهر من الآية عموم النهى عن الركون الى المشركين وفسقة المسلمين وقال النيسابورى فى تفسيره قال

المحققون

المحققون الركون المنهى عنه هو الرضا بما عليه الظلمة أو تزيين طريقتهم وتحسينها عند غيرهم ومشاركتهم فى شىء من أبواب المظالم فاما مداخلتهم لدفع شىء من الضرر واجتلاب منفعة عاجلة فغير داخلة فى الركون قال وأقول هذا من طريق المعاش والرخصة ومقتضى التقوى هو الاجتناب عنهم بالكلية أليس الله بكاف عبده اه قلت ولقد صدق فحسم مادة الركون اليهم أولى سيما فى هذه الازمان التى لا يمكن فيها انكار المنكر والامر بالمعروف مع ما فى الركون اليهم من الغرر والغرور واذا كان حال الميل فى الجملة الى من وجد منه ظلم ما فى الافضاء الى مساس النار هكذا فما ظنك عن يميل الى الراسخين فى الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على صحبتهم ومنادمتهم ويلقى شراشره على مؤانستهم ومعاشرتهم ويبتهج بالتزين بزيهم ويمد عينيه الى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما أوتوا من القطوف الدانية وهو فى الحقيقة من الحبة طفيف ومن جناح البعوضة خفيف بمعزل عن ان تميل اليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وروى مثل الجليس الصالح مثل حامل المسك ان لم يعطك أصابك من ريحه ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير ان لم يحرقك أصابك من دخانه قال الله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا الآية وقال صلى الله عليه وسلم من عظم غنيا لغناه فقد ذهب ثلثا دينه وقال صلى الله عليه وسلم اذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز لذلك العرش وقال الله تعالى يوم ندعوا كل أناس بامامهم يعنى فى عرصات القيامة وقد اختلف المفسرون فى تعيين الامام الذى يدعى كل أناس به فقال ابن عباس وغيره انه كتاب كل انسان الذى فيه عمله أى يدعى كل انسان بكتاب عمله ويؤيد هذا قوله تعالى فأما من أوتى كتابه بيمينه الآية وقال ابن زيد الامام هو الكتاب المنزل فيقال يا أهل التوراة يا أهل الانجيل يا أهل القرآن وقال مجاهد وقتادة امامهم نبيهم فيقال هاتوا متبعى ابراهيم هاتوا متبعى موسى هاتوا متبعى عيسى هاتوا متبعى محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه المراد بالامام امام عصرهم فيدعى أهل كل عصر بامامهم الذى كانوا يأتمرون بامره وينتهون بنهيه وفى الحديث الصحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة رفع لكل غادر لواء فيقال هذه غدرة فلان بن فلان وروى الترمذى وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تفسير هذه الآية يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له فى جسمه ستين ذراعا ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فينطلق الى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم ائتنا بهذا وبارك لنا فى هذا حتى يأتيهم فيقول ابشروا لكل رجل منكم مثل هذا وأما الكافر فيسود وجهه ويمد له فى جسمه ستين ذراعا على صورة آدم ويلبس تاجا فيراه أصحابه فيقولون نعوذ بالله من شر هذا اللهم لا تأتنا بهذا قال فيأتيهم فيقولون اللهم أخزه فيقول أبعدكم الله فان لكل رجل منكم مثل هذا وقال الله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها الى آخر السورة قال ابن عباس رضى الله عنهما أى تحركت من أسفلها وأخرجت ما فى جوفها من الاموات والدفائن وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا

الله ورسوله أعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد وأمة بكل عمل عمل على ظهرها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تحفظوا من الارض فانها أمكم وانه ليس من أحد عامل عليها خيرا أوشرا الا وهى مخبرة أخرجه الطبرانى

(الباب السادس والثلاثون فى النفخ والفزع والحشر من المقابر)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة وأصغى بالاذن ينتظر متى يؤمر فينفخ قال مقاتل الصور هو القرن وذلك أن اسرافيل عليه السلام واضع فاه على القرن كهيئة البوق ودائرة رأس القرن كعرض السموات والارض وهو شاخص ببصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الاولى فاذا نفخ صعق من فى السموات ومن فى الارض أى مات كل حيوان من شدة الفزع الا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يامر ملك الموت أن يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح اسرافيل ثم يامر ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الاولى فى البرزخ أربعين سنة ثم يحيى الله اسرافيل فيأمره أن ينفخ الثانية فذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون على أرجلهم ينظرون الى البعث وقال صلى الله عليه وسلم حين بعث أتى صاحب الصور فأهوى به الى فيه وقدم رجلا وأخر أخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ ألا فاتقوا النفخة فتفكر فى الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما يقضى عليهم من سعادة أو شقاوة وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم بل ان كنت فى الدنيا من المترفهين والاغنياء المتنعمين فلوك الارض فى ذلك اليوم أذل أهل أرض الجمع وأصغرهم وأحقرهم يوطؤن بالاقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش من البرارى والجبال منكسة رؤسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم أقبلت الشياطين والمردة بعد تمردها وعتوها وأذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله تعالى تصديقا لقوله تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا فتفكر فى حالك وحال قلبك هنالك * ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة غرلا الى أرض المحشر أرض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ولا ترى عليها ربوة يختفى الانسان وراءها ولا وهدة ينخفض عن الاعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون اليه زمرا فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الارض اذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هى النفخة الاولى والرادفة هى الثانية وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة ولتلك الابصار أن تكون خاشعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقى ليس فيها معلم لاحد قال الراوى والعفرة بياض ليس بالناصع والنقى هو النقى عن القشر والنخالة ومعلم أى لا بناء يستر ولا تفاوت يرد البصر ولا تظنن أن تلك الارض مثل أرض الدنيا بل لا تساويها الا فى الاسم قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال ابن عباس

يزاد فيها وينقص وتذهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها وتمد مد الاديم العكاظى أرض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها فانظر يا مسكين فى هول ذلك اليوم وشدته فانه اذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر وأظلمت الارض لخمود سراجها فبيناهم كذلك اذ دارت السماء من فوق رؤسهم وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة عام والملائكة قيام على حافاتها وأرجائها فيا هول صوت انشقاقها فى سمعك ويا هيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن وانتشر الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان قالت سودة زوج النبى صلى الله عليه وسلم راوية الحديث قلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال شغل الناس عن ذلك بهم لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه فأعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والالتفات كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات الى غيرهم قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم فقال رجل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم * فى طبع الآدمى انكار كل ما لم يأنس به ولو لم يشاهد الانسان الحية وهى تمشى على بطنها كالبرق الخاطف لانكر تصور المشى على غير رجل والمشى بالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فاياك أن تنكر شيأ من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما فى الدنيا فانك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد انكارا لها فأحضر فى قلبك صورتك وأنت واقف عاريا مكشوفا ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجرى عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاء وأعظم هذه الحال فانها عظيمة * ثم تفكر فى ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع والارضين السبع من ملك وجن وانس وشيطان ووحش وسبع وطير فأشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها ثم أدنيت من رؤس العالمين كقاب قوسين فلم يبق على الارض ظل الا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به الا المقربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضحى لحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها ثم تدافعت الخلائق ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الاقدام وانضاف اليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح والاختزاء عند العرض على جبار السماء فاجتمع وهج الشمس وحر الانفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من أصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة ثم ارتفع على أبدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم الى شحمة أذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه الى أنصاف أذنيه وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيامة حتى

يذهب عرقهم فى الارض سبعين باعا و يلجمهم و يبلغ آذانهم كذا رواه البخارى ومسلم فى الصحيح وفى حديث آخر قياما شاخصة أبصارهم أربعين سنة الى السماء فيلجمهم العرق من شدّة الكرب وقال عقبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس من الارض يوم القيامة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه وأشار بيده فألجمها فاه ومنهم من يغطيه العرق وضرب بيده على رأسه هكذا فتأمل يا مسكين فى عرق أهل المحشر وشدّة كربهم وفيهم من ينادى فيقول رب أرحنى من هذا الكرب والانتظار ولو الى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فانك واحد منهم ولا تدرى الى أين يبلغ بك العرق واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب فى سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردّد فى قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة فى أمر بمعروف ونهى عن منكر فسيخرجه الحياء والخوف فى صعيد القيامة و يطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق فى تحمل مصاعب الطاعات أهون أمرا وأقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار فى القيامة فانه يوم عظيمة شدّته طويلة مدّته

(الباب السابع والثلاثون فى بيان القضاء بين الخلائق)

قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من المفلس قلنا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا دينار ولا متاع قال المفلس من امتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام و زكاة و يأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته وان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار . فانظر الى مصيبتك فى مثل هذا اليوم اذ ليس يسلم لك حسنة من آفات الرياء ومكايد الشيطان فان سلمت حسنة واحدة فى كل مدّة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت انه لا ينقضى عنك يوم الا و يجرى على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفى جميع حسناتك فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير فى الطاعات وكيف ترجو الخلاص من المظالم فى يوم يقتص فيه للجماء من القرناء فقد روى أبو ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين ينتطحان فقال يا أبا ذر أتدرى فيم ينتطحان قلت لا قال ولكن الله يدرى وسيقضى بينهما يوم القيامة وقال أبو هريرة فى قوله عز وجل وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم امثالكم انه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شئ فيبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كونى ترابا فذلك حين يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا فكيف أنت يا مسكين فى يوم ترى صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك فتقول أين حسناتى فيقال نقلت الى صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال فى الصبر عنها نصبك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط فيقال هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم فى المبايعة والمجاورة والمخاطبة

والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قد يئس أن تعبد الاصنام بأرض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهى الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فان العبد ليجئ يوم القيامة بأمثال الجبال من الطاعات فيرى أنهن سينجينه فما يزال عبد يجئ فيقول رب ان فلانا ظلمنى بمظلمة فيقول امح من حسناته فما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته شئ وان مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الارض ليس معهم حطب فتفرق القوم فحطبوا فلم يلبثوا أن أعظموا نارهم وصنعوا ما أرادوا وكذلك الذنوب ولما نزل قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا فى الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى تؤدّوا الى كل ذى حق حقه قال الزبير والله ان الامر لشديد فأعظم بشدّة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم قال أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد عراة غبرا بهما قال قلنا ما بهما قال ليس معهم شئ ثم يناديهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغى لاحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولاحد من أهل النار عليه مظلمة حتى أقتصه منه ولا لاحد من أهل النار أن يدخل النار ولاحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى أقتصه منه حتى اللطمة قلنا وكيف وانما نأتى الله عز وجل عراة غبرا بهما فقال بالحسنات والسيئات فاتقوا الله عباد الله ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لاعراضهم وتضييق قلوبهم واساءة الخلق فى معاشرتهم فان ما بين العبد و بين الله خاصة فالمغفرة اليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه و بين الله بكمال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه الا الله فعساه يقربه ذلك الى الله تعالى فينال به لطفه الذى ادّخره لاحبابه المؤمنين فى دفع مظالم العباد عنهم كما روى عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما يضحكك يا رسول الله بأبى أنت وامى قال رجلان من أمتى جثيا بين يدى رب العزة فقال أحدهما يا رب خذ لى مظلمتى من أخى فقال الله تعالى أعط أخاك مظلمته فقال يا رب لم يبق من حسناتى شئ فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق من حسناته شئ قال يا رب يتحمل عنى من أوزارى قال وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فقال الله للطالب ارفع رأسك وانظر فى الجنان فرفع رأسه فقال يا رب أرى مدائن من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لأى نبى هذا أو لأى صدّيق هذا أو لأى شهيد هذا قال لمن أعطانى الثمن قال يا رب ومن يملك ثمنه قال أنت تملكه قال وما هو قال عفوك عن أخيك قال يا رب انى قد عفوت عنه قال الله تعالى خذ بيد أخيك فأدخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين وهذا تنبيه على أن ذلك انما ينال بالتخلق بأخلاق الله وهو اصلاح ذات البين وسائر الاخلاق فتفكر الآن فى نفسك ان خلت صحيفتك عن المظالم أو تلطف لك حتى عفا عنك وأيقنت بسعادة الابد كيف يكون سرورك فى

منصرفك من مفصل القضاء وقد خلع عليك خلعة الرضاء وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لايدور بحواشيه الفناء وعند ذلك طار قلبك سرورا وفرحا وابيض وجهك واستنار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعا رأسك خاليا عن الاوزار ظهرك ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك وخلق الاولين والآخرين ينظرون اليك والى حالك ويغبطونك فى حسنك وجمالك والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون على رؤس الاشهاد هذا فلان بن فلان رضى الله عنه وأرضاه وقد سعد سعادة لايشقى بعدها أبدا أفترى ان هذا المنصب ليس باعظم من المكانة التى تنالها فى قلوب الخلق فى الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنعك وتزينك فان كنت تعلم انه خير منه بل لانسبة له اليه فتوسل الى ادراك هذه الرتبة بالاخلاص الصافى والنية الصادقة فى معاملتك مع الله فلن تدرك ذلك الابه وان تكن الاخرى والعياذ بالله بأن خرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة وهى عند الله عظيمة فمقتك لاجلها فقال عليك لعنتى ياعبد السوء لاأتقبل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء الا ويسود وجهك ثم تغضب الملائكة لغضب الله تعالى فيقولون وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق أجمعين وعند ذلك تتسابق اليك الزبانية وقد غضبت لغضب خالقها فاقدمت عليك بفظاظتها وزعارتها(٣) وصورها المنكرة فأخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملأ الخلائق وهم ينظرون الى اسوداد وجهك والى ظهور خزيك وأنت تنادى بالويل والثبور وهم يقولون لك لاتدع اليوم ثبورا واحدا وادع ثبورا كثيرا وتنادى الملائكة ويقولون هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضائحه ومخازيه ولعنه بقبائح مساويه فشقى شقاوة لايسعد بعدها أبدا وربما يكون ذلك بذنب أذنبته خفية من عباد الله أو طلبا للمكانة فى قلوبهم أو خوفا من الافتضاح عندهم فما أعظم جهلك اذ تحترز عن الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله فى الدنيا المنقرضة ثم لاتخشى من الافتضاح العظيم فى ذلك الملأ العظيم مع التعرض لسخط الله وعقابه الاليم والسياق بأيدى الزبانية الى سواء الجحيم فهذه أحوالك وأنت لم تشعر بالخطر

٣ قوله وزعارتها بالزاى المفتوحة أى شراستها اه

(الباب الثامن والثلاثون فى بيان ذم المال)

قال الله تعالى ياأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وقال تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم فمن اختار ماله وولده على ماعند الله فقد خسر وغبن خسرانا عظيما وقال عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية وقال ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقال تعالى ألهاكم التكاثر* وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ماذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم بأكثر افسادا فيها من حب الشرف والمال والجاه فى دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم هلك المكثرون الامن قال به فى عباد الله هكذا وهكذا وقليل ماهم وقيل يارسول الله أى أمتك شر قال الاغنياء وقال صلى الله عليه وسلم سيأتى بعدكم قوم يأكلون

أطايب الدنيا وألوانها ويركبون فره الخيل وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون أجمل الثياب وألوانها لهم بطون من القليل لاتشبع وأنفس بالكثير لاتقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الههم وربا دون ربهم الى أمرها ينتهون ولهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لايسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم دعوا الدنيا لاهلها من أخذ من الدنيا فوق مايكفيه أخذ حتفه وهو لايشعر وقال صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فافنيت أولبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وقال رجل يارسول الله مالى لاأحب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يارسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه أحب أن يلحقه وان خلفه أحب أن يتخلف معه وقال صلى الله عليه وسلم أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثانى الى قبره والثالث الى محشره فالذى يتبعه الى قبض روحه فهو ماله والذى يتبعه الى قبره فهو أهله والذى يتبعه الى محشره فهو عمله وقال الحواريون لعيسى عليه السلام مالك تمشى على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم مامنزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما والمدر عندى سواء وكتب سلمان الفارسى الى أبى الدرداء رضى الله عنهما ياأخى اياك أن تجمع من الدنيا مالا تؤدى شكره فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له امض فقد أديت حق الله فى ثم يجاء بصاحب الدنيا الذى لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك ألا أديت حق الله فى فما زال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد قالت الملائكة ماقدم وقال الناس ماخلف وقال صلى الله عليه وسلم لاتتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا وروى أن رجلا نال من أبى الدرداء وأراه سوأ فقال اللهم من فعل بى سوأ فاصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لانه لابد وأن يفضى الى الطغيان ووضع على كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال أما انك مالم تخرج عنى لاتنفعنى وروى أن عمر رضى الله عنه أرسل الى زينب بنت جحش بعطائها فقالت ماهذا قالوا أرسله اليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم حلت سترا كان لها فقطعته وجعلته صررا وقسمته فى أهل بيتها ورحمها وأيتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لايدركنى عطاء عمر بعد عامى هذا فكانت أول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به وقال الحسن والله ماأعز الدرهم أحد الا أذله الله وقيل ان أول ماضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبدى حقا وقال سميط بن عجلان ان الدراهم والدنانير أزمة المنافقين يقادون بها الى النار وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل ومارقيته قال أخذه من حله ووضعه فى حقه وقال العلاء بن زياد تمثلت لى الدنيا وعليها من كل زينة فقلت أعوذ بالله من شرك فقالت ان سرك أن يعيذك الله منى فابغض الدرهم والدينار وذلك لان الدرهم والدينار هما الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع

أصنافها فمن صبر عنها ما صبر عن الدنيا وفى ذلك قيل

انى وجدت فلا تظنوا غيره * أن التورع عند هذا الدرهم
فاذا قدرت عليه ثم تركته * فاعلم بأن تقاك تقوى المسلم

(وفى ذلك قيل أيضا)

لا يغرنك من المرء قميص رقعه * أو ازار فوق عظم الساق منه رفعه
أو جبين لاح فيه أثر قد خلعه * أره الدرهم تعرف حبه أو ورعه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك انه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال يا أمير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه أحد قبلك تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من الولد فقال عمر أقعدونى فاقعدوه فقال أما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما فانى لم أمنعهم حقا لهم ولم أعطهم حقا لغيرهم وانما ولدى أحد رجلين اما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين واما عاص لله فلا أبالى على ما وقع وروى ان محمد بن كعب القرظى أصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال لا ولكنى أدخره لنفسى عند ربى وأدخر ربى لولدى ويروى أن رجلا قال لابى عبد ربه يا أخى لا تذهب بشر وتترك أولادك بخير فاخرج أبو عبد ربه من ماله مائة ألف درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما للعبد فى ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله

(الباب التاسع والثلاثون فى الاعمال والميزان وعذاب النار)

يا أخى لا تغفل عن الفكر فى الميزان وتطاير الكتب الى الايمان والشمائل فان الناس بعد السؤال ثلاث فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق أسود فيلقطهم لقط الطير الحب وينطوى عليهم ويلقيهم فى النار فتبتلعهم النار وينادى عليهم شقاوة لا سعادة بعدها وقسم آخر لا سيئة لهم فينادى مناد ليقم الحامدون لله على كل حال فيقومون ويسرحون الى الجنة ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى وينادى عليهم سعادة لا شقاوة بعدها ويبقى قسم ثالث وهم الاكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى أن الغالب حسناتهم أو سيآتهم ولكن يأبى الله الا أن يعرفهم ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب فتتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيآت وينصب الميزان وتشخص الابصار الى الكتب أتقع فى اليمين أو فى الشمال ثم الى لسان الميزان أيميل الى جانب السيآت أو الى جانب الحسنات وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق وروى الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأسه فى حجر عائشة رضى الله عنها فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها فنقط على خد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتبه فقال ما يبكيك يا عائشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة قال والذى نفسى بيده فى ثلاث مواطن فان أحدا لا يذكر الا نفسه اذا وضعت الموازين ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ كتابه أو بشماله وعند الصراط وعن أنس قال يؤتى بابن آدم يوم القيامة

حتى يوقف بين كفتى الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وان خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار الى النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم القيامة انه يوم ينادى الله تعالى فيه آدم عليه السلام فيقول له قم يا آدم فابعث بعث النار فيقول وكم بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فلما سمع الصحابة ذلك أبلسوا حتى ما أوضحوا بضاحكة فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عند أصحابه قال اعملوا وأبشروا فوالذى نفس محمد بيده ان معكم لخليقتين ما كانتا مع أحد قط الا كثرتاه مع من هلك من بنى آدم وبنى ابليس قالوا وما هما يا رسول الله قال يأجوج ومأجوج قال فسرى عن القوم فقال اعملوا وأبشروا فوالذى نفس محمد بيده ما أنتم فى الناس يوم القيامة الا كالشامة فى جنب البعير أو كالرقمة فى ذراع الدابة يا أيها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال دع التفكر فيما أنت مرتحل عنه واصرف الفكر الى موردك فانك أخبرت بأن النار مورد للجميع اذ قيل وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فانت من الورود على يقين ومن النجاة فى شك فاستشعر فى قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه وتأمل فى حال الخلائق وقد قاسوا من دواهى القيامة ما قاسوا فبينما هم فى كربها وأهوالها وقوفا ينتظرون حقيقة انبائها وتشفيع شفعائها اذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب وأظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الامم على الركب حتى أشفق البراء من سوء المنقلب وخرج المنادى من الزبانية قائلا أين فلان بن فلان المسوف نفسه فى الدنيا بطول الامل المضيع عمره فى سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه الى العذاب الشديد وينكسونه فى قعر الجحيم ويقولون له ذق انك أنت العزيز الكريم فأسكنوا دارا ضيقة الارجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الاسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم أمانيهم فيها الهلاك ومالهم فيها فكاك قد شدت أقدامهم الى النواصى واسودت وجوههم من ظلمة المعاصى ينادون من أكنافها ويصيحون فى نواحيها وأطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد أثقلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك أخرجنا منها فانا لا نعود فتقول الزبانية هيهات لات حين أمان ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسؤا فيها ولا تكلمون ولو أخرجتم منها لكنتم الى ما نهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا فى جنب الله يتأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الاسف بل يكبون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى فى النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل فهم يتجلجلون فى مضايقها ويتحطمون فى دركاتها ويضطربون بين غواشيها تغلى بهم النار كغلى القدور

ويهتفون بالويل والعويل ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما فى
بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من أفواههم وتنقطع
من العطش أكبادهم وتسيل على الخدود أحداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط
من الاطراف شعورها بل جلودها وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها قد عريت من
اللحم عظامهم فبقيت الارواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهى تنش فى لفح تلك النيران
وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون فكيف بك لو نظرت اليهم وقد سودت وجوههم أشد سواد
من الحميم وأعميت أبصارهم وأبكمت ألسنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم
وجدعت آذانهم ومزقت جلودهم وغلت أيديهم الى أعناقهم وجمع بين نواصيهم وأقدامهم
وهم يمشون على النار بوجوههم ويطؤن حسك الحديد باحداقهم فلهيب النار سار فى بواطن
أجزائهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم هذا بعض جملة أحوالهم
وانظر الآن فى تفصيل أهوالهم وتفكر أيضا فى أودية جهنم وشعابها فقد قال النبى صلى الله
عليه وسلم ان فى جهنم سبعين ألف واد فى كل واد سبعون ألف شعب فى كل شعب سبعون ألف
ثعبان وسبعون ألف عقرب لا ينتهى الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله وقال على كرم الله
وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن أو وادى الحزن قيل
يا رسول الله وما وادى أو جب الحزن قال واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده
الله تعالى للقراء المرائين فهذه سعة جهنم وانشعاب أوديتها وهى بحسب عدد أودية الدنيا
وشهواتها وعدد أبوابها بعدد الاعضاء السبعة التى بها يعصى العبد بعضها فوق بعض الأعلى
جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية فانظر الآن فى عمق الهاوية فانه
لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهى أرب من الدنيا الا الى أرب أعظم منه فلا
تنتهى هاوية من جهنم الا الى هاوية أعمق منها قال أبو هريرة كنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسمعنا وجبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال
هذا حجر أرسل فى جهنم منذ سبعين عاما الآن انتهى الى قعرها ثم انظر الى تفاوت الدركات فان
الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا فكما أن اكباب الناس على الدنيا يتفاوت فمن منهمك
مستكثر كالغريق فيها ومن خائض فيها الى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت فان
الله لا يظلم مثقال ذرة فلا تترادف أنواع العذاب على كل من فى النار كيفما كان بل لكل
واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه الا أن أقلهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها
لافتدى بها من شدة ما هو فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل النار عذابا يوم
القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه فانظر الآن الى من خفف عليه واعتبر
به من شدد عليه ومهما تشككت فى شدة عذاب النار فقرب أصبعك من النار وقس ذلك به ثم
اعلم انك أخطأت فى القياس فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان أشد عذاب فى الدنيا
عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها
طائعين هربا مما هم فيه وعن هذا عبر فى بعض الاخبار حيث قيل ان نار الدنيا غسلت بسبعين
ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم

فقال

فقال أمر الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم
أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة وقال صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى
ربها فقالت يا رب أكل بعضى بعضا فأذن لها فى نفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فأشد
ما تجدونه فى الصيف من حرها وأشد ما تجدونه فى الشتاء من زمهريرها وقال أنس بن مالك يؤتى
بأنعم الناس فى الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه فى النار غمسة ثم يقال له هل رأيت نعيما قط
فيقول لا ويؤتى باشد الناس ضرا فى الدنيا فيقال اغمسوه فى الجنة غمسة ثم يقال له هل رأيت
ضرا قط فيقول لا وقال أبو هريرة لو كان فى المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل
النار لماتوا وقد قال بعض العلماء فى قوله تلفح وجوههم النار انها لفحتهم لفحة واحدة فما أبقت
لحما على عظم الا ألقته عند أعقابهم ثم انظر بعد هذا فى نتن الصديد الذى يسيل من أبدانهم حتى
يغرقون فيه وهو الغساق قال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن دلوا من
غساق جهنم ألقى فى الدنيا لأنتن أهل الارض فهذا شرابهم اذا استغاثوا من العطش فيسقى
أحدهم من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وان
يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ثم انظر الى طعامهم
وهو الزقوم كما قال الله تعالى ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم
فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم وقال تعالى انها شجرة
تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم
ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم وقال تعالى تصلى نارا حامية تسقى من عين
آنية وقال تعالى ان لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما وقال ابن عباس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا
معايشهم فكيف من يكون طعامه ذلك وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارغبوا
فيما رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم فانه لو كانت
قطرة من الجنة معكم فى دنياكم التى أنتم فيها طيبتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم فى دنياكم
التى أنتم فيها خبثتها عليكم وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل
النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع
لا يسمن ولا يغنى من جوع ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصة فيذكرون انهم كانوا
يجيزون الغصص فى الدنيا بشراب فيستغيثون بشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا
دنت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخل الشراب بطونهم قطع ما فى بطونهم فيقولون
ادعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم ان ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون
أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال قال
فيقولون ادعوا مالكا فيدعون فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم انكم ماكثون
قال الاعمش أنبئت أن بين دعائهم وبين اجابة مالك اياهم ألف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا
أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا
فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك

أخذوا فى الزفير والحسرة والويل (وقال أبو امامة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب اليه فيتكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه فوقعت فروة رأسه فاذا شرب به قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وقال تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم فانظر الآن الى حيات جهنم وعقاربها والى شدة سمومها وعظم أشخاصها وفظاعة منظرها وقد سلطت على أهلها وأغريت بهم فهى لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهازمه يعنى أشداقه فيقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الآية وقال الرسول صلى الله عليه وسلم ان فى النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وان فيها العقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وهذه الحيات والعقارب انما تسلط على من سلط عليه فى الدنيا البخل وسوء الخلق وايذاء الناس ومن وقى ذلك وقى هذه الحيات فلم تمثل له ثم تفكر بعد هذا كله فى تعظيم أجسام أهل النار فان الله تعالى يزيد فى أجسامهم طولا وعرضا حتى يتزايد عذابهم بسببه فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع أجزائها دفعة واحدة على التوالى قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر فى النار مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه وقال عليه السلام ان الكافر ليجر لسانه فى سجين يوم القيامة يتواطأه الناس ومع عظم الاجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم قال الحسن فى قوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ثم تفكر الآن فى بكاء أهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور فان ذلك يسلط عليهم فى أول القائهم فى النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل على أهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى فى وجوههم كهيئة الاخدود ولو أرسلت فيها السفن لجرت ومادام يؤذن لهم فى البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون أيضا من ذلك (قال محمد بن كعب) لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل فى أربعة فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدا يقولون ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيقول الله تعالى مجيبا لهم ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير ثم يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا فيجيبهم الله تعالى أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال فيقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيجيبهم الله

تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب قال مالك بن أنس رضى الله عنه قال زيد بن أسلم فى قوله تعالى سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد ألف عام وليتنى كنت ذلك الرجل وروى الحسن رضى الله عنه جالسا فى زاوية وهو يبكى فقيل له لم تبكى فقال أخشى أن يطرحنى فى النار ولا يبالى فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها وأحزانها ومحنها وحسراتها لا نهاية له فأعظم الامور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة اذلم يبيعوا ذلك الا بشهوات حقيرة فى الدنيا أياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منغصة فيقولون فى أنفسهم واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا وكيف لم نكلف أنفسنا الصبر أياما قلائل ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنا أيامه وبقينا الآن فى جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان فيا لحسرة هؤلاء وقد فاتهم مافاتهم وبلوا بما بلوا به ولم يبق معهم شئ من نعيم الدنيا ولذاتها ثم انهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى يوم القيامة بناس من النار الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا الى قصورها والى ما أعد الله لاهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة مارجع الاولون والآخرون بمثلها فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن تريناما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لاوليائك كان أهون علينا فيقول الله تعالى ذاك أردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤن الناس بخلاف ما تعطونى من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابونى وأجللتم الناس ولم تجلونى وتركتم للناس ولم تتركوا لى فاليوم أذيقكم العذاب الاليم مع ما حرمتكم من الثواب المقيم قال أحمد بن حرب ان أحدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار وقال عيسى عليه السلام كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح وقال داود الهى لا صبر لى على حر شمسك فكيف صبرى على حر نارك ولا صبر لى على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك فانظر يامسكين فى هذه الاهوال واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق لها أهلا لا يزيدون ولا ينقصون وان هذا أمر قد قضى وفرغ منه قال الله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون ولعمرى الاشارة به الى يوم القيامة بل فى أزل الازل ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدرى أن القضاء بماذا سبق فى حقك فان قلت فليت شعرى ماذا موردى والى ماذا مآلى ومرجعى وما الذى سبق به القضاء فى حقى فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهو أن تنظر الى أحوالك وأعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فابشر فانك مبعد عن النار وان كنت لا تقصد خيرا الا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شرا الا ويتيسر لك

أسبابه فاعلم أنك مقضى عليك فان دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار فقد قال الله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين والله أعلم

(الباب الاربعون فى فضل الطاعة)

اعلم ان طاعة الله سبحانه وتعالى جماع الخير كله وقد حث الله تعالى عليها فى كتابه فى آيات متعددة وبها أرسل الرسل ليخرج الناس من ظلمات النفوس الى أنوار معرفة القدوس وليتمتعوا فى دار النعيم التى أعدت للمتقين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فانهم لم يخلقوا عبثا بل ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى وهو الغنى عن طاعتهم ولا تضره معصيتهم ولا تنقص من كمالاته شيأ فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها والله الغنى وأنتم الفقراء يا عجبا أحدنا يشترى الرقيق ويحب أن يكون قائما بما يلزم من الخدمة ناصحا فيها منقادا لمولاه الذى استولى عليه بالعرض اليسير الفانى ويمقته بزلة واحدة ويغضب عليه وربما منعه مرتبه أو طرده أو باعه فما لنا لا نطيع مولانا الحقيقى الذى خلقنا وسوانا ونقع فى زلات عدد المطر ومع ذلك لم يمنع نعمه عنا وامداداته التى لولاها لهلكنا وهو قادر على البطش بنا بمجرد ارتكاب زلة واحدة لكنه يمهلنا لعلنا نتوب فيقبلنا ويغفر زلتنا ويستر عورتنا فالعاقل يعرف من هو الاحق بالطاعة فيقبل عليه ويتوجه بكليته اليه وكلما أذنب تاب والى خالقه أناب ولا ييأس من رحمته ويتحبب اليه بشكر نعمته ويواظب على ذلك عسى أن يكتب من المحبين فيأتيه الموت وهو مشتاق الى مولاه ومولاه أشد شوقا الى لقائه (قال أبو الدرداء) لكعب رضى الله عنهما أخبرنى عن أخص آية يعنى فى التوراة فقال يقول الله تعالى طال شوق الابرار الى لقائى وانى الى لقائهم لأشد شوقا قال ومكتوب الى جانبها من طلبنى وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى فقال أبو الدرداء أشهد أنى لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا وفى أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى قال يا داود أبلغ أهل أرضى أنى حبيب لمن حبنى وجليس لمن جالسنى ومؤنس لمن أنس بذكرى وصاحب لمن صاحبنى ومختار لمن اختارنى ومطيع لمن أطاعنى ما أحبنى عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسى وأحببته حبا لا يتقدمه أحد من خلقى من طلبنى بالحق وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى فارفضوا يا أهل الارض ما أنتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتى ومصاحبتى ومجالستى وأنسوا بى أؤانسكم وأسارع الى محبتكم فانى خلقت طينة أحبائى من طينة ابراهيم خليلى وموسى نجيى ومحمد صفيى وخلقت قلوب المشتاقين من نورى ونعمتها بجلالى (وروى) عن بعض السلف ان الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين ان لى عبادا من عبادى يحبونى وأحبهم ويشتاقون الى وأشتاق اليهم ويذكرونى وأذكرهم وينظرون الى وأنظر اليهم فان حذوت طريقهم أحببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما يحن الطائر الى وكره عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش

ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الى أقدامهم وافترشوا الى وجوههم وناجونى بكلامى وتملقوا الى بانعامى فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعينى ما يتحملون من أجلى وبسمعى ما يشتكون من حبى أول ما أعطيهم ثلاث أقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والارض وما فيها فى موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة أقبل بوجهى عليهم فترى من أقبلت بوجهى عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه (وفى أخبار داود عليه السلام) ان الله تعالى أوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسألنى الشوق الى قال يا رب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الى الذين صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الى خرقا ينظرون الى وانى لاحمل قلوبهم بيدى فاضعها على سمائى ثم أدعو نجباء ملائكتى فاذا اجتمعوا سجدوا لى فأقول انى لم أدعكم لتسجدوا لى ولكنى دعوتكم لأعرض عليكم قلوب المشتاقين الى وأباهى بكم أهل الشوق الى فان قلوبهم لتضىء فى سمائى لملائكتى كما تضىء الشمس لاهل الارض يا داود انى خلقت قلوب المشتاقين من رضوانى ونعمتها بنور وجهى فاتخذتهم لنفسى محدثى وجعلت أبدانهم موضع نظرى الى الارض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الى يزدادون فى كل يوم شوقا قال داود يا رب أرنى أهل محبتك فقال يا داود ائت جبل لبنان فان فيه أربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم شيوخ وفيهم كهول فاذا أتيتهم فأقرئهم منى السلام وقل لهم ان ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسألون حاجة فانكم أحبائى وأصفيائى وأوليائى أفرح لفرحكم وأسارع الى محبتكم فأتاهم داود عليه السلام فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون فى عظمة الله عز وجل فلما نظروا الى داود عليه السلام نهضوا ليتفرقوا عنه فقال داود انى رسول الله اليكم جئتكم لأبلغكم رسالة ربكم فأقبلوا نحوه وألقوا أسماعهم نحو قوله وألقوا أبصارهم الى الارض فقال داود انى رسول الله اليكم يقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسألون حاجة ألا تنادونى أسمع صوتكم وكلامكم فانكم أحبائى وأصفيائى وأوليائى أفرح لفرحكم وأسارع الى محبتكم وأنظر اليكم فى كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة قال فجرت الدموع على خدودهم فقال شيخهم سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من أعمارنا وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك أفنجترئ على الدعاء وقد علمت أنه لا حاجة لنا فى شئ من أمورنا فأدم لنا لزوم الطريق اليك وأتمم بذلك المنة علينا وقال الآخر نحن مقصرون فى طلب رضاك فأعنا عليه بجودك وقال الآخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر فى عظمتك أفيجترئ على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر فى جلالك وطلبتنا الدنو من نورك وقال الآخر كلت ألسنتنا عن دعائك لعظم شأنك وقربك من أوليائك وكثرة منتك على أهل محبتك وقال الآخر أنت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا فى شكرك وقال الآخر قد عرفت حاجتنا انما هى النظر الى وجهك وقال الآخر كيف يجترئ العبد على سيده اذ أمرتنا بالدعاء بجودك فهب لنا نورا نهتدى به فى الظلمات من أطباق السموات وقال الآخر ندعوك أن تقبل علينا وتديمه

عندنا وقال الآخر نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا وقال الآخر لا حاجة لنا فى شئ من خلقك فامنن علينا بالنظر الى جمال وجهك وقال الآخر أسألك من بينهم أن تعمى عينى عن النظر الى الدنيا وأهلها وقلبى عن الاشتغال بالآخرة وقال الآخر قد عرفت تباركت وتعاليت أنك تحب أولياءك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شئ دونك فأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم الى ما أحببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فانى كاشف الحجاب فيما بينى و بينكم حتى تنظروا الى نورى وجلالى فقال داود يارب بم نالوا هذه منك قال بحسن الظن والكف عن الدنيا وأهلها والخلوات بى ومناجاتهم لى وان هذا منزل لا يناله الا من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشئ من ذكرها وفرغ قلبه لى واختارنى على جميع خلقى فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه وأكشف الحجاب فيما بينى و بينه حتى ينظر الىّ نظر الناظر بعينه الى الشئ وأريه كرامتى فى كل ساعة وأقربه من نور وجهى ان مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشفيقة ولدها وان عطش أرويته وأذيقه طعم ذكرى فاذا فعلت ذلك به يا داود عميت نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحببها اليه لا يفتر عن الاشتغال بى يستعجلنى القدوم وأنا أكره أن أميته لانه موضع نظرى من بين خلقى لا يرى غيرى ولا أرى غيره فلو رأيته يا داود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت أعضاؤه وانخلع قلبه اذا سمع بذكرى أباهى به ملائكتى وأهل سمواتى يزداد خوفا وعبادة وعزتى وجلالى يا داود لاقعدنه فى الفردوس ولأشفين صدره من النظر الىّ حتى يرضى وفوق الرضا (وفى أخبار داود أيضا) قل لعبادى المتوجهين الى محبتى ماضركم اذا احتجبت عن خلقى ورفعت الحجاب فيما بينى و بينكم حتى تنظروا الىّ بعيون قلوبكم وماضركم ما زويت عنكم من الدنيا اذا بسطت دينى لكم وماضركم مسخطة الخلق اذا التمستم رضائى (وفى أخبار داود أيضا) ان الله تعالى أوحى اليه تزعم انك تحبنى فان كنت تحبنى فأخرج حب الدنيا من قلبك فان حبى وحبها لا يجتمعان فى قلب يا داود خالص حبيبى مخالصة وخالط أهل الدنيا مخالطة ودينك فقلدنيه ولا تقلد دينك الرجال أما ما استبان لك مما وافق محبتى فتمسك به وأما ما أشكل عليك فقلدنيه حقا علىّ أنى أسارع الى سياستك وتقويمك وأكون قائدك ودليلك أعطيك من غير أن تسألنى وأعينك على الشدائد وانى قد حلفت على نفسى انى لا أثيب الا عبدا قد عرفت من طلبته وارادته القاء كنفه بين يدى وانه لا غنى به عنى فاذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك وأسكن الغنى قلبك فانى قد حلفت على نفسى أنه لا يطمئن عبد لى الى نفسه ينظر الى فعالها الا وكلته اليها أضف الاشياء الىّ لا تضاد عملك فتكون متعنيا ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تجد لمعرفتى حدا فليس لها غاية ومتى طلبت منى الزيادة أعطك ولا تجد للزيادة منى حدا ثم أعلم بنى اسرائيل انه ليس بينى وبين أحد من خلقى نسب فلتعظم رغبتهم وارادتهم عندى أبح لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضعنى بين عينيك وانظر الىّ ببصر قلبك ولا تنظر بعينك التى فى رأسك الى الذين حجبت عقولهم عنى فامرجوها فوسمحت بانقطاع ثوابى عنها فانى حلفت بعزتى وجلالى لا أفتح ثوابى لعبد دخل فى طاعتى للتجربة والتسويف تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين فلو علم أهل محبتى منزلة المريدين عندى لكانوا لهم أرضا يمشون عليها يا داود لان تخرج مريدا من سكرة هو فيها

تستنقذه فأ كتبك عندى جهيدا ومن كتبته عندى جهيدا لا تكون عليه وحشة ولا فاقة الى المخلوقين يا داود تمسك بكلامى وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فأحجب عنك محبتى لا تؤيس عبادى من رحمتى اقطع شهوتك لى فانما أبحت الشهوات لضعفة خلقى ما بال الاقوياء أن ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتى وانما عقوبة الاقوياء عندى فى موضع التناول أدنى ما يصل اليهم أن أحجب عقولهم عنى فانى لم أرض الدنيا لحبيبى ونزهته عنها يا داود لا تجعل بينى و بينك عالما يحجبك بسكره عن محبتى أولئك قطاع الطريق على عبادى المريدين استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم واياك والتجربة فى الافطار فان محبتى للصوم ادمانه

(الباب الحادى والاربعون فى الشكر)

اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالذكر فى كتابه مع انه قال ولذكر الله أكبر فقال تعالى فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون وقال الله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال تعالى وسنجزى الشاكرين وقال عز وجل اخبارا عن ابليس اللعين لأقعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو طريق الشكر طعن اللعين فى الخلق فقال ولا تجد أكثرهم شاكرين وقال تعالى وقليل من عبادى الشكور وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم واستثنى فى خمسة أشياء فى الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال ويرزق من يشاء بغير حساب وقال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال ويتوب الله على من يشاء وهو خلق من أخلاق الربوبية اذ قال تعالى والله شكور حليم وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة فقال تعالى وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وقال وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (وأما الاخبار) فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروى عن عطاء انه قال دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت وأى شأنه لم يكن عجبا أتانى ليلة فدخل معى فى فراشى أو قالت فى لحافى حتى مس جلدى جلده ثم قال يا ابنة أبى بكر ذرينى أتعبد لربى قالت قلت انى أحب قربك لكنى أوثر هواك فأذنت له فقام الى قربة ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلى فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك يبكى حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ولم لا أفعل ذلك وقد أنزل الله تعالى علىّ ان فى خلق السموات والارض الآية وهذا يدل على أن البكاء ينبغى أن لا ينقطع أبدا والى هذا السر يشير ما روى أنه مر بعض الانبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه فأنطقه الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها الناس والحجارة فأنا أبكى من خوفه فسأل الله له أن يجيره من النار فأجاره ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكى الآن فقال ذاك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة أو أشد قسوة ولا تزول قسوته الا بالبكاء فى حال الخوف والشكر جميعا وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ينادى يوم القيامة ليقم الحامدون فتقوم زمرة

فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحمادون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال وفى لفظ آخر الذين يشكرون الله على السراء والضراء وقال صلى الله عليه وسلم الحمد رداء الرحمن وأوحى الله تعالى الى أيوب عليه السلام انى رضيت بالشكر مكافأة من أوليائى فى كلام طويل وأوحى الله تعالى اليه أيضا فى صفة الصابرين ان دارهم دار السلام اذا دخلوها ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر أستزيدهم وبالنظر الى أزيدهم ولما نزل فى الكنوز ما نزل قال عمر رضى الله عنه أى المال نتخذ فقال عليه السلام ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا فأمر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال وقال ابن مسعود الشكر نصف الايمان (واعلم) أن الشكر يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح أما بالقلب فقصد الخير واضماره لكافة الخلق وأما باللسان فاظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله تعالى فى طاعته والتوقى من الاستعانة بها على معصيته حتى ان شكر العينين أن تستر كل عيب تراه لمسلم وشكر الاذنين أن تستر كل عيب تسمعه فيه فيدخل هذا فى جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الاعضاء والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف أصبحت قال بخير فأعاد صلى الله عليه وسلم السؤال حتى قال فى الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال صلى الله عليه وسلم هذا الذى أردت منك وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من أهل الدين وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده كل شئ الى عبد مملوك لا يقدر على شئ فالاحرى بالعبد ان لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وأفضى به الضعف الى الشكوى أن تكون شكواه الى الله تعالى فهو المبلى والقادر على ازالة البلاء وذل العبد لمولاه عز والشكوى الى غيره ذل واظهار الذل للعبد مع كونه عبدا مثله ذل قبيح قال الله تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فالشكر باللسان من جملة الشكر وقد روى ان وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال يا أمير المؤمنين لو كان الامر بالسن لكان فى المسلمين من هو أسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة أما الرغبة فقد أوصلها الينا فضلك وأما الرهبة فقد آمننا منها عدلك وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف

(الباب الثانى والاربعون فى بيان ذم الكبر)

قد ذم الله الكبر فى مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وقال عز وجل كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال تعالى انه لا يحب المستكبرين وقال تعالى لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين وذم الكبر فى القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته فى جهنم ولا أبالى وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على الصفا فتوافقا فمضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يبكى فقالوا ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعنى عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله فى النار على وجهه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب فى الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والانس والجن والبهائم اخرجوا فخرجوا فى مائتى ألف من الانس ومائتى ألف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح فى السموات ثم خفض حتى مست أقدامه البحر فسمع صوتا لو كان فى قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به أبعد مما رفعته وقال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا سيئ الملكة وقال صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالى لا يدخلنى الا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله للجنة انما أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى وقال للنار انما أنت عذابى أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها وقال صلى الله عليه وسلم بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسى الكبير المتعال بئس العبد عبد غفل وسها ونسى المقابر والبلى بئس العبد عبد عتى وبغى ونسى المبدأ والمنتهى وعن ثابت أنه قال بلغنا أنه قيل يا رسول الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بعده الموت وقال عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال انى آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا اله الا الله فان السموات والارضين وما فيهن لو وضعت فى كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله فى الكفة الاخرى كانت أرجح منها ولو أن السموات والارضين وما فيهن كانت حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شئ وبها يرزق كل شئ وقال المسيح عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا وقال صلى الله عليه وسلم أهل النار كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء المقلون وقال صلى الله عليه وسلم ان أحبكم الينا وأقربكم منا فى الآخرة أحاسنكم أخلاقا وان أبغضكم الينا وأبعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون وقال صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون يوم القيامة فى مثل صور الذر تطؤهم الناس ذرا فى مثل صور الرجال يعلوهم كل شئ من الصغار ثم يساقون الى سجن فى جهنم يقال له ٢ بولس تعلوهم نار الانيار يسقون من طين الخبال عصارة أهل النار وقال أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة فى صور الذر

٢ قوله بولس بموحدة مضمومة ولام مفتوحة وسين مهملة كما فى القاموس اهـ

تطأهم الناس لهوانهم على الله تعالى وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبى بردة فقلت له يا بلال ان أباك حدثنى عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان فى جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله أن يسكنه كل جبار فاياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه وقال صلى الله عليه وسلم ان فى النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم وقال صلى الله عليه وسلم اللهمّ انى أعوذ بك من نفخة الكبرياء وقال من فارق روحه جسده وهو برئ من ثلاث دخل الجنة الكبر والدين والغلول وقال أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر اليها فقال أنت حرام على كل متكبر وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب مادّ رجليه فلم يقبضهما وقعد الاحنف فزاحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك فى وجهه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرّتين وقال الحسن العجب من ابن آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرّة أو مرّتين ثم يعارض جبار السموات وقد قيل فى وفى أنفسكم أفلا تبصرون هو سبيل الغائط والبول وقال محمد بن الحسين بن علىّ ما دخل قلب امرئ شئ من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر وسئل سليمان عن السيئة التى لا تنفع معها حسنة فقال الكبر وقال النعمان بن بشير على المنبر ان للشيطان مصائد وفخوخا وان من مصائد الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله والفخر باعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى فى غير ذات الله نسأل الله تعالى العفو والعافية فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا وقال صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر فى بردته اذ أعجبته نفسه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه يوم القيامة وقال زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فمرّ به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول أى بنىّ ارفع ازارك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينظر الله الى من جر ازاره خيلاء وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما على كفه ووضع اصبعه عليه وقال يقول الله تعالى ابن آدم أتعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سوّيتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقى قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة وقال صلى الله عليه وسلم اذا مشت أمتى المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض قال ابن الاعرابى هى مشية فيها اختيال وقال صلى الله عليه وسلم من تعظم فى نفسه واختال فى مشيته لقى الله وهو عليه غضبان وعن أبى بكر الهذلى قال بينما نحن مع الحسن اذ مرّ علينا ابن الأهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشى يتبختر اذ نظر اليه الحسن نظرة فقال أف أف شامخ بأنفه ثانى عطفه مصعر خده ينظر فى عطفيه أى حمق أنت تنظر فى عطفيك فى نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير مأخوذ بأمر الله فيها ولا مؤدّى حق الله منها فى كل عضو من أعضائه لله نعمة وللشيطان به لفتة والله أن يمشى أحد طبيعته أو يتخلج تخلج المجنون خير له من هذا فسمع ابن الأهتم فرجع يعتذر اليه فقال لا تعتذر الىّ وتب الى ربك أما سمعت قول الله تعالى ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ومرّ بالحسن

شاب عليه بزة له حسنة فدعاه فقال له ابن آدم معجب بشبابك محب لشمائلك كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك قد لاقيت عملك ويحك داو قلبك فان حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم * وروى أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال فى مشيته فغمز جنبه باصبعه ثم قال ليست هذه مشية من فى بطنه خرء فقال عمر كالمعتذر يا عم لقد ضرب كل عضو منى على هذه المشية حتى تعلمتها ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه وقال أتدرى من أنت أما أمك فاشتريتها بمائة درهم وأما أبوك فلا أكثر الله فى المسلمين مثله ورأى ابن عمر رجلا يجر ازاره فقال ان للشيطان اخوانا كرّرها مرتين أو ثلاثا (ويروى) أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب وهو يتبختر فى جبة خز فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب أما تعرفنى فقال بلى أعرفك أوّلك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك وأنشدوا فى هذا المعنى

عجبت من معجب بصورته * وكان بالامس نطفة مذره
وفى غد بعد حسن هيئته * يصير فى القبر جيفة قذره

وأنشد خلف الاحمر

لنا صاحب مولع بالخلاف * كثير الخطاء قليل الصواب
أشدّ لجاجا من الخنفساء * وأزهى اذا ما مشى من غراب

(وقال آخر)

قلت للمعجب لما * قال مثلى لا يراجع
يا قريب العهد بالمخرج لم لا تتواضع

(ومثله لذى النون المصرى)

أيها الشامخ الذى لا يرام * نحن من طينة عليك السلام
انما هذه الحياة متاع * ومع الموت تستوى الاقدام

وقال مجاهد فى قوله تعالى ثم ذهب الى أهله يتمطى أى يتبختر والله تعالى أعلم

(الباب الثالث والاربعون فى التفكر فى الايام وغيرها)

قد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر فى كتابه العزيز فى مواضع لا تحصى فقال تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الآية أى تعاقبهما فى المجئ والذهاب يخلف أحدهما صاحبه اذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلفه أى بعده قال تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة قال عطاء أراد اختلافهما فى النور والظلمة والزيادة والنقصان وما أحسن قول القائل

يا راقد الليل مسرورا بأوّله * ان الحوادث قد تطرقن أسحارا
لا تفرحن بليل طاب أوّله * فرب آخر ليل أجج النارا

وقول آخر

ان الليالى للانام مناهل * تطوى وتنشر دونها الاعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

وأثنى الله على المتفكرين فقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما ان قوما تفكروا فى الله عز وجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى الله فانكم لن تقدروا قدره وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال مالكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر فى خلق الله عز وجل قال فكذلك فافعلوا تفكروا فى خلقه ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها او بياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله طرفة عين قالوا يارسول الله فأين الشيطان منهم قال مايدرون خلق الشيطان أم لا قالوا من ولد آدم قال لايدرون خلق آدم أم لا وعن عطاء قال انطلقت يوما أنا وعبيد بن عمير الى عائشة رضى الله عنها فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا قال قول رسول الله صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا قال ابن عمير فأخبرينا بأعجب شىء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكت وقالت كل شىء من أمره كان عجبا أتانى مرة فى ليلتى حتى مس جلده جلدى ثم قال ذرينى أتعبد لربى عز وجل فقام الى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلى فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يارسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال وما يمنعنى أن أبكى وقد أنزل الله تعالى على فى هذه الليلة ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها فقيل للاوزاعى ما غاية التفكر فيهن قال يقرؤهن و يعقلهن وعن محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة ركب الى أم ذر بعد موت أبى ذر فسألها عن عبادة أبى ذر فقالت كان نهاره أجمع فى ناحية البيت يتفكر وعن الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة وعن الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيآتك وقيل لابراهيم انك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العقل وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما يتمثل بقول القائل

اذا المرء كانت له فكرة * ففى كل شىء له عبرة

وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم يا روح الله هل على الارض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلى وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو وفى قوله تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قال أمنع قلوبهم التفكر فى أمرى وعن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطوا أعينكم حظها من العبادة فقالوا يارسول الله وما حظها من العبادة قال النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة انها قالت لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها الى ما قد ادخر لها فى حجب الغيب من خير الآخرة لم يصف لهم فى الدنيا عيش ولم تقر لهم فى الدنيا عين وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول

يالقمان انك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان ان طول الوحدة أدوم للفكر وطول الفكر دليل على طريق الجنة وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرئ قط الا علم وما علم امرؤ قط الا عمل وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة فى نعم الله عز وجل من أفضل العبادة وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن على ورآه ساكتا متفكرا أين بلغت قال الصراط وقال بشر لو تفكر الناس فى عظمة الله ما عصوا الله عز وجل وعن ابن عباس ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب وبينا أبو شريح يمشى اذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكى فقيل له ما يبكيك قال تفكرت فى ذهاب عمرى وقلة عملى واقتراب أجلى وقال أبو سليمان عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكر وقال أبو سليمان أيضا الفكر فى الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكر فى الآخرة يورث الحكمة ويحيى القلوب (وقال حاتم) من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف وقال ابن عباس التفكر فى الخير يدعو الى العمل به والندم على الشر يدعو الى تركه (ويروى) أن الله تعالى قال فى بعض كتبه انى لست أقبل كلام كل حكيم ولكن أنظر الى همه وهواه فاذا كان همه وهواه لى جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وان لم يتكلم وقال الحسن ان أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة وقال اسحق بن خلف كان داود الطائى رحمه الله تعالى على سطح فى ليلة قمراء فتفكر فى ملكوت السموات والارض وهو ينظر الى السماء ويبكى حتى وقع فى دار جار له قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف وظن انه لص فلما نظر الى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذى طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك وقال الجنيد اشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة فى ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله عز وجل ثم قال يالها من مجالس ما أجلها ومن شراب ما ألذه طوبى لمن رزقه وقال الشافعى رحمه الله تعالى استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر وقال أيضا صحة النظر فى الامور نجاة من الغرور والعزم فى الرأى سلامة من التفريط والندم والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات فى النفس وقوة فى البصيرة ففكر قبل أن تعزم وتدبر قبل أن تهجم وشاور قبل أن تقدم وقال أيضا الفضائل أربع احداها الحكمة وقوامها الفكرة والثانية العفة وقوامها فى الشهوة والثالثة القوة وقوامها فى الغضب والرابعة العدل وقوامه فى اعتدال قوى النفس

(الباب الرابع والاربعون فى بيان شدة الموت)

عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته وألمه فقال هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف وسئل صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدته فقال ان أهون الموت بمنزلة حسكة فى صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف ودخل صلى الله عليه وسلم على مريض ثم قال انى أعلم ما يلقى ما منه عرق الا و يألم للموت على حدته وكان على كرم الله وجهه يحض على

القتال ويقول ان لم تقتلوا تموتوا والذى نفسى بيده لألف ضربة بالسيف أهون على من موتة على فراش وقال الأوزاعى بلغنا ان الميت يجد ألم الموت مالم يبعث من قبره وقال شداد بن أوس الموت أفظع هول فى الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلى فى القدور ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال اذا بقى على المؤمن من درجاته شئ لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته فى الجنة واذا كان للكافر معروف لم يجز به هون عليه فى الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير الى النار وعن بعضهم أنه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض قيل له فأنت كيف تجده فقال كأن السموات مطبقة على الارض وكأن نفسى يخرج من ثقب ابرة وقال صلى الله عليه وسلم موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر وروى عن مكحول عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والارض لماتوا باذن الله تعالى لان فى كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشئ الامات ويروى لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها الذابت وروى ان ابراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت الموت يا خليلى قال كسفود جعل فى صوف رطب ثم جذب فقال اما انا قد هونا عليك وروى عن موسى عليه السلام انه لما صارت روحه الى الله تعالى قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسى كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير وروى عنه أنه قال وجدت نفسى كشاة حية تسلخ بيد القصاب وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده فى الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون على سكرات الموت وفاطمة رضى الله عنها تقول واكرباه لكربك يا أبتاه وهو يقول لا كرب على أبيك بعد اليوم وقال عمر رضى الله عنه لكعب الاحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين ان الموت كغصن كثير الشوك أدخل فى جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فاخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقنى وأفارقك الى يوم القيامة فهذه سكرات الموت على اولياء الله وأحبابه فما حالنا ونحن المنهمكون فى المعاصى وتتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهى فان دواهى الموت ثلاث الأولى شدة النزع كما ذكرناه الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو رأى صورته التى يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته فقد روى عن ابراهيم الخليل عليه السلام أنه قال لملك الموت هل تستطيع أن ترينى صورتك التى تقبض عليها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى قال فأعرض عنى فأعرض عنه ثم التفت فاذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار والدخان فغشى على ابراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت الا صورة وجهك لكان حسبه وروى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ان داود عليه السلام كان رجلا غيورا وكان

اذا خرج غلق الابواب فغلقها ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فاذا هى برجل فى الدار فقالت من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عناء فجاء داود فرآه فقال من أنت فقال انا الذى لا أهاب الملوك ولا يمنعهم منى الحجاب فقال فأنت والله اذا ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه وروى أن عيسى عليه السلام مر بجمجمة فضربها برجله فقال تكلمى باذن الله فقالت يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بينا أنا جالس فى ملكى على تاجى وحولى جنودى وحشمى على سرير ملكى اذ بدا الى ملك الموت فزال منى كل عضو على حياله ثم خرجت نفسى اليه فياليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة وياليت ما كان من ذلك الانس كان وحشة فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون فقد حكى الانبياء مجرد سكرة النزع دون الروعة التى يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها فى منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره فكيف برؤيته فى مثل تلك الحال وأما المطيع فانه يراه فى أحسن صورة وأجملها فقد روى عكرمة عن ابن عباس أن ابراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فاذا برجل فى جوف البيت فقال من أدخلك دارى فقال أدخلنيها ربها فقال أنا ربها فقال أدخلنيها من هو أملك بها منى ومنك فقال من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت قال هل تستطيع أن ترينى الصورة التى تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فأعرض عنى فأعرض ثم التفت فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت الا صورتك كان حسبه ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب بلغنا انه ما من ميت يموت حتى يتراأى له ملكاه الكاتبان عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا وان كان فاجرا قالا له لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح أحضرتنا وكلام قبيح أسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك شخوص بصر الميت اليهما ولا يرجع الى الدنيا أبدا الداهية الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فانهم فى حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم ولن تخرج أرواحهم مالم يسمعوا نغمة ملك الموت باحدى البشريين اما أبشر يا عدو الله بالنار أو أبشر يا ولى الله بالجنة ومن هذا كان خوف أرباب الالباب وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار

(الباب الخامس والاربعون فى بيان القبر وسؤاله)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بى ألم تعلم انى بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بى اذ كنت تمر بى فذاذا فان كان مصلحا أجاب عنه مجيب للقبر فيقول أرأيت ان كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر انى اذا أتحول عليه خضرا ويعود جسده نورا وتصعد روحه الى الله تعالى والفذاذ هو الذى يقدم رجلا ويؤخر أخرى هكذا فسره الراوى وقال عبيد بن عمير الليثى ليس من ميت يموت الا نادته حفرته التى يدفن فيها أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان كنت فى

حياتك لله مطيعا كنت عليك اليوم رحمة وان كنت عاصيا فأنا اليوم عليك نقمة أنا الذى من دخلنى مطيعا خرج مسرورا ومن دخلنى عاصيا خرج مثبورا وقال محمد بن صبيح بلغنا أن الرجل اذا وضع فى قبره فعذب أو أصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى أيها المتخلف فى الدنيا بعد اخوانه وجيرانه أما كان لك فينا معتبر أما كان لك فى متقدمنا اياك فكرة أما رأيت انقطاع أعمالنا عنا وأنت فى المهلة فهلا استدركت ما فات اخوانك وتناديه بقاع الارض أيها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك فى بطن الارض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به أجله الى القبور وأنت تراه محمولا تهاداه أحبته الى المنزل الذى لا بد له منه (وقال يزيد الرقاشى بلغنى أن الميت اذا وضع فى قبره احتوشته أعماله ثم أنطقها الله فقالت أيها العبد المنفرد فى حفرته انقطع عنك الاخلاء والاهلون فلا أنيس لك اليوم عندنا وقال كعب اذا وضع العبد الصالح فى القبر احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة قال فتجىء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال بى القيام لله عليهما فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد أطال ظمأه لله فى دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله فلا سبيل لكم عليه قال فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبى فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت فى يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيئا طبت حيا وطبت ميتا قال وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له فى قبره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضىء بنوره الى يوم يبعثه الله من قبره وقال عبيد الله بن عبيد بن عمير فى جنازة بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شىء الا قبره يقول ويحك ابن آدم أليس قد حذرتنى وحذرت ضيقى ونتنى وهولى ودودى فماذا أعددت لى وقال البراء بن عازب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الانصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا رأسه ثم قال اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال ان المؤمن اذا كان فى قبل من الآخرة بعث الله ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك فى السماء وفتحت أبواب السماء فليس منها باب الا يحب أن يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه قيل أى رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فانى وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم قال فينتهره انتهارا شديدا وهى آخر فتنة تعرض على الميت فاذا قال ذلك نادى مناد أن قد صدقت وهو معنى قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الآية ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول أبشر برحمة ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول وأنت فبشرك الله بخير من أنت فيقول أنا عملك الصالح والله علمت ان كنت لسريعا الى طاعة الله تعالى بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا قال ثم ينادى مناد أن

افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويفتح له باب الى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى أرجع الى أهلى ومالى قال وأما الكافر فانه اذا كان فى قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك فى السماء وغلقت أبواب السماء فليس منها باب الا يكره أن يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه نبذ وقيل أى رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا أرض فيقول الله عز وجل ارجعوه فأروه ما أعددت له من الشر انى وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال له يا هذا من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدرى فيقال له لا دريت ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول أبشر بسخط الله وبعذاب أليم مقيم فيقول بشرك الله بشر من أنت فيقول أنا عملك الخبيث والله ان كنت لسريعا فى معصية الله بطيئا عن طاعة الله فجزاك الله شرا فيقول وأنت فجزاك الله شرا ثم يقيض له أصم أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على أن يقلوها لم يستطيعوا والو ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم تعود فيه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الارض ليس الثقلين قال ثم ينادى مناد أن افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا الى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب الى النار وقال محمد بن على ما من ميت يموت الا مثل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة قال فيشخص الى حسناته ويطرق عن سيئاته وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال أيتها النفس المطمئنة اخرجى راضية ومرضيا عنك الى روح الله وكرامته فاذا أخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها الى عليين وان الكافر اذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنتزع روحه انتزاعا شديدا ويقال أيتها النفس الخبيثة اخرجى ساخطة ومسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه فاذا أخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة وان لها نشيشا ويطوى عليها المسح ويذهب بها الى سجين (وعن محمد بن كعب القرظى) انه كان يقرأ قوله تعالى حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت قال أى شىء تريد وفى أى شىء ترغب أتريد أن ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبنى البنيان وتشق الانهار قال لا لعلى أعمل صالحا فيما تركت قال فيقول الجبار كلا انها كلمة هو قائلها أى ليقولنها عند الموت وقال أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن فى قبره فى روضة خضراء ويرحب له فى قبره سبعون ذراعا ويضىء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيماذا أنزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله أعلم قال فى عذاب الكافر فى قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤس يخدشونه ويلحسونه وينفخون فى جسمه الى يوم يبعثون ولا ينبغى أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص فان عدد هذه الحيات والعقارب بعدد الاخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات فان لها أصولا معدودة ثم تتشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها بأقسام وتلك

الصفات باعيانها هى المهلكات وهى بأعيانها تنقلب عقارب وحيات فالقوى منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤذى ايذاء الحية وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها الا أن مقدار عددها لا يوقف عليه الا بنور النبوة فأمثال هذه الاخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية ولكنها عند أرباب البصائر واضحة فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغى أن ينكر ظواهرها بل أقل درجات الايمان التصديق والتسليم

(الباب السادس والاربعون فى بيان علم اليقين وعين اليقين والسؤال يوم العرض)

قال الله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين يعنى لو تعلمون أمر القيامة باليقين لالهاكم عن ذلك أى عن التكاثر والتفاخر ولفعلتم ما ينفعكم من الخير ولتركتم ما لا ينفعكم ويقال حقا لو تعلمون علم اليقين كما يعلمه الرسل ان المال والحساب فى الفخر لا ينفعكم يوم القيامة ما افتخرتم بالمال وكثرة العدد لترون الجحيم أقسم الرب انكم لترون النار وشدتها يوم القيامة عيانا ثم لترونها عين اليقين يعنى لترون الجحيم الرؤية التى هى نفس اليقين وهى المشاهدة والمعاينة التى لا شك فيها فان قيل الفرق بين علم اليقين وعين اليقين قيل له علم اليقين كان للانبياء بنبوتهم وعين اليقين للملائكة لانهم يعاينون الجنة والنار واللوح والقلم والعرش والكرسى فتكون لهم عين اليقين وان شئت قلت علم اليقين علم الموت والقبور للاحياء لانهم يعرفون بان الاموات فى القبور ولكن لا يدرون كيف حالهم فيها وعين اليقين للاموات لانهم عاينوا القبور اما روضة من رياض الجنة واما حفرة من حفر النار وان شئت قلت علم اليقين علم القيامة وعين اليقين معاينة القيامة وأهوالها وان شئت قلت علم اليقين علم الجنة والنار وعين اليقين الرؤية ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم يعنى لتسئلن يوم القيامة عن نعيم الدنيا من صحة الابدان والاسماع والابصار والمكاسب وملاذ المآكل والمشارب وغير ذلك هل أديتم شكرها لموليها وعرفتموه بها أم كفرتم بها (أخرج) ابن أبى حاتم وابن مردويه عن زيد بن أسلم عن أبيه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ألهاكم التكاثر يعنى عن الطاعات حتى زرتم المقابر يقول حتى يأتيكم الموت كلا سوف تعلمون يعنى لو قد دخلتم قبوركم ثم كلا سوف تعلمون يقول لو قد خرجتم من قبوركم الى محشركم كلا لو تعلمون علم اليقين قال لو قد وقفتم على أعمالكم بين يدى ربكم لترون الجحيم وذلك لان الصراط يوضع وسط جهنم فناج مسلم ومخدوش مسلم ومكدوش فى نار جهنم ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم يعنى شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم وعن على رضى الله عنه قال النعيم العافية وعنه قال من أكل خبز البر وشرب من الفرات مبردا وكان له منزل يسكنه فذلك من النعيم الذى يسئل عنه وعن أبى قلابة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الآية قال ناس من أمتى يعقدون السمن والعسل النقى فيأكلونه وعن عكرمة قال لما نزلت هذه الآية قال الصحابة يا رسول الله أى نعيم نحن فيه وانما نأكل فى أنصاف بطوننا خبز الشعير فأوحى الله الى نبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم أليس تحتذون النعال وتشربون الماء البارد فهذا من النعيم وروى الترمذى وغيره انه لما نزلت ألهاكم التكاثر فقرأ حتى بلغ النعيم

قالوا

قالوا يا رسول الله أى نعيم نسئل عنه وانما هما الاسودان الماء والتمر وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر فعن أى نعيم نسئل قال أما ان ذلك سيكون وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما يسئل العبد عنه يوم القيامة من النعيم أن يقال له ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد وروى مسلم وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه قال خرج النبى صلى الله عليه وسلم فاذا هو بأبى بكر وعمر فقال ما أخرجكما من بيوتكما الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال والذى نفسى بيده لاخرجنى الذى أخرجكما فقوما فقاما معه فأتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس فى بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا فقال النبى صلى الله عليه وسلم أين فلان فقالت انطلق يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصارى فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فقال الحمد لله ما أجد اليوم أكرم أضيافا منى فانطلق فجاء بعذق فيه بسر وتمر فقال كلوا من هذا وأخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر وعمر رضى الله عنهما والذى نفسى بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة

(الباب السابع والاربعون فى فضل ذكر الله تعالى)

قال الله تعالى فاذكرونى أذكركم قال ثابت البنانى رحمه الله انى أعلم متى يذكرنى ربى عز وجل ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال اذا ذكرته ذكرنى وقال تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال تعالى فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وقال عز وجل فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وقال تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم قال ابن عباس رضى الله عنهما أى بالليل والنهار فى البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال تعالى فى ذم المنافقين ولا يذكرون الله الا قليلا وقال عز وجل واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين وقال تعالى ولذكر الله أكبر قال ابن عباس رضى الله عنهما له وجهان أحدهما أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم اياه والآخر أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه الى غير ذلك من الآيات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاكر الله فى الغافلين كالشجرة الخضراء فى وسط الهشيم وقال صلى الله عليه وسلم ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل بين الفارين وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت شفتاه بى وقال صلى الله عليه وسلم ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل قالوا يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع وقال صلى الله عليه وسلم من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أفضل فقال أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسى وليس عليك خطيئة وقال صلى

الله عليه وسلم لذكر الله عز وجل بالغداة والعشى أفضل من حطم السيوف فى سبيل الله ومن اعطاء المال سحا وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى اذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى واذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملائه واذا تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا واذا تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الى هرولت اليه يعنى بالهرولة سرعة الاجابة وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله عز وجل فى ظله يوم لا ظل الا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم قالوا وماذا لنا يارسول الله قال ذكر الله عز وجل دائما وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما اعطى السائلين وقال الفضيل بلغنا أن الله عز وجل قال يا عبدى اذكرنى بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما وقال بعض العلماء ان الله عز وجل يقول أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه وقال الحسن الذكر ذكران ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل ويروى أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى الا ذاكر الله عز وجل وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ليس يتحسر أهل الجنة على شئ الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده وقال صلى الله عليه وسلم ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت لكم سيآتكم حسنات وقال صلى الله عليه وسلم ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة يوم القيامة وقال داود صلى الله عليه وسلم الهى اذا رأيتنى أجاوز مجالس الذاكرين الى مجالس الغافلين فاكسر رجلى دونهم فانها نعمة تنعم بها على وقال صلى الله عليه وسلم المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفى ألف مجلس من مجالس السوء وقال أبو هريرة رضى الله عنه ان أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الارض التى يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم وقال سفيان بن عيينة رحمه الله اذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا ألا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فانهم اذا تفرقوا أخذت بأعناقهم اليك وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه دخل السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فى المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا فقالوا يا أبا هريرة ما رأينا ميراثا يقسم فى المسجد قال فماذا رأيتم قالوا رأينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرؤن القرآن قال فذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الاعمش عن أبى صالح عن ابى هريرة وأبى سعيد الخدرى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله عز وجل ملائكة سياحين فى الارض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا

الى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم الى السماء فيقول الله تبارك وتعالى أى شئ تركتم عبادى يصنعونه فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك فيقول الله تبارك وتعالى وهل رأونى فيقولون لا فيقول جل جلاله كيف لو رأونى فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول لهم من أى شئ يتعوذون فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول الله عز وجل فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد هربا منها وأشد نفورا فيقول الله عز وجل وأى شئ يطلبون فيقولون الجنة فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول تعالى فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصا فيقول جل جلاله انى أشهدكم أنى قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم انما جاء لحاجة فيقول الله عز وجل هم القوم لا يشقى جليسهم وقال صلى الله عليه وسلم أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا أحد عمل أكثر من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء

(الباب الثامن والاربعون فى فضائل الصلوات)

قال الله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقال صلى الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيأ استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء أدخله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقى من درنه قالوا لا شئ قال صلى الله عليه وسلم فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن وقال صلى الله عليه وسلم ان الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر كما قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ومعنى يذهبنها يكفرنها حتى كأنها لم تكن وأخرج البخارى ومسلم وأهل السنن وغيرهم عن ابن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له كأنه يسأل عن كفارتها فانزلت عليه وأقم الصلاة طرفى النهار الآية فقال الرجل يارسول الله ألى هذا قال هى لمن عمل بها من أمتى وأخرج أحمد ومسلم وغيرهما عن أبى أمامة ان رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أقم فى حد الله مرة أو مرتين فأعرض عنه ثم أقيمت الصلاة فلما فرغ قال أين الرجل قال أنا ذا قال أتممت الوضوء وصليت معنا آنفا قال نعم قال فانك من خطيئتك كيوم ولدتك أمك فلا تعد وأنزل الله حينئذ على رسوله وأقم الصلاة طرفى النهار الآية وقال صلى الله عليه وسلم بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما وقال صلى الله عليه وسلم من لقى الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشئ من حسناته وقال صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين

وسئل صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها وقال صلى الله عليه وسلم من حافظ على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان وقال صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة الصلاة وقال ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب اليه من الصلاة ولو كان شئ أحب اليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم راكع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد وقال النبى صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة متعمدا فقد كفر أى قارب أن ينخلع عن الايمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة انه بلغها ودخلها وقال صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة متعمدا فقد برئ من ذمة محمد عليه السلام وقال أبو هريرة رضى الله عنه من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامدا الى الصلاة فانه فى صلاة ما كان يعمد الى الصلاة وانه يكتب له باحدى خطوتيه حسنة ويمحى عنه بالاخرى سيئة فاذا سمع أحدكم الاقامة فلا ينبغى له أن يتأخر فان أعظمكم أجرا أبعدكم دارا قالوا لم يا أبا هريرة قال من أجل كثرة الخطا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقرب العبد الى الله بشئ أفضل من سجود خفى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة وروى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يجعلنى من أهل شفاعتك وأن يرزقنى مرافقتك فى الجنة فقال صلى الله عليه وسلم أعنى بكثرة السجود وقيل أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجدا وهو معنى قوله عز وجل واسجد واقترب وقال عز وجل سيماهم فى وجوههم من أثر السجود فقيل هو ما يلتصق بوجوههم من الارض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الاصح وقيل هى الغرر التى تكون فى وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى ويقول يا ويلاه أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فعصيت فلى النار ويروى عن على بن عبد الله بن عباس انه كان يسجد فى كل يوم ألف سجدة وكان يسمونه السجاد ويروى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان لا يسجد الا على التراب وكان يوسف بن أسباط يقول يا معشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض فما بقى أحد أحسده الا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بينى وبين ذلك وقال سعيد بن جبير ما آسى على شئ من الدنيا الا على السجود وقال عقبة بن مسلم ما من خصلة فى العبد أحب الى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عز وجل وما من ساعة العبد فيها أقرب الى الله عز وجل منه حيث يخر ساجدا وقال أبو هريرة رضى الله عنه أقرب ما يكون العبد الى الله عز وجل اذا سجد فأكثروا الدعاء عند ذلك

(الباب التاسع والاربعون فى بيان عقوبة تارك الصلاة)

قال تعالى مخبرا عن أصحاب الجحيم ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وأخرج أحمد بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة ومسلم بين الرجل وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة وأبو داود والنسائى ليس بين العبد وبين الكفر الا ترك الصلاة والترمذى بين الكفر والايمان ترك الصلاة وابن ماجه بين العبد وبين الكفر ترك

الصلاة وصح كما رواه الترمذى وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر والطبرانى باسناد لا بأس به من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهارا وفى رواية بين العبد والكفر أو الشرك ترك الصلاة فاذا ترك الصلاة فقد كفر وفى أخرى ليس بين العبد والشرك الا ترك الصلاة فاذا تركها فقد أشرك وفى أخرى سندها حسن عرا الاسلام وقواعد الدين ثلاث عليهن أس الاسلام من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم شهادة أن لا اله الا الله والصلاة المكتوبة وصوم رمضان وفى أخرى سندها حسن أيضا من ترك منهن واحدة فهو بالله كافر ولا يقبل منه صرف ولا عدل وقد حل دمه وماله والطبرانى وغيره باسنادين لا بأس بهما عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بسبع خلال قال لا تشركوا بالله شيأ وان قطعتم أو حرقتم أو صلبتم ولا تتركوا الصلاة تعمدا فمن تركها متعمدا فقد خرج من الملة ولا تركبوا المعصية فانها سخط الله ولا تشربوا الخمر فانها رأس الخطايا كلها الحديث والترمذى كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يرون شيأ من الاعمال تركه كفر غير الصلاة وصح خبر بين العبد وبين الكفر والايمان الصلاة فاذا تركها فقد أشرك والبزار لا سهم فى الاسلام لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا وضوء له والطبرانى لا ايمان لمن لا أمانة له ولا صلاة لمن لا طهور له ولا دين لمن لا صلاة له انما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد * وابن ماجه والبيهقى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم أن لا تشرك بالله شيأ وان قطعت وان أحرقت ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدا فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة ولا تشرب الخمر فانها مفتاح كل شر والبزار وغيره بسند حسن عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما قام بصرى أى ذهب مع بقاء صحة الحدقة قيل نداويك وتدع الصلاة أياما قلت لا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك الصلاة لقى الله وهو عليه غضبان والطبرانى بسند لا بأس به فى المتابعات أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله علمنى عملا اذا أنا عملته دخلت الجنة قال لا تشرك بالله شيأ وان عذبت وحرقت وأطع والديك وان أخرجاك من مالك ومن كل شئ هو لك ولا تترك الصلاة متعمدا فان من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله الحديث وفى رواية سندها صحيح لكن فيه انقطاع لا تشرك بالله شيأ وان قتلت وحرقت ولا تعقن والديك وان أمراك أن تخرج من أهلك ومالك ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدا فان من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ولا تشربن خمرا فانه أى شربها رأس كل فاحشة واياك والمعصية فان بالمعصية حل سخط الله واياك والفرار من الزحف وان هلك الناس وان أصاب الناس موت فاثبت وأنفق على أهلك من طولك ولا ترفع عصاك عنهم أدبا وأخفهم فى الله وابن حبان فى صحيحه بكروا بالصلاة فى يوم الغيم فانه من ترك الصلاة فقد كفر والطبرانى عن أميمة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كنت أصب على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وضوأه فدخل رجل فقال أوصنى فقال لا تشرك بالله شيأ وان قطعت وحرقت بالنار ولا تعص والديك وان أمراك أن تخلى من أهلك ودنياك فتخله ولا تشربن خمرا فانها مفتاح كل شر ولا تتركن صلاة متعمدا فمن فعل ذلك فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله الحديث (وأبو نعيم) من ترك الصلاة متعمدا كتب الله اسمه على باب النار ممن يدخلها والطبرانى والبيهقى

من ترك الصلاة فانما وتر أهله وماله والحاكم عن علي انه صلى الله عليه وسلم قال والله يا معشر قريش لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة أو لأبعثن عليكم رجلا فيضرب أعناقكم على الدين والحديث والبزار لاسهم في الاسلام لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا وضوء له وأحمد مرسلا أربع فرضهن الله في الاسلام فمن أتى بثلاث لم يغنين عنه شيأ حتى يأتي بهن جميعا الصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت والاصبهاني من ترك صلاة متعمدا أحبط الله عمله وبرئت منه ذمة الله حتى يراجع لله عز وجل توبة والطبراني من ترك الصلاة فقد كفر جهارا وأحمد بسند صحيح لكن فيه انقطاع لا تترك الصلاة متعمدا فانه من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ورسوله وابن أبي شيبة والبخاري في تاريخه موقوفا على علي رضي الله عنه قال من لم يصل فهو كافر ومحمد بن نصر وابن عبد البر موقوفا على ابن عباس من ترك الصلاة فقد كفر وابن نصر موقوفا على ابن مسعود قال من ترك الصلاة فلا دين له وابن عبد البر موقوفا على جابر من لم يصل فهو كافر وابن عبد البر وغيره موقوفا على أبي الدرداء قال لا ايمان لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا وضوء له وقال ابن أبي شيبة قال النبي صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة فقد كفر وقال محمد بن نصر سمعت اسحق يقول صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن تارك الصلاة كافر وكذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبي صلى الله عليه وسلم أن تارك الصلاة عمدا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر وقال أيوب ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب قال ابن مسعود ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية ولكن أخروها عن أوقاتها وقال سعيد بن المسيب امام التابعين هو أن لا يصلي الظهر حتى تأتي العصر ولا يصلي العصر الى المغرب ولا يصلي المغرب الى العشاء ولا يصلي العشاء الى الفجر ولا يصلي الفجر الى طلوع الشمس فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب أوعده الله بغي وهو واد في جهنم بعيد قعره شديد عقابه وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون قال جماعة من المفسرين المراد بذكر الله هنا الصلوات الخمس فمن اشتغل عن الصلاة في وقتها بماله كبيعه أو صنعته أو ولده كان من الخاسرين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فان صلحت فقد أفلح وأنجح وان نقصت فقد خاب وخسر وقال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون قال صلى الله عليه وسلم هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها وأخرج أحمد بسند جيد والطبراني وابن حبان في صحيحه انه صلى الله عليه وسلم ذكر الصلاة يوما فقال من حافظ عليها كانت له نور وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي ابن خلف قال بعض العلماء وانما حشر مع هؤلاء لانه ان اشتغل عن الصلاة بماله أشبه قارون فيحشر معه أو بملكه أشبه فرعون فيحشر معه أو بوزارته أشبه هامان فيحشر معه أو بتجارته أشبه أبي بن خلف تاجر كفار مكة فيحشر معه والبزار عن سعد بن أبي وقاص قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها وأبو يعلى بسند حسن عن مصعب بن سعد قال قلت لابي يا أبتاه

أرأيت قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون أينا لا يسهو أينا لا يحدث نفسه قال ليس ذلك انما هو اضاعة الوقت والويل شدة العذاب وقيل واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره فهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها الا أن يتوب الى الله تعالى ويندم على ما فرط وابن حبان في صحيحه من فاتته صلاة فكأنما وتر أهله وماله والحاكم بسند فيه من اختلف في توثيقه والاكثر على عدمه من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا من أبواب الكبائر والشيخان والاربعة الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله زاد ابن خزيمة في صحيحه قال مالك تفسيره ذهاب الوقت والنسائي من الصلاة صلاة من فاتته فكأنما وتر أهله وماله يعني العصر ومسلم والنسائي ان هذه الصلاة يعني العصر عرضت على من كان قبلكم فضيعوها فمن حافظ منكم اليوم عليها كان له أجره مرتين ولا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد أي النجم وأحمد والبخاري والنسائي من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله واحمد باسناد صحيح وابن ابي شيبة من ترك صلاة العصر متعمدا حتى تفوته فقد حبط عمله وابن ابي شيبة مرسلا من ترك العصر حتى تغيب الشمس من غير عذر فقد حبط عمله وعبد الرزاق لان يوتر أحدكم أهله وماله خير له من أن يفوته وقت صلاة العصر والطبراني وأحمد من ترك صلاة العصر متعمدا حتى تغرب الشمس فكأنما وتر أهله وماله والشافعي والبيهقي من فاتته الصلاة فكأنما وتر أهله وماله والبخاري عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكثر أن يقول لأصحابه هل رأى أحد منكم رؤيا فيقص عليه ما شاء الله أن يقص وأنه قال لنا ذات غداة انه أتاني الليلة آتيان وانهما انبعثا بي وانهما قالا لي انطلق واني انطلقت معهما وانا أتينا على رجل مضطجع واذا آخر قائم عليه بصخرة واذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر اي فيتدحرج فيأخذه فلا يرجع اليه حتى يصح رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل في المرة الاولى قال قلت لهما سبحان الله ما هذا قالا لي انطلق انطلق فأتينا على رجل مستلق على قفاه واذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد واذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر أي يشق شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه وعيناه الى قفاه قال وربما قال أبو رجاء فيشق قال ثم يتحول الى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الاول قال فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل في المرة الاولى قال قلت سبحان الله ما هذا قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على مثل التنور قال فأحسب انه كان يقول فاذا فيه لغط وأصوات قال فاطلعنا عليه فاذا فيه رجال ونساء عراة واذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم فاذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا أي بفتح المعجمتين وسكون الواوين صاحوا مع انضمام وفزع قال قلت ما هؤلاء قالا لي انطلق انطلق قال فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول أحمر مثل الدم واذا في النهر رجل سابح يسبح واذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة فيلقمه حجرا فينطلق فيسبح ثم يرجع اليه كلما رجع اليه فغر أي بفاء فمعجمة مفتوحتين فتح فاه فألقمه حجرا قلت لهما ما هذا قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة كأكره ما انت راء رجلا مرآ واذا عنده نار يحشها أي بمهملة مضمومة فمعجمة يوقدها ويسعى حولها قال قلت لهما ما هذا قالا لي انطلق انطلق فانطلقنا على روضة معتمة اى طويلة النبات من أعتم اذا طال فيها من كل

نور الربيع واذا بين ظهرانى الروضة رجل طوال لا أكاد أرى رأسه طولا فى السماء واذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قال قلت ما هذا ما هؤلاء قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على دوحة عظيمة لم أر دوحة قط أعظم ولا أحسن منها قالا لى ارق فيها فارتقينا فيها الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطر منهم كأقبح ما أنت راء قالا لهم اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر قال واذا النهر معترض يجرى كأن ماءه المحض أى الخالص فى البياض فذهبوا فوقعوا ثم رجعوا الينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا فى أحسن صورة قالا لى هذه جنة عدن وهذا منزلك قال فسما أى ارتفع بصرى صعدا بضمتين الى فوق فاذا قصر مثل الربابة أى السحابة البيضاء قال قالا لى هذا منزلك قال قلت لهما بارك الله فيكما فذرانى فأدخله قالا أما الآن فلا وأنت داخله قال قلت لهما فانى رأيت منذ الليلة عجبا فما هذا الذى رأيت قالا لى انا سنخبرك أما الرجل الاول الذى أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فانه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة وأما الرجل الذى أتيت عليه يشرشر شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه وعيناه الى قفاه فانه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق وأما الرجال والنساء العراة الذين هم فى مثل بناء التنور فانهم الزناة والزوانى وأما الرجل الذى أتيت عليه يسبح فى النهر ويلقم الحجر فانه آكل الربا وأما الرجل الكريه المرآة الذى عند النار يحشها ويسعى حولها فانه مالك خازن النار وأما الرجل الطوال الذى فى الروضة فانه ابراهيم وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة فقال بعض المسلمين يا رسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاد المشركين وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فانهم قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم وفى حديث البزار قال ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم على قوم ترضخ رؤسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شئ قال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين تثاقلت رؤسهم عن الصلاة وأخرج الخطيب وابن النجار علم الاسلام الصلاة فمن فرغ لها قلبه وحافظ عليها بحدها ووقتها وسننها فهو مؤمن وابن ماجه قال الله تعالى افترضت على أمتك خمس صلوات وعهدت عندى عهدا أن من حافظ عليهن لوقتهن أدخلته الجنة ومن لم يحافظ عليهن فلا عهد له عندى وأحمد والحاكم من علم أن الصلاة عليه حق واجب وأداها دخل الجنة والترمذى وقال حسن غريب والنسائى وابن ماجه أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فان صلحت فقد أفلح وأنجح وان فسدت فقد خاب وخسر وان انتقص من فريضته قال الرب انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك والنسائى أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة وأول ما يقضى به بين الناس فى الدماء وأحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فان كان أتمها كتبت له تامة وان لم يكن أتمها قال للملائكة انظروا هل تجدون لعبدى من تطوع فيكملون بها فريضته ثم الزكاة كذلك ثم تؤخذ الاعمال على حسب ذلك والطبرانى أول ما يسئل عنه العبد يوم القيامة ينظر فى صلاته فان صلحت فقد أفلح وان فسدت فقد خاب وخسر وابن عساكر أول ما يحاسب به العبد صلاته فان صلحت صلح

سائر عمله وان فسدت فسد سائر عمله ثم يقول انظروا هل لعبدى نافلة فان كانت له أتم بها الفريضة ثم الفرائض كذلك لعائدة الله ورحمته وأحمد وأبو داود والنسائى والحاكم أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة فيقول ربنا عز وجل للملائكة وهو أعلم انظروا فى صلاة عبدى أتمها أم نقصها فان كانت تامة كتبت تامة وان كان انتقص منها شيأ قال انظروا هل لعبدى من تطوع فان كان له تطوع أتموا لعبدى فريضته من تطوعه ثم يأخذ الاعمال على ذاكم والطيالسى والطبرانى والضياء فى المختارة أتانى جبريل من عند الله تبارك وتعالى فقال يا محمد ان الله عز وجل يقول انى افترضت على أمتك خمس صلوات فمن أوفى بهن على وضوئهن ومواقيتهن وركوعهن وسجودهن كان له بهن عهد أن أدخله الجنة ومن لقينى قد انتقص من ذلك شيأ فليس له عندى عهد ان شئت عذبته وان شئت رحمته * والبيهقى للصلاة ميزان فمن أوفى استوفى * والديلمى الصلاة تسود وجه الشيطان والصدقة تكسر ظهره والتحابب فى الله والتودد فى العلم يقطع دابره فاذا فعلتم ذلك تباعد منكم كمطلع الشمس من مغربها والترمذى وابن حبان والحاكم اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا ذوى أمركم تدخلوا جنة ربكم وأحمد والشيخان وأبو داود والنسائى أحب الاعمال الى الله الصلاة لوقتها ثم بر الوالدين ثم الجهاد فى سبيل الله والبيهقى عن عمر رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أى الاعمال احب الى الله فى الاسلام فقال الصلاة لوقتها ومن ترك الصلاة فلا دين له والصلاة عماد الدين ولذلك لما طعن عمر رضى الله عنه قيل له الصلاة يا أمير المؤمنين قال نعمت أما انه لا حظ لاحد فى الاسلام أضاع الصلاة وصلى رضى الله عنه وجرحه يجرى دمه وروى الذهبى أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى العبد الصلاة فى أول الوقت صعدت الى السماء ولها نور حتى تنتهى الى العرش فتستغفر لصاحبها الى يوم القيامة وتقول له حفظك الله كما حفظتنى واذا صلى العبد الصلاة فى غير وقتها صعدت الى السماء وعليها ظلمة فاذا انتهت الى السماء تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها وأخرج أبو داود أنه صلى الله عليه وسلم قال ثلاث لا يقبل الله منهم صلاتهم وذكر منهم من أتى الصلاة دبارا أى بعد أن تفوته قال بعضهم وورد فى الحديث أن من حافظ على الصلاة أكرمه الله بخمس خصال يرفع عنه ضيق العيش وعذاب القبر ويعطيه الله كتابه بيمينه ويمر على الصراط كالبرق ويدخل الجنة بغير حساب ومن تهاون عن الصلاة عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة خمس فى الدنيا وثلاث عند الموت وثلاث فى قبره وثلاث عند خروجه من القبر فأما اللواتى فى الدنيا فالاولى تنزع البركة من عمره والثانية تمحى سيما الصالحين من وجهه والثالثة كل عمل يعمله لا يأجره الله عليه والرابعة لا يرفع له دعاء الى السماء والخامسة ليس له حظ فى دعاء الصالحين وأما التى تصيبه عند الموت فانه يموت ذليلا والثانية يموت جائعا والثالثة يموت عطشانا ولو سقى بحار الدنيا ما روى من عطشه وأما التى تصيبه فى قبره فالاولى يضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه والثانية يوقد عليه القبر نارا فيتقلب على الجمر ليلا ونهارا والثالثة يسلط عليه فى قبره ثعبان اسمه الشجاع الاقرع عيناه من نار وأظفاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم يكلم الميت فيقول أنا الشجاع الاقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول

أمرني ربي أن أضربك على تضييع صلاة الصبح الى طلوع الشمس وأضربك على تضييع صلاة الظهر الى العصر وأضربك على تضييع صلاة العصر الى المغرب وأضربك على تضييع صلاة المغرب الى العشاء وأضربك على صلاة العشاء الى الفجر فكلما ضربه ضربة يغوص فى الارض سبعين ذراعا فلا يزال فى القبر معذبا الى يوم القيامة وأما التى تصيبه عند خروجه من القبر فى موقف القيامة فشدة الحساب وسخط الرب ودخول النار وفى رواية فانه يأتى يوم القيامة وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات السطر الاول يا مضيع حق الله السطر الثانى يا مخصوصا بغضب الله السطر الثالث كما ضيعت فى الدنيا حق الله فآيس اليوم أنت من رحمة الله وما ذكر فى هذا الحديث من تفصيل العدد لا يطابق جملة الخمس عشرة لان المفصل أربع عشرة فقط فلعل الراوى نسى الخامس عشر وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال اذا كان يوم القيامة يؤتى برجل فيوقف بين يدى الله عز وجل فيأمر الله به الى النار فيقول يارب بماذا فيقول تعالى بتأخيرك الصلاة عن أوقاتها وحلفك بى كاذبا قال بعضهم أيضا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يوما لاصحابه قولوا اللهم لا تدع فينا شقيا ولا محروما ثم قال صلى الله عليه وسلم أتدرون من الشقى المحروم قالوا ومن هو يا رسول الله قال تارك الصلاة قال أيضا وروى انه أول ما تسود يوم القيامة وجوه تاركى الصلاة وان فى جهنم واديا يقال له لملم فيه حيات كل حية بثخن رقبة البعير طولها مسيرة شهر تلسع تارك الصلاة فيغلى سمها فى جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه قال وروى أيضا أن امرأة من بنى اسرائيل جاءت الى موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر النبيين فقالت يا نبى الله أذنبت ذنبا عظيما وقد تبت الى الله تعالى فادع الله أن يغفر لى ذنبى و يتوب على فقال لها موسى وما ذنبك قالت يا نبى الله زنيت و ولدت ولدا وقتلته فقال لها موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام اخرجى يا فاجرة لا تنزل نار من السماء فتحرقنا بشؤمك فخرجت من عنده منكسرة القلب فنزل جبريل عليه السلام وقال يا موسى الرب تعالى يقول لك لم رددت التائبة يا موسى أما وجدت شرا منها قال موسى يا جبريل ومن شر منها قال من ترك الصلاة عامدا متعمدا وقال أيضا روى عن بعض السلف انه دفن أختا له ماتت فسقط منه كيس فيه مال فى قبرها ولم يشعر به حتى انصرف عن قبرها ثم تذكره فرجع الى قبرها فنبشه بعد ما انصرف الناس فوجد القبر يشتعل عليها نارا فرد التراب عليها ورجع الى أمه باكيا حزينا فقال يا أماه أخبرينى عن أختى وما كانت تعمل قالت وما سؤالك عنها قال يا أماه رأيت قبرها يشتعل عليها نارا قال فبكت وقالت يا ولدى كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها فكيف حال من لا يصلى فنسأل الله تعالى أن يعيننا على المحافظة عليها باتمامها فى أوقاتها انه جواد كريم رؤف رحيم

(الباب الخمسون فى بيان عرصات جهنم وعذابها)

قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم والمراد بالجزء هنا الحزب والطائفة والفريق وقيل المراد بالابواب الاطباق طبق فوق طبق قال ابن جريج النار سبع دركات وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية فأعلاها للموحدين والثانية

لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين فجهنم أعلى الطبقات ثم ما بعدها تحتها ثم كذلك كذا قيل والمعنى ان الله تعالى يجزئ اتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل جزء وقسم دركة من النار والسبب فيه أن مراتب الكفر والمعاصى مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم فى النار وقيل جعلت سبعة على وفق الاعضاء السبعة من العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل لانها مصادر السيآت فكانت مواردها الابواب السبعة وعن على رضى الله عنه قال أطباق جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيملأ الاول ثم الثانى ثم الثالث حتى تملأ كلها وأخرج البخارى فى تاريخه والترمذى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمتى وروى الطبرانى فى الاوسط ان جبريل جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فى حين غير حينه الذى كان يأتيه فيه فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل مالى أراك متغير اللون فقال ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بمنافخ النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل صف لى النار وانعت جهنم فقال جبريل ان الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة لا يضىء شررها ولا يطفأ لهبها والذى بعثك بالحق نبيا لو أن قدر ثقب ابرة فتح من جهنم لمات من فى الارض كلهم جميعا والذى بعثك بالحق لو أن خازنا من خزنة جهنم برز الى أهل الدنيا لمات من فى الارض كلهم جميعا من قبح وجهه ونتن ريحه والذى بعثك بالحق لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التى نعت الله فى كتابه وضعت على جبال الدنيا لارفضت وما تقارت حتى تنتهى الى الارض السفلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبى يا جبريل لا ينصدع قلبى فأموت قال فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل وهو يبكى فقال تبكى يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذى أنت به فقال ومالى لا أبكى وأنا أحق بالبكاء لعلى أكون فى علم الله على غير الحالة التى أنا عليها وما أدرى لعلى أبتلى بما ابتلى به ابليس فقد كان من الملائكة وما أدرى لعلى أبتلى بما ابتلى به هروت وماروت قال فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل فما زالا يبكيان حتى نوديا ان يا جبريل ويا محمد ان الله تعالى قد آمنكما أن تعصياه فارتفع جبريل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بقوم من الانصار يضحكون ويلعبون فقال أتضحكون ووراءكم جهنم فلو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما أسغتم الطعام والشراب ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله عز وجل فنودى يا محمد لا تقنط عبادى انما بعثتك مبشرا ولم أبعثك معسرا فقال صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا وروى الامام أحمد انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالى لا أرى ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار وروى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها

(الباب الحادى والخمسون فى بيان عذاب جهنم أيضا)

روى أبو داود والنسائى والترمذى وصححه واللفظ له لما خلق الله تعالى الجنة والنار أرسل جبريل الى الجنة فقال انظر اليها والى ما أعددت لاهلها فيها فجاء ونظر اليها والى ما أعد

الله لاهلها فيها فرجع اليه فقال وعزتك لا يسمع بها أحد الا دخلها فأمر بها فحفت بالمكاره فقال ارجع اليها فانظر الى ما أعددت لاهلها فيها فرجع اليها فاذا هى قد حفت بالمكاره فرجع اليه وقال وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد فقال اذهب الى النار فانظر اليها والى ما أعددت لاهلها فيها فنظر اليها فاذا هى يركب بعضها بعضا فرجع اليه فقال وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فأمر بها فحفت بالشهوات فقال ارجع اليها فرجع اليها فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد الا دخلها والبيهقى بسند لا بأس به عن ابن مسعود رضى الله عنه فى قوله تعالى انها ترمى بشرر كالقصر قال أما انى لست أقول كالشجر ولكن كالحصون والمدائن وأحمد وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه ويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره والترمذى ويل واد بين جبلين يهوى فيه الكافر سبعين خريفا قبل أن يبلغ قعره وابن ماجه واللفظ له والترمذى تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال أعدّ للقراء المرائين بأعمالهم وان من أبغض القراء الى الله الذين يزورون الامراء الجورة والطبرانى ان فى جهنم لواديا تستعيذ جهنم من ذلك الوادى كل يوم أربعمائة مرة أعدّ للمرائين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وابن أبى الدنيا ان فى النار سبعين ألف واد فى كل واد سبعون ألف شعب فى كل شعب سبعون ألف جحر فى كل جحر حية تأكل وجوه أهل النار والبخارى فى تاريخه بسند فيه نكارة ان فى جهنم سبعين ألف واد فى كل واد سبعون ألف شعب فى كل شعب سبعون ألف دار فى كل دار سبعون ألف بيت فى كل بيت سبعون ألف بئر فى كل بئر سبعون ألف ثعبان فى شدق كل ثعبان سبعون ألف عقرب لا ينتهى الكافر أو المنافق حتى يواقع ذلك كله والترمذى بسند فيه انقطاع ان الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهوى فيها سبعين خريفا وما تفضى الى قرارها وكان عمر رضى الله عنه يقول أكثروا ذكر النار فان حرّها شديد وان قعرها بعيد وان مقامعها حديد والبزار وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه والبيهقى لو أن حجرا قذف به فى جهنم لهوى بها سبعين خريفا قبل أن يبلغ قعرها ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال النبى صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسله الله فى جهنم منذ سبعين خريفا فالآن حين انتهى الى قعرها والطبرانى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوتا هاله فأتاه جبريل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الصوت يا جبريل فقال هذه صخرة هوت من شفير جهنم من سبعين عاما فهذا حين بلغت قعرها فأحب الله تعالى أن يسمعك صوتها فما رؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا مل‍ء فيه حتى قبضه الله عز وجل وأحمد والترمذى وحسنه لو أن رصاصة مثل هذه وأشار الى الجمجمة أرسلت من السماء الى الارض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها وأحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه لو أن مقمعا من حديد جهنم وضع فى الارض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الارض والحاكم وصححه لو ضرب الجبل بمقمع من حديد جهنم لتفتت فصار رمادا (المقمع المطراق وقيل السوط) وابن أبى

الدنيا ان الحجر الواحد منها لو وضع على جبال الدنيا لذابت منه وان مع كل انسان منهم حجرا وشيطانا والحاكم وصححه ان الارضين السبع بين كل أرض والتى تليها مسيرة خمسمائة عام فالعليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه فى السماء والحوت على صخرة والصخرة بيد ملك والثانية سجن الريح فلما أراد الله تعالى أن يهلك عادا أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا تهلكهم قال يا رب أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور فقال له الجبار تبارك وتعالى اذن تكفئ الارض ومن عليها ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم فهى التى قال الله فى كتابه العزيز ما تذر من شئ أتت عليه الا جعلته كالرميم والثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم قالوا يا رسول الله أللنار كبريت قال نعم والذى نفسى بيده ان فيها الاودية من كبريت لو أرسل فيها الجبال الرواسى لماعت والخامسة فيها حيات جهنم ان أفواهها كالاودية تلسع الكافر اللسعة فلا يبقى منه لحم على وضم والسادسة فيه عقارب جهنم ان أدنى عقرب منها كالبغال الموكفة تضرب الكافر ضربة تنسيه ضربتها حر جهنم والسابعة فيها ابليس مصفد بالحديد يد أمامه ويد خلفه فاذا أراد الله أن يطلقه لمن شاء من عباده أطلقه وأحمد والطبرانى وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه ان فى النار حيات كأمثال أعناق البخت تلسع احداهن اللسعة فيجد حرها سبعين خريفا وان فى النار عقارب كأمثال البغال الموكفة تلسع احداهن اللسعة فيجد حموها أربعين سنة والترمذى وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه عنه صلى الله عليه وسلم فى قوله تبارك وتعالى كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب الى وجهه سقط فروة وجهه فيه * والترمذى وقال حسن غريب صحيح ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان والحميم الماء الحار الذى يحرق وقال الضحاك الحميم يغلى منذ خلق الله السموات والارض الى يوم يسقونه ويصب على رؤسهم وقيل هو ما يجتمع من دموع أعينهم فى حياض النار فيسقونه وقيل غير ذلك وهو المذكور فى قوله تبارك وتعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وأحمد والترمذى وقال غريب والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم عنه صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا دنا منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره قال الله عز وجل وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وقال جل ذكره وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وأحمد والحاكم وصححه لو أن دلوا من غساق يهراق فى الدنيا لأنتن أهل الدنيا والغساق هو المذكور فى قوله تعالى فليذوقوه حميم وغساق وقوله تعالى الا حميما وغساقا واختلف فيه فعند ابن عباس رضى الله عنهما هو ما يسيل من جلد الكافر ونحوه وعند آخرين هو صديدهم وقال كعب هو عين فى جهنم يسيل اليها حمة كل ذات حمة من حية أو عقرب أو غير ذلك فيستنقع فيؤتى بالآدمى فيغمس فيها غمسة واحدة فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ويتعلق جلده ولحمه فى عقبيه وكعبيه فيجر لحمه كما يجر المرء ثوبه والترمذى وقال حسن صحيح انه صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون فقال صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه وفى

رواية فكيف بمن ليس له طعام غيره وصح عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى وطعاما ذا غصة شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج والشيخان ما بين منكبى الكافر مسير ثلاثة أيام للراكب المسرع والمنكب مجمع رأس الكتف والعضد وأحمد ضرس الكافر مثل أحد وفخذه مثل البيضاء اى وهو جبل ومقعده من النار كما بين قديد ومكة أى نحو ثلاثة أيام وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعا بذراع الجبار أى ملك باليمن له ذراع معروف المقدار كذا قال ابن حبان وغيره وقيل ملك بالعجم ومسلم ضرس أو قال ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث والترمذى ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وفخذه مثل البيضاء ومقعده من النار مسيرة ثلاث من الربذة أى كما بين المدينة والربذة وأحمد بسند جيد ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وعرض جلده سبعون ذراعا وعضده مثل البيضاء وفخذه مثل ورقان ومقعده من النار ما بينى وبين الربذة وفى رواية ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة وأحمد والطبرانى واسناده قريب من الحسن كما قاله الحافظ المنذرى والترمذى عن الفضيل بن يزيد ان الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطأه الناس والفضيل بن يزيد عن أبى العجلان ان الكافر ليجر لسانه فرسخين يوم القيامة يتوطأه الناس أخرجه البيهقى وغيره وهو الصواب قال النبى صلى الله عليه وسلم يعظم أهل النار فى النار حتى أن بين شحمة أذن أحدهم الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وان غلظ جلده سبعون ذراعا وان ضرسه مثل أحد وأحمد بسند صحيح والحاكم وصححه عن مجاهد قال ابن عباس أتدرى ما سعة جهنم قلت لا قال أجل والله ما تدرى ان بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفا تجرى فيه أودية القيح والدم قلت أنهار قال لا بل أودية

(الباب الثانى والخمسون فى بيان فضل الخوف من الذنب)

اعلم ان أعظم زاجر عن الذنوب هو خوف الله تعالى وخشية انتقامه وسطوته وحذر عقابه وغضبه وبطشه فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم * جاء أنه صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو فى الموت فقال كيف تجدك قال أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف وعن وهب بن الورد قال كان عيسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين وسلم يقول حب الفردوس وخشية جهنم يورثان الصبر عن المصيبة ويبعدان العبد من لذات الدنيا وشهواتها ومعاصيها وعن الحسن قال والله لقد مضى بين أيديكم أقوام لو أنفق أحدهم عدد الحصى ذهبا يخشى أن لا ينجو لعظم الذنب فى نفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تسمعون ما أسمع أطت السماء وحق لها أن تئط والذى نفسى بيده ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك ساجد لله تعالى أو قائم أو راكع ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم أو لصعدتم الى الصعدات أى الجبال تجأرون الى الله تعالى خوفا من عظيم سطوته وشدة انتقامه وفى رواية لا تدرون تنجون أو لا تنجون وقال بكر بن عبد الله المزنى من أتى الخطيئة وهو يضحك دخل النار وهو يبكى وفى الحديث لو يعلم المؤمن بكل

الذى عند الله من العذاب لم يأمن النار وفى الصحيحين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه وأنذر عشيرتك الاقربين فقال يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيأ يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيأ يا عباس عم رسول الله لا أغنى عنك من الله شيأ يا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيأ يا فاطمة بنت محمد سلينى من مالى ما شئت لا أغنى عنك من الله شيأ وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت يا رسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون يا رسول الله هو الذى يزنى ويسرق ويشرب الخمر وهو يخاف الله قال لا يا بنت أبى بكر يا بنت الصديق ولكنه الرجل يصلى ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يتقبل منه رواه أحمد وقيل للحسن البصرى يا أبا سعيد كيف نصنع بمجالسة قوم يحدثونا عن الرجاء حتى تكاد قلوبنا تطير فقال له انك والله ان تصحب قوما يخوفونك حتى تدرك أمنا خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف ولما طعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقربت وفاته قال لابنه ويلك ضع خدى على الارض لا أم لك وويلى وأى ويلى ان لم يرحمنى وقال له ابن عباس ما هذا الخوف يا أمير المؤمنين وقد فتح الله بك الفتوح ومصر بك الامصار وفعل بك وفعل قال وددت أن أنجو لا علىّ ولا لى وفى رواية لا أجرا ولا وزرا وكان زين العابدين بن علىّ بن الحسين رضى الله عنهم اذا توضأ وفرغ من وضوئه أخذته رعدة فقيل له فى ذلك فقال ويحكم أتدرون الى من أقوم ولمن أريد أن أناجى وقال أحمد بن حنبل الخوف يمنعنى من أكل الطعام والشراب فما أشتهيه وفى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم ذكر من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله رجلا ذكر الله أى وعيده وعقابه خاليا ففاضت عيناه أى خوفا مما جناه واقترفه من المخالفات والذنوب وفى حديث ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال عينان لا تمسهما النار عين بكت فى جوف الليل من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله تعالى وفى حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كل عين باكية يوم القيامة الا عينا غضت عن محارم الله وعينا سهرت فى سبيل الله وعينا يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى وأخرج الترمذى وقال حسن صحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج أى لا يدخل النار رجل بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن فى الضرع ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب الىّ من أن أتصدق بألف دينار وقال عون بن عبد الله بلغنى أنه لا تصيب دموع الانسان من خشية الله مكانا من جسده الا حرم الله ذلك المكان على النار وكان لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أزيز كأزيز المرجل من البكاء أى فوران وغليان كغليان القدر على النار وقال الكندى البكاء من خشية الله تطفئ الدمعة منه أمثال البحار من النار وكان ابن السماك يعاتب نفسه ويقول لها تقولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين ومع ذلك الجنة تطلبين أن تدخليها هيهات هيهات للجنة قوم آخرون ولهم أعمال غير ما نحن عاملون وعن سفيان الثورى قال دخلت على جعفر الصادق فقلت له يا ابن رسول الله أوصنى قال يا سفيان لا مروءة لكذوب ولا راحة لحسود ولا اخاء لملول ولا سودد لسيئ الخلق قلت يا ابن رسول الله زدنى قال يا سفيان كف عن محارم الله تكن عابدا

وارض بما قسم الله لك تكن مسلما واصحب الناس بما تحب أن يصحبوك به تكن مؤمنا ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره أى للحديث المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وشاور فى أمرك الذين يخشون الله قلت يا ابن رسول الله زدنى قال يا سفيان من أراد عزا بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذل معصية الله الى طاعة الله قلت يا ابن رسول الله زدنى قال أدبنى أبى بثلاث قال لى أى بنى ان من يصحب صاحب السوء لا يسلم ومن يدخل مدخل السوء يتهم ومن لا يملك لسانه يندم وقال ابن المبارك سألت وهيب بن الورد أيجد طعم العبادة من يعصى الله تعالى قال لا ولا من يهم بمعصية الله تعالى وقال الامام أبو الفرج بن الجوزى الخوف هو النار المحرقة للشهوات فاذا فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما يكف عن المعصية ويحث على الطاعة وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة والاعمال الفاضلة التى يتقرب بها الى الله سبحانه وتعالى كما علم من الآيات والاخبار كقوله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه وقوله تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال تعالى سيذكر من يخشى وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكل ما دل من الآيات والاحاديث على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف ثمرة العلم وأخرج ابن أبى الدنيا انه صلى الله عليه وسلم قال اذا اقشعر جسد العبد من مخافة الله عز وجل تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وقال صلى الله عليه وسلم قال الله سبحانه وتعالى وعزتى لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين ان أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة وان خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة وقال أبو سليمان الدارانى كل قلب ليس فيه خوف الله فهو خراب وقد قال الله تعالى انه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون

(الباب الثالث والخمسون فى بيان فضل التوبة)

جاء فى فضل التوبة آيات كثيرة كقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وقوله والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا (والاحاديث فى ذلك كثيرة) أخرج مسلم ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها والترمذى وصححه ان من قبل المغرب لبابا مسيرة عرضه أربعون عاما أو سبعون سنة فتحه الله عز وجل للتوبة يوم خلق السموات والارض فلا يغلقه حتى تطلع الشمس منه وصح ايضا ان الله تعالى جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلق مالم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الآية قيل وليس فى هذه الرواية ولا الاولى تصريح برفعه كما صرح به البيهقى انتهى ويجاب بان مثل هذا لا يقال من قبل الرأى فله حكم المرفوع والطبرانى بسند جيد للجنة ثمانية أبواب سبعة مغلقة وباب مفتوح للتوبة حتى

تطلع الشمس من نحوه وابن ماجه بسند جيد لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم والحاكم وصححه من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الانابة والترمذى وابن ماجه والحاكم وصححه كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون والشيخان ان عبدا أصاب ذنبا فقال يارب انى أذنبت ذنبا فاغفره لى فقال له ربه علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم مكث ماشاء الله ثم أصاب ذنبا آخر وربما قال أذنب ذنبا آخر فقال يارب انى أذنبت ذنبا آخر فاغفره لى فقال ربه علم عبدى ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم مكث ماشاء الله تعالى ثم أصاب ذنبا آخر وربما قال أذنب ذنبا آخر فقال يارب انى أذنبت ذنبا آخر فاغفره لى فقال ربه علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فقال ربه غفرت لعبدى فليعمل ماشاء قال المنذرى قوله فليعمل ماشاء معناه والله أعلم أنه مادام كلما أذنب ذنبا استغفر وتاب منه ولم يعد اليه بدليل قوله ثم أصاب ذنبا آخر فليعمل اذا كان هذا دأبه ماشاء لانه كلما أذنب كانت توبته واستغفاره كفارة لذنبه فلا يضره لا أن المعنى أنه يذنب الذنب فيستغفر منه بلسانه من غير اقلاع ثم يعاوده فان هذه توبة الكذابين وروى جماعة وصححوه ان المؤمن اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل منها وان زاد زادت حتى يغلق بها قلبه فذلك الران الذى ذكر الله فى كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون والترمذى وحسنه ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر أى تبلغ روحه حلقومه والطبرانى بسند حسن لكن فيه انقطاع والبيهقى بسند فيه مجهول عن معاذ قال أخذ بيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى ميلا ثم قال يا معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الامانة وترك الخيانة ورحم اليتيم وحفظ الجوار وكظم الغيظ ولين الكلام وبذل السلام ولزوم الامام والتفقه فى القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وقصر الأمل وحسن العمل وأنهاك أن تشتم مسلما أو تصدق كاذبا أو تكذب صادقا أو تعصى اماما عادلا وأن تفسد فى الارض يا معاذ اذكر الله عند كل شجر وحجر وأحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية والاصفهانى اذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله حفظته ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الارض حتى يلقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب * والاصفهانى أيضا النادم ينتظر من الله الرحمة والمعجب ينتظر المقت واعلموا عباد الله ان كل عامل سيقدم على عمله ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حسن عمله وسوء عمله وانما الاعمال بخواتيمها والليل والنهار مطيتان فأحسنوا السير عليهما الى الآخرة واحذروا التسويف فان الموت يأتى بغتة ولا يغترن أحدكم بحلم الله عز وجل فان النار أقرب الى أحدكم من شراك نعله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره والطبرانى بسند صحيح لكن فيه انقطاع التائب من الذنب كمن لا ذنب له ورواه البيهقى من طريق آخر وزادوا المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه الندم توبة أى انه معظم أركانها كخبر الحج عرفة ولابد فى الندم أن يكون من حيث المعصية وقبحها وخوف عقابها بخلافه لنحو هتك أو ضياع مال على المعصية أو نحو ذلك والحاكم وصححه لكن فيه ساقط ما علم الله من عبد ندامة على ذنب الا غفر له قبل أن يستغفره منه ومسلم وغيره والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا وتستغفروا

لذهب الله بكم ولجاء بقوم غيركم يذنبون و يستغفرون الله فيغفر لهم ومسلم ليس أحد أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش وليس أحد أحب اليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل ومسلم ان امرأة من جهينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى حبلى من الزنا فقالت يارسول الله أصبت حدا فاقمه على فدعا نبى الله صلى الله عليه وسلم وليها فقال أحسن اليها فاذا وضعت فأتنى بها ففعل فامر بها نبى الله صلى الله عليه وسلم فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال عمر تصلى عليها يارسول الله وقد زنت قال صلى الله عليه وسلم لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل مما جادت بنفسها لله عز وجل والترمذى وحسنه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو لم أسمعه الا مرة أو مرتين حتى عد سبع مرات ولكن سمعته أكثر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان الكفل من بنى اسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأتته امرأة فاعطاها ستين دينارا على أن يطاها فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت و بكت فقال ما يبكيك أكرهتك قالت لا ولكنه عمل ما عملته قط وما حملنى عليه الا الحاجة فقال تفعلين أنت هذا وما فعلتيه قط اذهبى فهى لك وقال لا والله لا أعصى بعدها أبدا فمات من ليلته فأصبح مكتوبا على بابه ان الله قد غفر للكفل وصح عن ابن مسعود رضى الله عنه قال كانت قريتان احداهما صالحة والاخرى طالحة فخرج رجل من القرية الطالحة يريد القرية الصالحة فأتاه الموت حيث شاء الله فاختصم فيه الملك والشيطان فقال الشيطان والله ما عصانى قط وقال الملك انه قد خرج يريد التوبة فقضى الله بينهما أن ينظر الى ايهما أقرب فوجدوه أقرب الى القرية الصالحة بشبر فغفر له قال معمر وسمعت من يقول قرب الله اليه القرية الصالحة والشيخان كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الارض فدل على راهب فأتاه فقال له انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى اذا بلغ نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيتهما هو أدنى كان له فقاسوا فوجدوه أدنى الى الارض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة وفى رواية فكان الى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها وفى رواية فأوحى الله تعالى الى هذه أن تباعدى والى هذه أن تقربى وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه الى هذه أقرب بشبر فغفر له وفى رواية قال قتادة قال الحسن ذكر لنا انه لما أتاه ملك الموت ناء بصدره نحوها والطبرانى بسند جيد ان رجلا أسرف على نفسه فلقى رجلا فقال ان الآخر قتل تسعة وتسعين نفسا كلهم ظلما فهل تجد لى من توبة قال لا فقتله وأتى آخر فقال ان الآخر قتل مائة نفس كلها ظلما فهل تجد لى من توبة فقال ان

حدثتك أن الله لا يتوب على من تاب كذبتك ههنا قوم يتعبدون فأتهم تعبد الله معهم فتوجه اليهم فمات على ذلك فاختصمت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فبعث الله اليهم ملكا فقال قيسوا ما بين المكانين فأيهم كان أقرب فهو منهم فوجدوه أقرب الى دير التوابين بأنملة فغفر له وفى رواية له ثم أتى راهبا آخر فقال انى قتلت مائة نفس فهل تجد لى من توبة فقال أسرفت ما أدرى ولكن ههنا قريتان قرية يقال لها نصرة والاخرى يقال لها كفرة فاما أهل نصرة فيعملون عمل أهل الجنة لا يثبت فيها غيرهم وأما أهل كفرة فيعملون عمل أهل النار لا يثبت فيها غيرهم فانطلق الى نصرة فان ثبت فيها وعملت عمل أهلها فلا شك فى توبتك فانطلق يريدها حتى اذا كان بين القريتين أدركه الموت فسألت الملائكة ربها عنه فقال انظروا الى أى القريتين كان أقرب فاكتبوه من أهلها فوجدوه أقرب الى نصرة بقيد أنملة فكتب من أهلها

(الباب الرابع والخمسون فى بيان النهى عن الظلم)

قال الله تعالى وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وقال صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من ظلم شبرا من أرض طوقه الله من سبع أرضين يوم القيامة وفى بعض الكتب يقول الله تعالى اشتد غضبى على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيرى وما أحسن قول بعضهم

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * فالظلم يرجع عقباه الى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

(وقول الآخر)

اذا ما الظلوم استوطأ الارض مركبا * ولج غلوا فى قبيح اكتسابه
فكله الى صرف الزمان فانه * سيبدى له ما لم يكن فى حسابه

وقال بعض السلف لا تظلم الضعفاء فتكون من شرار الاقوياء وقال أبو هريرة رضى الله عنه ان الحبارى لتموت هولا فى وكرها من ظلم ظالم وقيل مكتوب فى التوراة ينادى مناد من وراء الجسر يعنى الصراط يا معشر الجبابرة الطغاة ويا معشر المترفين الاشقياء ان الله يحلف بعزته أن لا يجاوز هذا الجسر اليوم ظلم ظالم وعن جابر رضى الله عنه قال لما رجعت مهاجرة الحبشة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا تخبرونى بأعجب ما رأيتم فى أرض الحبشة فقال قتيبة وكان منهم على يارسول الله بينما نحن يوما جلوس اذ مرت بنا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم فجعل احدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت المرأة على ركبتيها وانكسرت قلتها فلما قامت التفتت اليه ثم قالت سوف تعلم يا غدر اذا وضع الله الكرسى فجمع الاولين والآخرين وتكلمت الايدى والارجل بما كانوا يكسبون سوف تعلم ما أمرى وأمرك عنده غدا قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يقدس الله قوما لا يؤخذ من شديدهم لضعيفهم وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خمسة غضب الله عليهم ان شاء أمضى غضبه عليهم فى الدنيا والا ثوى بهم فى الآخرة الى النار أمير قوم يأخذ حقه من رعيته ولا ينصفهم من نفسه ولا يدفع الظلم عنهم وزعيم قوم يطيعونه ولا يسوى بين القوى والضعيف

ويتكلم بالهوى ورجل لا يامر أهله وولده بطاعة الله ولا يعلمهم أمر دينهم ورجل استاجر أجيرا فاستعمله ولم يوفه أجره ورجل ظلم امرأة فى صداقها وعن عبد الله بن سلام رضى الله عنه أنه قال ان الله تعالى لما خلق الخلق واستووا على أقدامهم رفعوا رؤسهم الى الله وقالوا يارب مع من أنت قال مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقه وعن وهب بن منبه رضى الله عنه بنى جبار من الجبابرة قصرا وشيده فجاءت عجوز فقيرة فبنت الى جانبه شيأ تأوى اليه فركب الجبار يوما وطاف حول القصر فرأى بناءها فقال لمن هذا فقيل لامرأة فقيرة تاوى اليه فأمر بهدمه فهدم فجاءت العجوز فرأته مهدوما فقالت من هدمه فقيل لها الملك رآه فهدمه فرفعت العجوز رأسها الى السماء وقالت يارب أنا لم أكن حاضرة فأنت أين كنت قال فامر الله عز وجل جبريل أن يقلب القصر على من فيه فقلبه (وقيل) لما حبس بعض البرامكة وولده قال يا أبت بعد العز صرنا فى القيد والحبس قال يا بنى دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عز وجل عنها وكان يزيد ابن حكيم يقول ماهبت أحدا قط هيبتى رجلا ظلمته وأنا أعلم أنه لا ناصر له الا الله يقول لى حسبى الله الله بينى وبينك وعن أبى امامة رضى الله عنه قال يجىء الظالم يوم القيامة حتى اذا كان على جسر جهنم فلقيه المظلوم وعرف ما فى ظلمه فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات فان لم يجدوا لهم حسنات حملوا عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموهم حتى يردوا الدرك الاسفل من النار وعن عبد الله بن أنيس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما فيناديهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك الديان لا ينبغى لاحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة فما فوقها ولا ينبغى لاحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة حتى اللطمة فما فوقها ولا يظلم ربك أحدا قلنا يارسول الله كيف وانما نأتى حفاة عراة غرلا بهما قال بالحسنات والسيآت جزاء وفاقا ولا يظلم ربك أحدا وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من ضرب سوطا ظلما اقتص منه يوم القيامة (ومما ذكر) ان كسرى اتخذ مؤدبا لولده يعلمه ويؤدبه فلما بلغ الولد الغاية فى الفضل والادب استحضره المؤدب يوما وضربه ضربا وجيعا من غير جرم ولا سبب فحقد الولد على المعلم الى أن كبر ومات أبوه فتولى الملك بعده فاستحضر المعلم وقال له ما حملك على أن ضربتنى فى يوم كذا ضربا وجيعا من غير جرم ولا سبب فقال له المعلم اعلم أيها الملك انك لما بلغت الغاية فى الفضل والادب علمت انك تنال الملك بعد أبيك فاردت أن أذيقك طعم الضرب وألم الظلم حتى لا تظلم أحدا بعد فقال له جزاك الله خيرا ثم أمر له بجائزة وصرفه

(الباب الخامس والخمسون فى النهى عن ظلم اليتيم)

قال تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا قال قتادة نزلت فى رجل من غطفان ولى مال ابن أخيه وهو صغير يتيم فأكله وقوله ظلما أى لاجله أو حال كونهم ظالمين وخرج به أكلها بحق كأكل الولى بشروطه المقررة فى كتب الفقه قال تعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف أى بمقدار الحاجة فحسب أو بأن يأخذ قرضا أو بقدر أجرة عمله أو ان اضطر فان أيسر قضاه والا فهو فى حل وقد

نبه تعالى على تأكد حق الايتام ومزيد الاعتناء به بقوله قبل هذه الآية وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا اذ المراد بشهادة السياق خلافا لمن حمل الآية على أنها فى الوصية بأكثر من الثلث أو نحو ذلك الحمل لمن كان فى حجره يتيم على أنه يحسن اليه حتى فى الخطاب فلا يخاطبه الا بنحو يا بنى مما يخاطب به أولاده ويفعل معه من البر والمعروف والاحسان والقيام فى ماله ما يحب أن يفعل بعياله وبذريته من بعده فان الجزاء من جنس العمل مالك يوم الدين أى الجزاء كما تدين تدان أى كما تفعل يفعل معك بينما الانسان آمن متصرف فى مال الغير وعلى أولاد غيره واذا بالموت قد حل به فيجزيه الله تعالى فى ماله وذريته وعياله وسائر تعلقاته بنظير ما فعله مع غيره ان خيرا فخير وان شرا فشر فليخش العاقل على أولاده وماله ان لم يكن له خشية على دينه وليتصرف على الايتام الذين فى حجره بما يحب أن يتصرف ولى أولاده لو كانوا أيتاما عليهم فى ماله وجاء أن الله تعالى أوحى الى داود صلى الله على نبينا وعليه وسلم يا داود كن لليتيم كالاب الرحيم وكن للارملة كالزوج الشفيق واعلم انك كما تزرع كذا تحصد أى كما تفعل يفعل معك اذ لا بد أن تموت ويبقى لك ولد يتيم وامرأة أرملة وجاء فى التشديد فى أموال اليتامى والظلم فيها أحاديث كثيرة موافقة لما فى الآية من ذلك الوعيد الشديد تحذير الناس عن هذه الفاحشة الوخيمة المهلكة أخرج مسلم وغيره يا أبا ذر انى أراك ضعيفا وانى أحب لك ما أحب لنفسى لا تأمرن على اثنين ولا تلين مال يتيم والشيخان وغيرهما اجتنبوا السبع الموبقات أى المهلكات قالوا يارسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم الحديث والبزار الكبائر سبع الاشراك بالله وقتل النفس بغير حق وأكل الربا وأكل مال اليتيم الحديث والحاكم وصححه أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها مدمن خمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه وابن حبان فى صحيحه ان من جملة كتابه صلى الله عليه وسلم الذى أرسله مع عمرو بن حزم الى أهل اليمن وان أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة الاشراك بالله وقتل النفس المؤمنة بغير حق والفرار فى سبيل الله يوم الزحف وعقوق الوالدين ورمى المحصنة وتعلم السحر وأكل الربا وأكل مال اليتيم وأبو يعلى يبعث يوم القيامة قوم من قبورهم تأجج أفواههم نارا فقيل من هم يارسول الله قال ألم تر أن الله يقول ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وفى حديث المعراج عند مسلم فاذا أنا برجال قد وكل بهم رجال يفكون لحاهم وآخرون يجيؤن بالصخور من النار فيقذفونها فى أفواههم فتخرج من أدبارهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وفى تفسير القرطبى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت ليلة أسرى بى قوما لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ مشافرهم ثم يجعل فى أفواههم صخرا من نار تخرج من أسافلهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما

(الباب السادس والخمسون فى بيان ذم الكبر)

نذكر مما ورد فى ذم الكبر زيادة على ما تقدم لشؤمه وسوء عاقبته فهو أول معصية وقعت من ابليس فلعنه الله وطرده من جنة عرضها السموات والارض الى عذاب السعير ففى الحديث القدسى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى فى واحد منهما قصمته ولا أبالى وورد يحشر المتكبرون أمثال الذر فى صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان ويسقون من طينة الخبال وهى عصارة أهل النار وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك جائر وعائل مستكبر وعن عمر رضى الله عنه انه قرأ قوله تعالى واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف فقتل فقام آخر فقال تقتلون الذين يأمرون بالمعروف فقتل المتكبر الذى خالفه والذى أمره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال صلى الله عليه وسلم لرجل كل بيمينك قال لا أستطيع فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما منعه الا كبره قال فما رفعها بعد ذلك أى اعتلت يده وروى أن ثابت بن قيس بن شماس قال يارسول الله انى امرؤ حبب الىّ من الجمال ماترى أفمن الكبر هو فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس أى ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله أمثاله أو خير منه (قال وهب بن منبه) لما قال موسى عليه السلام لفرعون آمن ولك ملكك قال حتى أشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينما أنت رب تعبد اذ أنت عبد تعبد فاستنكف عن عبوديته وعن اتباع موسى فأغرقه الله (وقالت قريش) فيما أخبر الله عنهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفى طلبوا من هو أعظم رياسة من النبى صلى الله عليه وسلم اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال تعالى أهم يقسمون رحمة ربك ثم أخبرهم الله عن تحجبهم حين دخلوا النار اذ لم يروا فيها الذين ازدروهم كأهل الصفة فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قيل يعنون عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضى الله عنهم قال وهب رضى الله عنه العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الاشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم يحفظه الرجال على قدر هممها وأهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وذلك لان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل خائفا مع جهله فازداد علما علم أن الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وتواضعا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس رضى الله عنه يكون قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ومن أعلم منا ثم التفت الى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الامة أولئك هم وقود النار وقال عمر رضى الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء فلم يف علمكم بجهلكم (روى) ان رجلا من بنى اسرائيل يقال له خليع بنى اسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر يقال له عابد بنى اسرائيل وكان على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به قال الخليع فى نفسه أنا خليع بنى اسرائيل وهذا عابد بنى اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمنى فجلس اليه فقال العابد أنا عابد بنى اسرائيل وهذا خليع بنى اسرائيل فكيف يجلس الىّ فأنف منه وقال له قم عنى فأوحى الله الى نبى ذلك الزمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع

واحبطت

وأحبطت عمل العابد وفى رواية أخرى فتحوّلت الغمامة الى رأس الخليع وهذا يعرفك ان الله تعالى انما يريد من العباد قلوبهم روى ان رجلا ذكر بخير للنبى صلى الله عليه وسلم فاقبل ذات يوم فقالوا يارسول الله هذا الذى ذكرناه لك فقال انى أرى فى وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أسألك بالله حدثتك نفسك ان ليس فى القوم أفضل منك قال اللهمّ نعم فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوة ما استكنّ فى قلبه سفعة فى وجهه قال الحرث بن جزء الزبيدى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبنى من القراء كل مضحاك فأما الذى تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمنّ عليك بعلمه فلا أكثر الله فى المسلمين مثله (روى) عن أبى ذر رضى الله عنه انه قال قاولت رجلا عند النبىّ صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن السوداء فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل فقال أبو ذر رحمه الله فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدّى وقال علىّ كرّم الله وجهه من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال أنس لم يكن شخص أحب الى أصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الاوقات يمشى مع بعض الاصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشى فى غمارهم اما لتعليم غيره أو لينفى عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب كما أخرج الثوب الجديد فى الصلاة وأبدله بالخليع لاحد هذين المعنيين

(الباب السابع والخمسون فى فضل التواضع والقناعة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه وقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا ومعه ملكان وعليه ٢ حكمة يمسكانه بها فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهمّ ضعه وان وضع نفسه قالا اللهمّ ارفعه وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن تواضع فى غير مسكنة وأنفق مالا جمعه فى غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى نفر من أصحابه فى بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فاذن له فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال له اطعم فكأن رجلا من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها وقال صلى الله عليه وسلم خيرنى ربى بين أمرين أن أكون عبدا رسولا أو ملكا نبيا فلم أدر أيهما أختار وكان صفيى من الملائكة جبريل فرفعت رأسى اليه فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انما أقبل صلاة من تواضع لعظمتى ولم يتعاظم على خلقى وألزم قلبه خوفى وقال صلى الله عليه وسلم الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وقال المسيح عليه السلام طوبى للمتواضعين فى الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس فى الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم فى الدنيا هم الذين ينظرون الى الله تعالى يوم القيامة وقال بعضهم بلغنى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته

٢ قوله حكمة محركة ما أحاط بالحنك من اللجام كما فى القاموس

وجعله فى موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله وقال صلى الله عليه وسلم أربع لا يعطيهن الله الا من أحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد فى الدنيا ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم فجاء رجل أسود به جدرى قد تقشر فجعل لا يجلس الى أحد الا قام من جنبه فأجلسه النبى صلى الله عليه وسلم الى جنبه وقال صلى الله عليه وسلم انه ليعجبنى أن يحمل الرجل الشئ فى يده يكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه يوما مالى لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المتواضعين من أمتى فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة لهم وصغار ومن أحسن ما قيل شعرا

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر * على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه * على طبقات الجو وهو وضيع

(ومما جاء فى فضل القناعة زيادة على ما تقدم) قال صلى الله عليه وسلم عز المؤمن استغناؤه عن الناس ففى القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت تكن نظيره واحتج الى من شئت تكن أسيره وأحسن الى من شئت تكن أميره قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال بعضهم ما رأيت غنى أفضل من القناعة ولا فقرا أشد من الرغبة وأنشد

أفادتنى القناعة ثوب عز * وأى غنى أعز من القناعه
فصيرها لنفسك رأس مال * وصير بعدها التقوى بضاعه
تجد ربحين تغنى عن خليل * وتنعم فى الجنان بصبر ساعه

(وقال آخر)

قنع النفس بالكفاف والا * طلبت منك فوق ما يكفيها
انما أنت طول عمرك ما عمرت فى الساعة التى أنت فيها

(وقال آخر)

اذا الرزق عنك نأى فاصطبر * ومنه اقتنع بالذى قد حصل
ولا تتعب النفس فى تحصيله * فان كان ثم نصيب وصل

(وقال آخر)

اذا أعطشتك أكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله فى الثرى * وهامة همته فى الثريا

(وقال آخر)

يا طالب الرزق الهنى بقوة * هيهات أنت بباطل مشغوف
رعت الاسود بقوة جيف الفلا * ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أصابته خصاصة قال لاهله قوموا الى الصلاة ويقول أمرت بهذا ويقرأ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها الآية وأنشدوا

دع التهافت فى الدنيا وزينتها * ولا يغرنك الاكثار والجشع
واقنع بما قسم الرحمن وارض به * ان القناعة مال ليس ينقطع

وخل وبك فضول العيش أجمعها * فليس فيها اذا حققت منتفع

ولبعضهم

اقنع بما تلقى بلا بلغة * فليس ينسى ربنا النمله
ان أقبل الدهر فقم قائما * وان تولى مدبرا نم له

ومن كلام الحكماء ليست العزة فى حسن البزة فان التنعم بلبس الثياب والتجمل بحسن الزى يشغل العبد حتى لا يعبأ بشئ من أمر دينه ميلا لدنياه وقلما يخلو صاحبه من العجب وأنشد بعضهم

رضيت من الدنيا بلقمة بائس * ولبس عباء لا أريد سواهما
لانى رأيت الدهر ليس بدائم * فدهرى وعمرى فانيان كلاهما

(الباب الثامن والخمسون فى بيان غرور الدنيا)

جميع أحوال الدنيا مصروفة الى ما يسوء ويسر فليست مساعدة لجميع أهلها وانما هى متلونة على ما اقتضته حكمة الحكيم قال سبحانه ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك قال بعض المفسرين مختلفين فى الرزق يريد اختلافهم فى الغنى والفقر فالواجب على من ساعدته دنياه وأخدمها له مولاه ان يتلقى ذلك بشكره ويتوجه اليه بصنائع المعروف فانها تقى مصارع السوء ولا يغتر بدنياه وكفى بقوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الامانى الآية تنفيرا عن الغرور بها وقال صلى الله عليه وسلم حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبطون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الارض من المغترين وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى وقال الشاعر

ومن يحمد الدنيا لشئ يسره * فسوف لعمرى عن قليل يلومها
اذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

(وقال آخر)

تالله لو كانت الدنيا بأجمعها * تبقى علينا ويأتى رزقها رغدا
ما كان فى حق حر أن يذل لها * فكيف وهى متاع يضمحل غدا

وأنشد ابن بسام

أف للدنيا وأيامها * فانها للحزن مخلوقه
غمومها لا تنقضى ساعة * عن ملك فيها ولا سوقه
يا عجبا منها ومن شأنها * عدوة للناس معشوقه

(وأنشد آخر)

وقائلة أرى الايام تعطى * لئام الناس من رزق حثيث
وتمنع من له شرف وفضل * فقلت لها خذى أصل الحديث
رأت جل المكاسب من حرام * فجادت بالخبيث على الخبيث

وأنشد آخر أيضا

سل الايام مافعلت بكسرى * وقيصر والقصور وساكنيها
أما استدعتهم للبين طرا * فلم تدع الحليم ولا السفيها

وحكى ان اعرابيا نزل بقوم فقدموا اليه طعاما فاكل ثم نام فى ظل خيمتهم فاقتلعوا الخيمة فأصابه حر الشمس فانتبه فارتحل وهو يقول

ألا انما الدنيا كظل بنيته * ولابد يوما أن ظلك زائل

(وقال أيضا)

ألا انما الدنيا مقيل لراكب * قضى وطرا من منزل ثم هجرا

وقال بعض الحكماء لصاحب له قد أسمعك الداعى وأعذر اليك الطالب ولا أحد أعظم رزية ممن ضيع اليقين وأخطاه العمل وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه وقال بعضهم ان العبد يحاسب على التحزن على مافاته من الدنيا و يحاسب بفرحه فى الدنيا اذا اقدر عليها ولقد كان السلف الصالح فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم ان الذى لا بأس به عندكم كان من الموبقات عندهم وكان عمر بن عبد العزيز كثيرا ما يتمثل بهذه الابيات وهى لمسعر بن كدام

نهارك يامغرور نوم وغفلة * وليلك نوم والردى لك لازم
يغرك مايفنى وتفرح بالمنى * كما غر باللذات فى النوم حالم
وشغلك فيما سوف تكره غبه * كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

(الباب التاسع والخمسون فى بيان ذم الدنيا والتحذير منها)

روى عن أبى امامة الباهلى أن ثعلبة بن حاطب قال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا قال ياثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه قال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا قال ياثعلبة أمالك فى أسوة أما ترضى ان تكون مثل نبى الله تعالى أما والذى نفسى بيده لوشئت أن تسير معى الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذى بعثك بالحق نبيا لئن دعوت الله أن يرزقنى مالا لاعطين كل ذى حق حقه ولأفعلن ولأفعلن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى الجماعة و يدع ماسواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الجماعة الا الجمعة وهى تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الاخبار فى المدينة وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال مافعل ثعلبة بن حاطب فقيل يارسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة وأخبر بأمره كله فقال ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة قال وأنزل الله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم وأنزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جهينة و رجلا من بنى سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا بأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجا فيأخذا الصدقة من المسلمين وقال مرا بثعلبة بن حاطب و بفلان رجل من بنى سليم وخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال ماهذه الا جزية ماهذه الا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الى فانطلقا نحو السلمى فسمع بهما فقام الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياها قالا لا يجب عليك ذلك وما نريد أن نأخذ هذا منك قال بلى خذاها نفسى بها طيبة وانما هى لتأخذاها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال أريانى كتابكما فنظر فيه فقال هذه أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيى فانطلقا حتى أتيا النبى صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال ياويح ثعلبة قبل أن يكلماه ودعا للسلمى فأخبراه بالذى صنع ثعلبة و بالذى صنع السلمى فأنزل الله تعالى فى ثعلبة ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماوعدوه و بما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ماأنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة فقال لا أم لك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال ان الله منعنى أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك أمرتك فلم تطعنى فلما أبى أن يقبل منه شيأ رجع الى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فأبى أن يقبلها منه وجاء بها الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأبى أن يقبلها منه وتوفى ثعلبة بعد خلافة عثمان * وقد روى عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى بن مريم عليه السلام فقال أكون معك وأصحبك فانطلقا فانتهيا الى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقى رغيف ثالث فقام عيسى عليه السلام الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال لا أدرى قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية ومعها خشفان لها قال فدعا أحدهما فأتاه فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذاك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لا أدرى ثم انتهيا الى وادى ماء فأخذ عيسى بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال له أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لا أدرى فانتهيا الى مفازة فجلسا فأخذ عيسى عليه السلام يجمع ترابا وكثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله تعالى فصار ذهبا فقسمه ثلاثة أثلاث ثم قال ثلث لى وثلث لك وثلث لمن أخذ الرغيف فقال أنا الذى أخذت الرغيف فقال كله لك وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان فى المفازة ومعه المال فأرادا أن يأخذاه منه و يقتلاه فقال هو بيننا أثلاثا فابعثوا أحدكم الى القرية حتى يشترى لنا طعاما نأكله قال فبعثوا أحدهم فقال الذى بعث لاى شئ أقاسم هؤلاء هذا المال لكنى أضع فى هذا الطعام سما فاقتلهما وآخذ المال وحدى قال ففعل وقال ذانك الرجلان لاى شئ نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا فبقى ذلك المال فى المفازة وأولئك الثلاثة عنده قتلى فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحالة فقال لاصحابه هذه الدنيا فاحذروها (وحكى) أن ذا القرنين أتى على أمة من الامم ليس بأيديهم شئ مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا

البقل كما ترعى البهائم وقد قبض لهم فى ذلك معايش من نبات الارض وأرسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال مالى اليه حاجة فان كان له حاجة فليأتنى فقال ذو القرنين صدق فأقبل اليه ذو القرنين وقال له أرسلت اليك لتأتينى فأبيت فها أنا قد جئت فقال لو كان لى اليك حاجة لأتيتك فقال له ذو القرنين مالى أراكم على حالة لم أر أحدا من الامم عليها قال وماذاك قال ليس لكم دنيا ولا شئ أفلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما قال انما كرهناهما لان أحدا لم يعط منهما شيأ الا تاقت نفسه ودعته الى ماهو أفضل منه فقال مابالكم قد احتفرتم قبورا فاذا أصبحتم تعهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قال أردنا اذا نظرنا اليها وأملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الامل قال وأراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض أفلا اتخذتم البهائم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها فاستمتعتم بها قال كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا فى نبات الارض بلاغا وانما يكفى ابن آدم أدنى العيش من الطعام وأى ماجاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذى القرنين فتناول جمجمة فقال ياذا القرنين أتدرى من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الارض أعطاه الله سلطانا على أهل الارض فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله سبحانه ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى آخرته ثم تناول جمجمة أخرى بالية فقال ياذا القرنين هل تدرى من هذا قال لا أدرى ومن هو قال هذا ملك ملكه الله بعده قد كان يرى مايصنع الذى قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل وأمر بالعدل فى أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى آخرته ثم أهوى الى جمجمة ذى القرنين فقال وهذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظر ياذا القرنين ما أنت صانع فقال له ذو القرنين هل لك فى صحبتى فأتخذك أخا ووزيرا وشريكا فيما آتانى الله من هذا المال قال ما أصلح أنا وأنت فى مكان ولا أن نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من أجل أن الناس كلهم لك عدو ولى صديق قال ولم قال يعادونك لما فى يديك من الملك والمال والدنيا ولا أجد أحدا يعادينى لرفضى لذلك ولما عندى من الحاجة وقلة الشئ قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به وما أحسن قول القائل

يامن تمتع بالدنيا وزينتها * ولا تنام عن اللذات عيناه
شغلت نفسك فيما ليس تدركه * تقول لله ماذا حين تلقاه

(وقول الآخر)

عتبت على الدنيا لرفعة جاهل * وتأخير ذى فضل فقالت خذ العذرا
بنو الجهل أبنائى لهذا رفعتهم * وأهل التقى أبناء ضرتى الاخرى

(وقول محمود الباهلى)

ألا انما الدنيا على المرء فتنة * على كل حال أقبلت أو تولت
فان أقبلت فاستقبل الشكر دائما * ومهما تولت فاصطبر وتثبت

(الباب الستون فى فضل الصدقة)

قال صلى الله عليه وسلم من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا فان الله يقبلها بيمينه أى ملتبسة بيمينه وبركته ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه بفتح فضم فتشديد مهره أول مايولد حتى تكون مثل الجبل وفى رواية كما يربى أحدكم مهره حتى ان اللقمة لتصير مثل أحد وتصديق ذلك فى كتاب الله تعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات يمحق الله الربا ويربى الصدقات * ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله عز وجل وفى رواية للطبرانى ما نقصت صدقة من مال وما مد عبد يده لصدقة الا ألقيت فى يد الله أى الا قبلها الله تعالى ورضى بها قبل أن تقع فى يد السائل وما فتح عبد باب مسئلة له عنها غنى الا فتح الله له باب فقر يقول العبد مالى مالى وانما له من ماله ثلاث ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فاقتنى ماسوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس (وفى الخبر) ما منكم من أحد الا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى الا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى الا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة وفى الخبر أيضا ليق أحدكم وجهه من النار ولو بشق تمرة وقال صلى الله عليه وسلم الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار * ياكعب بن عجرة انه لا يدخل الجنة لحم ودم نبتا على سحت النار أولى به ياكعب بن عجرة الناس غاديان فغاد فى فكاك نفسه فمعتقها وغاد موبقها ياكعب بن عجرة الصلاة قربات والصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يذهب الجليد على الصفا وفى رواية كما يطفئ الماء النار * ان الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء وفى رواية ان الله ليدرأ أى يدفع بالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء وفى الحديث كل امرئ فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس وفى آخر لا يخرج رجل شيأ من الصدقة حتى يفك عنها لحى سبعين شيطانا وقيل يارسول الله أى الصدقة أفضل قال جهد المقل وابدأ بمن تعول وقال صلى الله عليه وسلم سبق درهم مائة درهم فقال رجل كيف ذاك يارسول الله فقال رجل له مال كثير أخذ من عرضه أى بضم أوله المهمل وبالضاد المعجمة جانبه مائة ألف درهم وتصدق بها ورجل ليس له الا درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به وقال صلى الله عليه وسلم لا تردوا سائلك ولو بظلف هو بكسر أوله المعجم للبقر والغنم بمنزلة الحافر للفرس * سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله الى أن قال ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه * صنائع المعروف تقى مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد فى العمر وفى رواية للطبرانى صنائع المعروف تقى مصارع السوء والصدقة خفيا تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد فى العمر وكل معروف صدقة وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة وأهل المنكر فى الدنيا هم أهل المنكر فى الآخرة وأول من يدخل الجنة أهل المعروف وفى أخرى له ولاحمد ما الصدقة يارسول الله قال أضعاف مضاعفة وعند الله المزيد ثم قرأ من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة * قيل يارسول الله أى الصدقة أفضل قال سر الى فقير أو جهد من مقل ثم قرأ ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم الآية * من كسا مسلما ثوبا لم يزل فى ستر الله تعالى مادام عليه منه خيط أو سلك * أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عرى كساه الله تعالى من خضر الجنة وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع

أطعمه الله تعالى من ثمار الجنة وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم * الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى رحم ثنتان صدقة وصلة * أى الصدقة أفضل قال على ذى الرحم الكاشح أى المضمر لعداوته فى كشحه أى خصره كناية عن باطنه * من منح منيحة لبن أى بأن أعطى لبونا لمن يأكل لبنها ثم يردها أو ورق أى بان أقرض دراهم أو هدى رفاقا أى الى الطريق كان له مثل عتق رقبة * كل قرض صدقة وفى رواية عند جماعة رأيت ليلة أسرى بى على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر * من يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة * أى الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف * أنبئنى عن كل شئ قال كل شئ خلق من الماء فقلت أخبرنى بشئ اذا عملته دخلت الجنة قال أطعم الطعام وأفش السلام وصل الارحام وصل بالليل والناس نيام تدخل الجنة بسلام * اعبدوا الرحمن وأطعموا الطعام وأفشوا السلام تدخلوا الجنة بسلام * من موجبات الرحمة اطعام المسلم المسكين * من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه باعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام * ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى قال كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت ان عبدى فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال يارب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين قال أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى قال يارب وكيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى

(الباب الحادى والستون فى قضاء حاجة أخيه المسلم)

قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال صلى الله عليه وسلم من مشى فى عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين فى سبيل الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله خلقا خلقهم لقضاء حوائج الناس آلى على نفسه أن لا يعذبهم بالنار فاذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله تعالى والناس فى الحساب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى لاخيه المسلم فى حاجة فقضيت له أو لم تقض غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى لاخيه المسلم حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت له رواه أبو نعيم فى الحلية وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى فى حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة وكفر عنه سبعين سيئة فان قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فان مات فى خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع أخيه المسلم فى حاجة فناصحه فيها جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والارض وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عند أقوام نعما يقرها عندهم ما داموا فى حوائج الناس ما لم يملوا فاذا ملوا

نقلها الى غيرهم وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما يقول الاسد فى زئيره قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول اللهم لا تسلطنى على أحد من أهل المعروف وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه يرفعه اذا أراد أحدكم الحاجة فليبكر لها يوم الخميس وليقرأ اذا خرج من منزله آخر سورة آل عمران وآية الكرسى وانا أنزلناه فى ليلة القدر وأم الكتاب فان فيها حوائج الدنيا والآخرة وعن عبد الله بن الحسن بن الحسين رضى الله تعالى عنهم قال أتيت باب عمر بن عبد العزيز فى حاجة فقال اذا كانت لك حاجة الى فارسل رسولا أو اكتب لى كتابا فانى لأستحيى من الله أن يراك ببابى وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال والذى وسع سمعه الاصوات ما من أحد أودع قلبا سرورا الا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نزلت به نائبة جرى اليها كالماء فى انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال أيضا فوت الحاجة أهون من طلبها الى غير أهلها وعنه أيضا قال لا تكثر على أخيك الحوائج فان العجل اذا أفرط فى مص ثدى أمه نطحته وما أحسن قول الشاعر

لا تقطعن عادة الاحسان عن أحد * ما دمت تقدر والايام تارات
واذكر فضيلة صنع الله اذ جعلت * اليك لا لك عند الناس حاجات

وقول الآخر

اقض الحوائج ما استطعت * وكن لهم أخيك فارج
فلخير أيام الفتى * يوم قضى فيه الحوائج

وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن أجريت الخير على يديه وويل لمن أجريت الشر على يديه

(الباب الثانى والستون فى فضل الوضوء)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشئ من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفى لفظ آخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم أيضا ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء على المكاره ونقل الاقدام الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ثلاث مرات وتوضأ صلى الله عليه وسلم مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين آتاه الله أجره مرتين وتوضأ ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوئى ووضوء الانبياء من قبلى ووضوء خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام وقال صلى الله عليه وسلم من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما أصاب الماء وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات وقال صلى الله عليه وسلم الوضوء على الوضوء نور على نور وهذا كله حث على تجديد الوضوء وقال عليه الصلاة والسلام اذا توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أذنيه واذا غسل رجليه خرجت الخطايا من

رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ثم كان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة له ويروى أن الطاهر كالصائم وقال عليه الصلاة والسلام من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء وقال عمر رضى الله عنه ان الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع أن لا يبيت الا طاهرا ذاكرا مستغفرا فليفعل فان الارواح تبعث على ما قبضت عليه ويروى ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وجه رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصر لكسوة الكعبة فنزل الرجل بعض أرض الشام الى جانب صومعة حبر من الاحبار ولم يكن حبر أعلم منه فأحب رسول عمر أن يلقاه فيسمع منه علمه فأتاه واستفتح باب داره فلم يفتح له طويلا ثم دخل على الحبر فسأله ليسمع منه فأعجبه علمه فشكى اليه حبسه على بابه فقال له الحبر انا كنا رأيناك حين عدلت الينا على هيبة السلطان فتخوفناك وانما حبسناك على الباب لان الله تبارك وتعالى قال لموسى يا موسى اذا تخوفت سلطانا فتوضأ وأمر أهلك بالوضوء فان من توضأ كان فى أمانى مما يتخوف فأغلقنا دونك الباب حتى توضأت وتوضأ جميع من فى الدار وصلينا فأمناك لذلك ثم فتحنا لك الباب

(الباب الثالث والستون فى فضل الصلوات)

لما كانت الصلاة أفضل العبادات كررنا الحث عليها اقتداء بكتاب الله العزيز فما ورد فى فضلها زيادة على ما تقدم قوله صلى الله عليه وسلم ما أعطى عبد عطاء خيرا من أن يؤذن له فى ركعتين يصليهما قال محمد بن سيرين رحمه الله تعالى لو خيرت بين ركعتين وبين الجنة لاخترت الركعتين على الجنة لان فى الركعتين رضا الله تعالى وفى الجنة رضائى ويقال ان الله تعالى لما خلق سبع سموات حشاها بالملائكة وتعبدهم بالصلاة لا يفترون ساعة فجعل لكل أهل سماء نوعا من العبادة فأهل سماء قيام على أرجلهم الى نفخة الصور وأهل سماء ركع وأهل سماء سجود وأهل سماء مرخية الاجنحة من هيبته تعالى وأهل عليين وأهل العرش وقوف يطوفون حول العرش يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض فجمع الله ذلك كله فى صلاة واحدة كرامة للمؤمنين حتى يكون لهم حظ من عبادة أهل كل سماء وزادهم القرآن يتلونه فيها فطلب منهم شكرها وشكرها اقامتها بشرائطها وحدودها قال الله تعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون وقال وأقيموا الصلاة وقال وأقم الصلاة وقال والمقيمين الصلاة فلم تجد ذكر الصلاة فى موضع من التنزيل الا مع ذكر اقامتها فلما بلغ ذكر المنافقين قال فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون فسماهم المصلين وسمى المؤمنين المقيمين الصلاة وذلك ليعلم ان المصلين كثير والمقيمين للصلوات قليل فأهل الغفلة يعملون الاعمال على الترويج ولا يذكرون يوم تعرض على الله فتقبل أم ترد وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان منكم من يصلى الصلاة فلا يكتب له من صلاته الا ثلثها أو ربعها أو خمسها أو سدسها حتى ذكر عشرها يعنى انه لا يكتب له من صلاته الا ما عقل منها وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ركعتين مقبلا على الله بقلبه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وانما عظم شأن صلاة العبد باقبال

العبد على الله فاذا لم يقبل على صلاته ولها بحديث النفس كان بمنزلة من وقف الى باب ملك معتذرا من خطيئته وزلته فلما وصل الى باب الملك قام بين يديه وأقبل عليه الملك فجعل الواقف يلتفت يمينا وشمالا فلم يقض الملك حاجته وانما يقبل الملك عليه على قدر عنايته فكذلك الصلاة اذا دخل العبد فيها ولها عنها لا تقبل منه واعلم ان مثل الصلاة كمثل وليمة اتخذها ملك وهيأ فيها ألوانا من الاطعمة والاشربة لكل لون لذة وفى كل لون منفعة ودعا الناس اليها فكذلك الصلاة دعاهم الرب اليها وهيأ لهم فيها أفعالا مختلفة وأذكارا متنوعة فتعبدهم بها ليذيقهم بكل لون من العبودية فالافعال كالاطعمة والاذكار كالاشربة وقد قيل ان فى الصلاة اثنى عشرة ألف خصلة ثم جمعت هذه الاثنتا عشرة ألفا فى اثنى عشرة خصلة فمن أراد أن يصلى فلا بد أن يتعاهد هذه الاثنى عشرة خصلة لتتم صلاته فستة قبل الدخول فى الصلاة وستة فيها أولها العلم لان النبى صلى الله عليه وسلم قال عمل قليل فى علم خير من عمل كثير فى جهل والثانى الوضوء لقوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة الا بطهور والثالث اللباس لقوله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد يعنى البسوا ثيابكم عند كل صلاة والرابع حفظ الوقت لقوله عز وجل ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا يعنى فرضا مؤقتا والخامس استقبال القبلة لقوله عز وجل فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره يعنى نحوه والسادس النية لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى والسابع التكبير لقوله صلى الله عليه وسلم تحريمها التكبير وتحليلها التسليم والثامن القيام لقوله عز وجل وقوموا لله قانتين يعنى صلوا قائمين والتاسع الفاتحة لقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن والعاشر الركوع لقوله عز وجل واركعوا والحادى عشر السجود لقوله عز وجل واسجدوا والثانى عشر القعود لقوله صلى الله عليه وسلم اذا رفع الرجل رأسه من آخر السجدة وقعد قدر التشهد فقد تمت صلاته فاذا وجدت هذه الاثنتا عشرة يحتاج الى الختم وهو الاخلاص لتتم هذه الاشياء لان الله تعالى يقول فاعبدوا الله مخلصين له الدين فأما العلم فعلى ثلاثة أوجه أولها أن يعرف الفريضة من السنة والثانى أن يعرف ما فى الوضوء من الفريضة والسنة أيضا فان ذلك من تمام الصلاة والثالث أن يعرف كيد الشيطان فيأخذ فى محاربته بالجهد وأما الوضوء فتمامه فى ثلاثة أشياء أولها أن تطهر قلبك من الغل والحسد والغش والثانى أن تطهر البدن من الذنوب والثالث أن تغسل الاعضاء غسلا سابغا بغير اسراف فى الماء وأما اللباس فتمامه ثلاثة أشياء أولها أن يكون أصله من الحلال والثانى أن يكون طاهرا من النجاسات والثالث أن يكون موافقا للسنة ولا يكون لبسه على وجه الفخر والخيلاء وأما حفظ الوقت ففى ثلاثة أشياء أولها أن يكون بصرك الى الشمس والقمر والنجوم تتعاهد به حضور الوقت والثانى أن يكون سمعك الى الاذان والثالث أن يكون قلبك متفكرا متعاهدا للوقت وأما استقبال القبلة فتمامه فى ثلاثة أشياء أولها أن تستقبل القبلة بوجهك والثانى أن تقبل على الله بقلبك والثالث أن تكون خاشعا ذليلا وأما النية فتمامها فى ثلاثة أشياء أولها أن تعلم أى صلاة تصلى والثانى أن تعلم انك تقوم بين يدى الله تعالى وهو يراك فتقوم بالهيبة والثالث أن تعلم أنه يعلم ما فى قلبك فتفرغ قلبك من أشغال الدنيا وأما التكبير فتمامه فى ثلاثة أشياء أولها أن تكبر تكبيرا صحيحا جزما

والثانى أن ترفع يديك حذاء أذنيك والثالث أن يكون قلبك حاضرا فتكبر مع التعظيم وأما تمام القيام ففى ثلاثة أشياء أولها أن تجعل بصرك فى موضع سجودك والثانى أن تجعل قلبك الى الله والثالث أن لا تلتفت يمينا ولا شمالا وأما تمام القراءة ففى ثلاثة أشياء أولها أن تقرأ فاتحة الكتاب قراءة صحيحة بالترتيل بغير لحن والثانى أن تقرأ بالتفكر وتتعاهد معانيها والثالث أن تعمل بما تقرأ وأما تمام الركوع ففى ثلاثة أشياء أولها أن تبسط ظهرك ولا تنكسه ولا ترفعه والثانى أن تضع يديك على ركبتيك وتفرج بين أصابعك والثالث أن تطمئن راكعا وتسبح التسبيحات مع التعظيم والوقار وأما تمام السجود ففى ثلاثة أشياء أولها أن تضع يديك بحذاء أذنيك والثانى أن لا تبسط ذراعيك والثالث أن تطمئن فيه وتسبح مع التعظيم وأما تمام الجلوس ففى ثلاثة أشياء أولها أن تقعد على رجلك اليسرى وتنصب اليمنى نصبا والثانى أن تتشهد بالتعظيم وتدعو لنفسك وللمؤمنين والثالث أن تسلم على التمام وأما تمام السلام فان يكون مع النية الصادقة من قلبك ان سلامك على من كان عن يمينك من الحفظة والرجال والنساء وكذلك عن يسارك ولا تجاوز بصرك عن منكبيك وأما تمام الاخلاص ففى ثلاثة أشياء أولها أن تطلب بصلاتك رضا الله تعالى ولا تطلب رضا الناس والثانى أن ترى التوفيق من الله تعالى والثالث أن تحفظها حتى تذهب بها يوم القيامة لان الله تعالى قال من جاء بالحسنة ولم يقل من عمل بالحسنة

(الباب الرابع والستون فى بيان أهوال القيامة)

روى ان عائشة رضى الله عنها قالت قلت يا رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة قال أما عند ثلاث مواضع فلا عند الميزان حتى يعلم اما أن يخف واما أن يثقل وعند تطاير الصحف اما أن يعطى كتابه بيمينه واما أن يعطاه بشماله وحين يخرج عنق من النار فينطوى عليهم ويقول وكلت بثلاثة وكلت بمن دعا مع الله الها آخر وبكل جبار عنيد وبكل من لا يؤمن بيوم الحساب فينطوى عليهم حتى يرمى بهم فى غمرات جهنم ولجهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف عليه كلاليب وحسك والناس يمرون عليه كالبرق الخاطف وكالريح العاصف الحديث وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصا ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قال قلت يا رسول الله وما الصور قال قرن من نور قلت يا رسول الله كيف هو قال عظيم الدارة والذى بعثنى بالحق نبيا لعظم دارته كعرض السماء والارض ينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة للفزع ونفخة للصعق ونفخة للبعث فتخرج الارواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والارض فتدخل فى الاجساد من الخياشيم ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم أنا أول من تنشق عنه الارض وفى خبر آخر اذا أحيا الله تعالى جبريل وميكائيل واسرافيل فينزلون الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم ومعهم البراق وحلل من الجنة فتنشق عنه الارض فينظر النبى صلى الله عليه وسلم الى جبريل فيقول يا جبريل ما هذا اليوم فيقول له هذا يوم القيامة هذا يوم الحاقة هذا يوم القارعة فيقول يا جبريل ما فعل الله بأمتى فيقول له جبريل أبشر فانك أول من تنشق عنه

الارض وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقول يا معشر الجن والانس انى نصحت لكم فانما هى أعمالكم فى صحفكم فمن وجد خيرا فليحمد الله تعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه (وذكر عن يحيى بن معاذ الرازى) انه قرئ فى مجلسه يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا أى ركبانا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا يعنى مشاة عطاشا فقال أيها الناس مهلا مهلا غدا تحشرون الى الموقف حشرا وتأتون من الاطراف فوجا فوجا وتقفون بين يدى الله فردا فردا وتسئلون عما فعلتم حرفا حرفا وتقاد الاولياء الى الرحمن وفدا وفدا ويرد العاصون الى عذاب الله وردا وردا ويدخلون جهنم حزبا حزبا باخوانى أمامكم يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون يوم الراجفة يوم الآزفة يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم الحسرة والندامة يوم المناقشة يوم المحاسبة يوم المساءلة يوم الصيحة يوم الحاقة يوم القارعة يوم النشور يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يوم التغابن يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وقال مقاتل بن سليمان تقف الخلائق يوم القيامة مائة سنة لا يتكلمون ومائة سنة فى الظلمة متحيرون ومائة سنة يموج بعضهم فى بعض عند ربهم يختصمون وان يوم القيامة على طوله خمسين ألف سنة مما تعدون ليمضى على المؤمن المخلص كأخف صلاة مكتوبة وقال صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربعة أشياء عن عمره فيم أفناه وعن جسده فيم أبلاه وعن علمه فيم عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لم يكن نبى قط الا كانت له دعوة مستجابة فعجلها فى الدنيا وانى خبأت دعوتى شفاعتى لأمتى يوم القيامة اللهم شفعه فينا بجاهه عندك صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخامس والستون فى صفة جهنم والميزان)

لا بأس بذكر ذلك وان تقدم التنبيه على بعضه تتميما للفائدة لعل تكرار المواعظ ينفع القلوب الغافلة الفاسدة لا سيما وقد عظم الله سبحانه وتعالى هول جهنم وأحوال القيامة فى كتابه فى غير موضع بما يقع فى قلوب العاقلين أعظم موقع تنبيها على أن ما سوى ذلك هين والآخرة خير وأبقى أما صفة جهنم أعاذنا الله منها بمنه وكرمه فقد روى فى الحديث ان جهنم سوداء مظلمة لا ضوء لها ولا لهب لها سبعة أبواب على كل باب سبعون ألف جبل فى كل جبل سبعون ألف شعبة من نار فى كل شعبة سبعون ألف شق من نار فى كل شق سبعون ألف واد من نار فى كل واد سبعون ألف قصر من نار فى كل قصر سبعون ألف بيت من نار فى كل بيت سبعون ألف حية وسبعون ألف عقرب لكل عقرب سبعون ألف ذنب لكل ذنب سبعون ألف فقار فى كل فقار سبعون ألف قلة من سم فاذا كان يوم القيامة كشف عنها الغطاء فيطير منها سرادق عن يمين الثقلين وسرادق آخر عن يسارهم وسرادق أمامهم وسرادق من فوقهم وآخر من ورائهم فاذا نظر الثقلان الى ذلك جثوا على الركب وصاروا ينادون كلهم رب سلم وروى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى عظم خزنة جهنم المشار اليهم بقوله تعالى

غلاظ شداد كل ملك ما بين منكبيه مسيرة سنة ولكل واحد منهم قوة لو أنه ضرب بالمقمع الذى في يده جبلا لصار دكا فيدفع بكل ضربة سبعين ألفا فى قعر جهنم وأما قوله تعالى عليها تسعة عشر فالمراد بهم رؤساء الزبانية والافلائكة النار لا يعلم عددهم الا الله قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن سعة جهنم فقال والله ما أدرى ما سعتها ولكن بلغنا ان بين شحمة أذن كل واحد من الزبانية و بين عاتقه مسيرة سبعين خريفا يعنى سبعين سنة وانها تجرى فيها أودية القيح والدم وفى حديث الترمذى ان كثافة كل سرادق من سرادقات النار أى كثافة جداره مسيرة أربعين سنة وروى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من حر جهنم قالوا يا رسول الله ان كانت لكافية فقال انها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ كلها مثل حرها وقال صلى الله عليه وسلم لو أن جهنميا من أهل جهنم أخرج كفه الى أهل الدنيا لاحترقت الدنيا من حرها ولو أن خازنا من خزنة جهنم أخرج الى أهل الدنيا حتى يبصروه لمات أهل الدنيا حين يبصرونه من غضب الله تعالى الذى عليه وروى مسلم وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه اذ سمع وجبة فقال النبى صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قلنا الله و رسوله أعلم قال هذا حجر رمى به فى نار جهنم منذ سبعين خريفا فهو يهوى فى النار الآن حين انتهى الى قعرها والوجبة هى الهدة وهى صوت وقع الثقيل (وكان عمر بن الخطاب) يقول أكثروا ذكر النار فان حرها شديد وقعرها بعيد وان مقامعها من حديد وكان ابن عباس يقول ان النار تلتقط أهلها كما يلتقط الطائر الحب وسئل رضى الله عنه عن قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا فهل للنار عينان فقال نعم أما سمعتم قوله صلى الله عليه وسلم من كذب على متعمدا فليتبوأ بين عينى جهنم مقعدا قيل يا رسول الله ولها عينان قال أما سمعتم قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد الحديث ويؤيده حديث يخرج عنق من النار له عينان يبصران ولسان ينطق به فيقول انى وكلت اليوم بمن جعل مع الله الها آخر فلهو أبصر بهم من الطير بحب السمسم فيلتقطه (وأما صفة الميزان) فقد ورد فى الحديث ان كفة الحسنات من نور وكفة السيآت من ظلام وروى الترمذى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يساره وكفة الحسنات عن يمينه وكفة السيآت عن يساره فتكون الجنة مقابلة الحسنات والنار مقابلة السيآت وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول توزن الحسنات والسيآت فى ميزان له كفتان ولسان وكان يقول اذا أراد الله وزن أعمال العباد قلبها أجساما فيزنها يوم القيامة

(الباب السادس والستون فى بيان ذم الكبر والعجب)

اعلم ارشدنى الله واياك لخير الدنيا والآخرة ان الكبر والاعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وحسبك من رذيلة تمنع سماع النصح وقبول التأديب ولذلك قالوا العلم يضيع بين الحياء والكبر العلم حرب المتعالى كما أن السيل حرب للبناء العالى قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر وقال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء

لا ينظر الله اليه وقال الحكماء لا يدوم الملك مع الكبر وقد قرن الله سبحانه وتعالى الكبر بالفساد فقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا وقال تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قال بعض الحكماء ما رأيت متكبرا الا تحول ما به بى يعنى أتكبر عليه وكان ابن عوانة من أقبح الناس كبرا روى أنه قال لغلامه اسقنى ماء فقال نعم فقال انما يقول نعم من يقدر أن يقول لا اصفعوه فصفع ودعا أكارا فكلمه فلما فرغ دعا بماء فتمضمض به استقذارا لمخاطبته ويقال فلان وضع نفسه فى درجة لو سقط منها لتكسر (قال الجاحظ) المشهورون بالكبر من قريش بنو مخزوم وبنو أمية ومن العرب بنو جعفر بن كلاب وبنو زرارة بن عدى وأما الاكاسرة فكانوا لا يعدون الناس الا عبيدا وأنفسهم الا أربابا وقيل لرجل من بنى عبد الدار ألا تأتى الخليفة فقال أخاف ان لا يحمل الجسر شرفى وقيل للحجاج بن أرطاة مالك لا تحضر الجماعة قال أخشى ان يزاحمنى البقالون وقيل أتى وائل بن حجر الى النبى صلى الله عليه وسلم فاقطعه أرضا وقال لمعاوية اعرض هذه الارض عليه واكتبها له فخرج معه معاوية فى هاجرة شديدة ومشى خلف ناقته فأحرقه حر الشمس فقال له أردفنى خلفك على ناقتك قال لست من أرداف الملوك قال فأعطنى نعليك قال ما بخل يمنعنى يا ابن أبى سفيان ولكن أكره ان يبلغ أقيال اليمن انك لبست نعلى ولكن امش فى ظل ناقتى فحسبك بها شرفا وقيل انه لحق زمن معاوية ودخل عليه فأقعده معه على السرير وحدثه وقال المسرور بن هند لرجل أتعرفنى قال لا قال أنا المسرور بن هند قال ما أعرفك قال فتعسا لمن لم يعرف القمر وفى مثله يقول الشاعر

قولا لاحمق يلوى التيه أخدعه * لو كنت تعلم ما فى التيه لم تته

التيه مفسدة للدين منقصة * للعقل مهلكة للعرض فانتبه

وقيل لا يتكبر الا كل وضيع ولا يتواضع الا كل رفيع وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال انى آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا اله الا الله فان السموات والارض وما فيهن لو وضعت فى كفة الميزان ولا اله الا الله فى الكفة الاخرى كان لا اله الا الله أرجح منها ولو أن السموات والارض كانتا فى حلقة فوضعت لا اله الا الله عليهما لقصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شئ وبها يرزق كل شئ وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ولم يمت جبارا وعن عبد الله بن سلام رضى الله عنه أنه مر فى السوق وعليه حزمة من حطب فقيل له ما يحملك على هذا وقد أغناك الله عن هذا قال أردت ان أدفع الكبر عن نفسى وفى تفسير القرطبى فى قوله تبارك وتعالى ولا يضربن بأرجلهن ان فعلنه تبرجا وتعرضا للرجال حرم وكذا من ضرب بنعله من الرجال عجبا حرم لان العجب كبيرة

(الباب السابع والستون فى الاحسان الى اليتيم واجتناب الظلم)

أخرج البخارى أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذين وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى وفرج بينهما

ومسلم كافل اليتيم له أولغيره أناوهو كهاتين فى الجنة وأشار مالك بالسبابة والوسطى والبزار من كفل يتيماله ذوقرابة أولاقرابة له فأناوهو فى الجنة كهاتين وضم أصبعيه ومن سعى على ثلاث بنات فهو فى الجنة وكان له كأجر المجاهد فى سبيل الله صائما قائما وابن ماجه من عال ثلاثة من الايتام كان كمن قام ليله وصام نهاره وغدا وراح شاهرا سيفه فى سبيل الله وكنت أناوهو فى الجنة أخوين كما أن هاتين أختان وألصق اصبعيه السبابة والوسطى والترمذى وصححه من قبض يتيما من بين مسلمين الى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة البتة الا أن يعمل ذنبا لايغفر له وفى رواية سندها حسن حتى يستغنى عنه وجبت له الجنة البتة وابن ماجه خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه وأبو يعلى بسند حسن أنا أول من يفتح باب الجنة الا أنى أرى امرأة تبادرنى فأقول مالك ومن أنت تقول أنا امرأة قعدت على أيتام لى والطبرانى بسند وانه ثقات الاواحدا ومع ذلك ليس بالمتروك والذى بعثنى بالحق لايعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم ولان له فى الكلام ورحم يتمه وضعفه ولم يتطاول على جاره بفضل ما آتاه الله وأحمد وغيره من مسح على رأس يتيم لم يمسحه الا لله كانت له فى كل شعرة مرت عليها يده حسنات ومن أحسن الى يتيم أو يتيمة عنده كنت أناوهو فى الجنة كهاتين الحديث وأخرج جماعة وصححه الحاكم أن الله تعالى قال ليعقوب ان سبب ذهاب بصره وانحناء ظهره وفعل اخوة يوسف به مافعلوا أنه أتاه يتيم مسكين صائم جائع وقد ذبح هو وأهله شاة فأكلوها ولم يطعموه ثم أعلمه الله تعالى بأنه لم يحب شيأ من خلقه حبه لليتامى والمساكين وأمره أن يصنع طعاما ويدعو المساكين ففعل والشيخان عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله تعالى وأحسبه قال وكالقائم لايفتر وكالصائم لايفطر وابن ماجه الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله وكالذى يقوم الليل ويصوم النهار (قال بعض السلف) كنت فى بدء أمرى سكيرا منكا على المعاصى فرأيت يوما يتيما فأكرمته كما يكرم الولد بل أكثر ثم نمت فرأيت الزبانية أخذونى أخذا مزعجا الى جهنم واذا باليتيم قد اعترضنى فقال دعوه حتى أراجع ربى فيه فأبوا فاذا النداء خلوا عنه فقد وهبناله ما كان منه باحسانه اليه فاستيقظت وبالغت فى اكرام اليتامى من يومئذ وكان لبعض مياسير العلويين بنات من علوية فمات واشتد بهن الفقر الى أن رحلن عن وطنهن خوف الشماتة فدخلن مسجد بلد مهجورا فتركتهن أمهن فيه وخرجت تحتال لهن فى القوت فمرت بكبير البلد وهو مسلم فشرحت له حالها فلم يصدقها وقال لابد أن تقيمى عندى البينة بذلك فقالت أنا غريبة فأعرض عنها ثم مرت بمجوسى فشرحت له ذلك فصدق وأرسل بعض نسائه فأتت بها وبناتها الى داره فبالغ فى اكرامهن فلما مضى نصف الليل رأى ذلك المسلم القيامة قد قامت والنبى صلى الله عليه وسلم معقودا على رأسه لواء الحمد وعنده قصر عظيم فقال يارسول الله لمن هذا القصر قال لرجل مسلم قال أنا مسلم موحد قال صلى الله عليه وسلم أقم عندى البينة بذلك فتحير فقص له صلى الله عليه وسلم خبر العلوية فانتبه الرجل فى غاية الحزن والكآبة اذردها ثم بالغ فى الفحص عنها حتى دل عليها بدار المجوسى فطلبها منه فأبى وقال قد لحقنى من بركاتهن فقال خذ ألف دينار وسلمهن الى فأبى فأراد أن يكرهه فقال الذى تريده أنا أحق به

والقصر الذى رأيته فى النوم خلق لى أتفخر على باسلامك فوالله مانمت أنا وأهل دارى حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية ورأيت مثل منامك وقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم العلوية وبناتها عندك قلت نعم يارسول الله قال القصر لك ولاهل دارك فانصرف المسلم وبه من الكآبة والحزن مالايعلمه الا الله تعالى

(الباب الثامن والستون فى أكل الحرام)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الآية واختلفوا فى المراد به فقيل الربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال باليمين الكاذبة وقال ابن عباس هو مايؤخذ من الانسان بغير عوض وعليه قيل لما نزلت الآية تحرجوا من أن يأكلوا عند أحد شيأ حتى نزلت آية النور ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم الى آخرها وقيل هو العقود الفاسدة والوجه قول ابن مسعود انها محكمة مانسخت ولا تنسخ الى يوم القيامة انتهى وذلك لان الاكل بالباطل يشمل كل مأخوذ بغير حق سواء كان على جهة الظلم كالغصب والخيانة والسرقة أو الهزؤ واللعب كالمأخوذ بالقمار والملاهى وسيأتى ذلك كله أو على جهة المكر والخديعة كالمأخوذ بعقد فاسد ويؤيد ماذكرته قول بعضهم الآية تشمل أكل الانسان مال نفسه بالباطل بأن ينفقه فى محرم ومال غيره به كالامثلة المذكورة وقوله تعالى الا أن تكون تجارة استثناء منقطع لان التجارة ليست من جنس الباطل بأى معنى أريد به وتأويله بالسبب ليكون متصلا ليس فى محله والتجارة وان اختصت بعقود المعاوضات الا أن نحو القرض والهبة ملحق بها بأدلة أخرى وقوله تعالى عن تراض منكم أى طيب نفس على الوجه المشروع وتخصيص الاكل فيها بالذكر ليس للتقييد به بل لكونه أغلب وجوه الانتفاعات على حد ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وأدلة هذا المبحث والتغليظات الواردة فيه من السنة كثيرة فلنقتصر على بعضها أخرج مسلم وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لايقبل الا طيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فانى يستجاب لذلك والطبرانى باسناد حسن طلب الحلال واجب على كل مسلم والطبرانى والبيهقى طلب الحلال فريضة بعد الفرائض والترمذى وقال حسن صحيح غريب والحاكم وصححه من أكل طيبا وعمل فى سنة وأمن الناس بوائقه دخل الجنة قالوا يارسول الله ان هذا فى أمتك اليوم كثير قال وسيكون فى قرون بعدى وأحمد وغيره باسناد حسن أربع اذا كن فيك فلا عليك مافاتك من الدنيا حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خلق وعفة فى طعمة والطبرانى طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله والطبرانى ياسعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذى نفس محمد بيده ان العبد ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه مايتقبل

منه عمل أربعين يوما وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به والبزار وفيه نكارة انه لادين لمن لا أمانة له ولا صلاة ولا زكاة انه من أصاب مالا من حرام فلبس جلبابا يعنى قميصا لم تقبل صلاته حتى ينحى ذلك الجلباب عنه ان الله تبارك وتعالى أكرم وأجل من أن يقبل عمل رجل أو صلاته وعليه جلباب من حرام وأحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم من حرام لم يقبل الله عز وجل له صلاة مادام عليه ثم أدخل اصبعيه فى أذنيه ثم قال صمتا ان لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم سمعته يقوله والبيهقى من اشترى سرقة وهو يعلم انها سرقة فقد اشترك فى عارها واثمها قال الحافظ المنذرى فى اسناده احتمال للتحسين ويشبه أن يكون موقوفا وأحمد بسند جيد والذى نفسى بيده لان يأخذ أحدكم حبله فيذهب به الى الجبل فيحتطب ثم يأتى فيحمله على ظهره فيأكل خيرله من أن يجعل فى فيه ماحرم الله عليه وابنا خزيمة وحبان فى صحيحيهما والحاكم من جمع مالا حراما ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان اصره عليه والطبرانى من كسب مالا حراما فأعتق منه ووصل منه رحمه كان ذلك اصرا عليه وأحمد وغيره بسند حسنه بعضهم ان الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وان الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين الا لمن يحب ومن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذى نفسى بيده لا يسلم أو لا يسلم عبد حتى يسلم أو يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه قالوا وما بوائقه يارسول الله قال غشه وظلمه ولا يكسب عبد مالا من حرام فيتصدق منه فيقبل منه ولا ينفق منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ان الله تعالى لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن ان الخبيث لا يمحو الخبيث والترمذى وقال حسن صحيح غريب سئل صلى الله عليه وسلم عن أكثر مايدخل الناس النار قال الفم والفرج وسئل عن أكثر مايدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق والترمذى وصححه ماتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ماذا عمل فيه والبيهقى الدنيا خضرة حلوة من اكتسب فيها مالا من حله وأنفقه فى حقه أثابه الله عليه وأورده جنته ومن اكتسب فيها مالا من غير حله وأنفقه فى غير حقه أورده الله دار الهوان ورب متخوض فى مال الله ورسوله له النار يوم القيامة يقول الله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا وابن حبان فى صحيحه لا يدخل الجنة لحم ودم نبتا من سحت والنار أولى به والترمذى لا يربو لحم نبت من سحت الا كانت النار أولى به والسحت بضم فسكون أو ضم الحرام وقيل الخبيث من المكاسب وفى رواية بسند حسن لا يدخل الجنة جسد غذى بحرام

(الباب التاسع والستون فى النهى عن الربا)

الآيات فى النهى عن الربا كثيرة ومن الاحاديث مارواه البخارى وأبو داود لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة وآكل الربا وموكله ونهى عن ثمن الكلب وكسب البغى ولعن المصورين وروى أحمد وأبو يعلى وابنا خزيمة وحبان فى صحيحيهما عن ابن مسعود رضى الله عنه قال آكل الربا وموكله وشاهداه وكاتبه اذا علموا به والواشمة والمستوشمة للحسن ولاوى

الصدقة والمرتد أعرابيا بعد الهجرة ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم والحاكم وصححه أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها مدمن الخمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين الربا ثلاث وسبعون بابا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه والبزار بسند رواته رواة الصحيح الربا بضع وسبعون بابا والشرك مثل ذلك والبيهقى الربا سبعون بابا أدناها الذى يقع على أمه والطبرانى فى الكبير عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله من ثلاث وثلاثين زنية يزنيها فى الاسلام وفى سنده انقطاع وروى ابن أبى الدنيا والبغوى وغيرهما موقوفا على عبد الله وهو الصحيح وهذا الموقوف فى حكم المرفوع لان كون الدرهم أعظم وزرا من هذا العدد المخصوص من الزنا لا يدرك الا بوحى فكأنه سمعه منه صلى الله عليه وسلم ولفظ الموقوف فى أحد طرقه قال عبد الله الربا اثنان وسبعون حوبا أى بضم المهملة وبفتحها اثما أصغرها حوبا كمن أتى أمه فى الاسلام ودرهم من الربا أشد من بضع وثلاثين زنية قال ويأذن الله للبر والفاجر بالقيام يوم القيامة الا آكل الربا فانه لا يقوم الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس وأحمد باسناد جيد عن كعب الاحبار قال لان أزنى ثلاثا وثلاثين زنية أحب الى من أن آكل درهم ربا يعلم الله انى أكلته حين أكلته ربا وأحمد بسند صحيح والطبرانى انه صلى الله عليه وسلم قال درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية وابن أبى الدنيا والبيهقى خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أمر الربا وعظم شأنه وقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله فى الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وان أربى الربا عرض الرجل المسلم والطبرانى فى الصغير والاوسط من أعان ظالما بباطل ليدحض به حقا فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن أكل درهما من ربا فهو مثل ثلاث وثلاثين زنية ومن نبت لحمه من سحت فالنار أولى به والبيهقى ان الربا نيف وسبعون بابا أهونهن بابا مثل من أتى أمه فى الاسلام ودرهم من ربا أشد من خمس وثلاثين زنية الحديث والطبرانى فى الاوسط من رواية عمرو بن راشد وقد وثق الربا اثنان وسبعون بابا أدناها مثل اتيان الرجل أمه وان أربى الربا استطالة الرجل فى عرض أخيه وابن ماجه والبيهقى عن أبى معشر وقد وثق عن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الربا سبعون حوبا أيسرها أن ينكح الرجل أمه والحاكم وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تشترى الثمرة حتى تطعم وقال اذا ظهر الزنا والربا فى قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله وأبو يعلى باسناد جيد عن ابن مسعود رضى الله عنه انه ذكر حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فيه ماظهر فى قوم الزنا والربا الا أحلوا بأنفسهم عذاب الله وأحمد باسناد فيه نظر مامن قوم يظهر فيهم الربا الا أخذوا بالسنة ومامن قوم يظهر فيهم الرشا الا أخذوا بالرعب والسنة العام المقحط نزل فيه غيث أم لا وأحمد فى حديث طويل وابن ماجه مختصرا والاصبهانى رأيت ليلة أسرى بى لما انتهينا الى السماء السابعة فنظرت فوقى فاذا أنا برعد وبروق وصواعق قال فأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم قلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء أكلة الربا والاصبهانى عن

أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما عرج بي الى السماء نظرت في سماء الدنيا فاذا رجال بطونهم كأمثال البيوت العظام قد مالت بطونهم وهم منضدون على سابلة آل فرعون موقوفون على النار كل غداة وعشي يقولون ربنا لا تقم الساعة أبدا قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء أكلة الربا من أمتك لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قال الاصبهاني قوله منضدون أي مطروحون أي طرح بعضهم على بعض والسابلة المارة أي يطؤهم آل فرعون الذين يعرضون على النار كل غداة وعشي والطبراني بسند صحيح بين يدي الساعة يظهر الزنا والربا والخمر والطبراني بسند لا بأس به عن القاسم بن عبد الله الوراق قال رأيت عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه في سوق الصيارفة فقال يا معشر الصيارفة أبشروا قالوا بشرك الله بالجنة بم تبشرنا يا أبا محمد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للصيارفة أبشروا بالنار والطبراني اياك والذنوب التي لا تغفر الغلول فمن غل شيأ أتى به يوم القيامة وأكل الربا فمن أكل الربا بعث يوم القيامة مجنونا يتخبط ثم قرأ صلى الله عليه وسلم الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس والاصبهاني يأتي آكل الربا يوم القيامة مخبلا أي مجنونا يجر شقيه ثم قرأ لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وابن ماجه والحاكم وصححه ما أحد أكثر من الربا الا كان عاقبة أمره الى قلة والحاكم وصححه أيضا الربا وان كثر فان عاقبته الى قل وأبو داود وابن ماجه كلاهما عن الحسن عن أبي هريرة واختلف في سماعه منه والجمهور على عدمه ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد الا آكل الربا فمن لم يأكله أصابه من غباره وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند والذي نفسي بيده ليبيتن أناس من أمتي على أشر وبطر ولهو ولعب فيصبحوا قردة وخنازير باستحلالهم المحارم واتخاذهم القينات وشربهم الخمر وبأكلهم الربا ولبسهم الحرير وأحمد مختصرا والبيهقي واللفظ له يبيت قوم من هذه الامة على طعم وشرب ولهو ولعب فيصبحون قد مسخوا قردة وخنازير وليصيبنهم خسف وقذف حتى يصبح الناس فيقولون خسف الليلة ببني فلان وخسف الليلة بدار فلان ولترسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قبائل منها وعلى دور بشربهم الخمر ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وأكلهم الربا وقطيعتهم الرحم وخصلة نسيها راويه القينات جمع قينة وهي المغنية

(الباب السبعون في حقوق العبد)

هي أن تسلم عليه اذا لقيته وتجيبه اذا دعاك وتشمته اذا عطس وتعوده اذا مرض وتشهد جنازته اذا مات وتبر قسمه اذا أقسم عليك وتنصح له اذا استنصحك وتحفظه بظهر الغيب اذا غاب عنك وتحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك ورد جميع ذلك في أخبار وآثار وقد روى أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أربع من حق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لمذنبهم وأن تدعو لمدبرهم وأن تحب تائبهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى رحماء بينهم قال يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم فاذا نظر الطالح الى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير

وثبته عليه وانفعنا به واذا نظر الصالح الى الطالح قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له عثرته ومنها أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل المؤمنين في توددهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالحمى والسهر وروى أبو موسى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ومنها أن لا يؤذي أحدا من المسلمين بفعل ولا قول قال صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال صلى الله عليه وسلم في حديث طويل يأمر فيه بالفضائل فان لم تقدر فدع الناس من الشر فانها صدقة تصدقت بها على نفسك وقال أيضا أفضل المسلمين من سلم المسلم من لسانه ويده وقال صلى الله عليه وسلم أتدرون من المسلم فقالوا الله ورسوله أعلم قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده قالوا فمن المؤمن قال من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم قالوا فمن المهاجر قال من هجر السوء واجتنبه وقال رجل يا رسول الله ما الاسلام قال أن يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك وقال مجاهد يسلط على أهل النار الجرب فيحتكون حتى يبدو عظم أحدهم من جلده فينادى يا فلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيقول هذا بما كنت تؤذي المؤمنين وقال صلى الله عليه وسلم لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين وقال أبو هريرة رضي الله عنه يا رسول الله علمني شيأ أنتفع به قال اعزل الاذى عن طريق المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم من زحزح عن طريق المسلمين شيأ يؤذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب الله له حسنة أوجب له بها الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم أن يشير الى أخيه بنظرة تؤذيه وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم أن يروع مسلما وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يكره أذى المؤمنين وقال الربيع بن خيثم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذه وجاهل فلا تجاهله ومنها أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فان الله لا يحب كل مختال فخور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ثم ان تفاخر عليه غيره فليحتمل قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وعن ابن أبي أوفى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتواضع لكل مسلم ولا يأنف ولا يتكبر أن يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي حاجته ومنها أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات وقال الخليل بن أحمد من نم لك نم عليك ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك ومنها أن لا يزيد في الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه قال أبو أيوب الانصاري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام وقد قال صلى الله عليه وسلم من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة قال عكرمة قال الله تعالى ليوسف بن يعقوب بعفوك عن اخوتك رفعت ذكرك في الدارين قالت عائشة رضي الله عنها ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما عفا رجل عن مظلمة الا زاده الله بها عزا وقال صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلا بعفو الا عزا وما من أحد تواضع لله الا رفعه الله

(الباب الحادى والسبعون فى ذم اتباع الهوى وفى بيان الزهد)

قال الله تعالى أرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم الآية قال ابن عباس ذلك الكافر اتخذ دينه بغير هدى من الله ولا برهان والمعنى هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه اليه ولا يعمل بكتاب الله فكأنه يعبد هواه وقال تعالى ولا تتبع أهواءهم وقال تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ولذلك استعاذ صلى الله عليه وسلم منه بقوله اللهم انى أعوذ بك من هوى مطاع وشح متبع وقال ثلاث مهلكات هوى مطاع وشح متبع واعجاب المرء بنفسه وذلك لان كل معصية سببها هوى النفس فهو يقود الى النار أعاذنا الله منه قال بعض العارفين اذا بدهك أمران لا تدرى فى أيهما الصواب فانظر أيهما أقرب الى هواك فخالفه وفى هذا المعنى قال الشافعى رضى الله عنه

اذا حار أمرك فى معنيين * ولم تدر حيث الخطا والصواب
فخالف هواك فان الهوى * يقود النفوس الى ما يعاب

وقال العباس اذا اشتبه عليك رأيان فدع أحبهما اليك وخذ أثقلهما عليك وأصله أن الامر الخفيف يسهل عليك موقعه ويقرب موضعه وتخف مؤنته وتأتى معونته فيشره المرء اليه وتحرص النفس عليه والامر الثقيل يصعب موقعه ويبعد موضعه وتبطئ معونته فتكسل النفس عنه وتكره التعب به روى عن عمر رضى الله عنه انه قال اقدعوا هذه الانفس فانها طلعة تنزع بكم الى شر غاية ان هذا الحق ثقيل مرىء وان الباطل خفيف وبىء وترك الخطيئة أيسر من معالجة التوبة ورب نظرة زرعت شهوة ولذة ساعة أورثت حزنا طويلا وقال لقمان لابنه يا بنى أول ما أحذرك من نفسك فان لكل نفس هوى وشهوة فان أعطيتها شهوتها تمادت وطلبت سواها فان الشهوة كامنة فى القلب كمون النار فى الحجر ان قدح أورى وان ترك توارى قال بعضهم

اذا ما أجبت النفس فى كل دعوة * دعتك الى الامر القبيح المحرم

(وقال آخر)

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى * الى كل ما فيه عليك مقال
وقال غيره واعلم بأنك لن تسود ولن ترى * طرق الرشاد اذا اتبعت هواك
وقال اذا شئت اتيان المحامد كلها * ونيل الذى ترجوه من رحمة الرب
فخالف هوى النفس المسيئة انه * لأعدى وأردى من هوى الحب
هما سيا حتف الهوى غير أن فى * هوى الحب مهما عف بعدا عن الذنب
وجل المعاصى فى هوى النفس فاعتمد * خلاف الذى تهواه ان كنت ذا لب
وقال انارة العقل مكسوف بطوع هوى * وعقل عاصى الهوى يزداد تنويرا

(وقال الفضل بن العباس)

لقد ترفع الايام من كان جاهلا * ويردى الهوى ذا الرأى وهو لبيب
وقد تحمد الناس الفتى وهو مخطئ * ويعذل فى الاحسان وهو مصيب

وقال صلى الله عليه وسلم خلق الله العقل وقال له أقبل فاقبل وقال له أدبر فادبر فقال وعزتى وجلالى لاركبتك الا فى أحب الخلق الى وخلق الحمق فقال له أقبل فأقبل وقال له أدبر فأدبر فقال وعزتى وجلالى لاركبتك الا فى أبغض الخلق الى رواه الترمذى ولله در من قال

وقد أصاب رأيه عين الصواب * من استشار عقله فى كل باب
وقد رأى ان الهوى مهما يجب * يدعو الى سوء العواقب والعقاب

وأنشد آخر

اذا شئت أن تحظى وأن تبلغ المنى * فلا تسعد النفس المطيعة للهوى
وخالف بها عن مقتضى شهواتها * واياك أن تحفل بمن ضل أو غوى
ودعها وما تدعو اليه فانها * لأمارة بالسوء من هم أو هدى
لعلك أن تنجو من النار انها * لقاطعة الامعاء نزاعة الشوى

ومن منثور رهم الهوى مركب ذميم يسير بك فى ظلمات الفتن ومرتع وخيم يقعدك فى مواطن المحن فلا تحملنك شهوة النفس على ركوب المذمات والقعود فى مواطن الخطيآت قيل لبعضهم لو تزوجت قال لو قدرت أن أطلق نفسى اطلقتها وأنشد

تجرد من الدنيا فانك انما * سقطت الى الدنيا وأنت مجرد

الدنيا نوم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن فى أضغاث أحلام من نظر بعين الهوى حار ومن حكم على الهوى جار ومن أطال النظر لم يدرك الغاية وليس لناظر نهاية * أوصى بعض الحكماء رجلا فقال آمرك بمجاهدة هواك فان الهوى مفتاح السيآت وخصيم الحسنات وكل أهوائك لك عدو وأهواها هوى يمثل لك الاثم فى صورة التقوى ولن تفصل بين هذه الخصوم اذا تناظرت لديك الا بحزم لا يشوبه وهن وصدق لا يطمع فيه تكذيب ومضاء لا يقاربه التثبط وصبر لا يغتاله جزع ونية لا يتقسمها التضييع اللهم اجعل عقولنا غالبة على هوانا ولا تذقنا ضرا ولا هوانا ولا تشغلنا بدنيانا عن أخرانا واجعلنا ذاكرين لك شاكرين لنعمك بجاه نبيك محمد سيدنا ومولانا صلى الله عليه وسلم والحمد لله على ما أولانا * قال صلى الله عليه وسلم خير دينكم الورع وقال سيد العمل الورع وقال كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وقال صلى الله عليه وسلم من لم يكن له ورع يصده عن معصية الله اذا خلا لم يعبأ الله بشىء من عمله قال ابراهيم بن أدهم الزهد ثلاث مقامات فزهد فرض وهو الكف عن المحارم وزهد سلامة وهو ترك الشبهات وزهد فضل وهو الزهد فى الحلال وهذا تفسير حسن قال ابن المبارك الزهد اخفاء الزهد اذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه واذا طلب الناس فاهرب منه وما أحسن قول القائل

انى وجدت فلا تظنن غيره * أن التورع عند هذا الدرهم
فاذا قدرت عليه ثم تركته * فاعلم بأن تقاك تقوى المسلم

وليس الزاهد من زهد فى الدنيا وقد أعرضت عنه وانما الزاهد من أقبلت عليه فزوى عنها وجهه وآثر الفرار منها كما قال أبو تمام

اذا المرء لم يزهد وقد صبغت له * بعصفرها الدنيا فليس بزاهد

وقال بعض الحكماء مالنا لانزهد فى الدنيا وعمرها أمد وخيرها نكد وصفوها كدر وأمانها غرر ان أقبلت تشجى وان أدبرت تردى قال

تبا لطالب دنيا لابقاء لها * كأنما هى فى تصريفها حلم
صفاؤها كدر سراؤها ضرر * أمانها غرر أنوارها ظلم
شبابها هرم راحاتها سقم * لذاتها ندم وجدانها عدم
لايستفيق من الانكاد صاحبها * لو كان يملك ماقد ضمنت ارم
نغفل عنها ولاتركن لزهرتها * فانها نعم فى طيها نقم
واعمل لدار نعيم لانفادلها * ولايخاف بها موت ولاهرم

ومن حكم يحيى بن معاذ ليكن نظرك الى الدنيا اعتبارا ورفضك لها اختيارا وسعيك فيها اضطرارا وطلبك الآخرة ابتدارا

(الباب الثانى والسبعون فى صفة الجنة ومراتب أهلها)

اعلم ان تلك الدار التى عرفت همومها وغمومها وهى النار تقابلها دار أخرى فتأمل نعيمها وسرورها فان من بعد من احداهما استقر لامحالة فى الاخرى فاستأثر الخوف من قلبك بطول الفكر فى أهوال الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر فى النعيم المقيم الموعود لاهل الجنان وسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء الى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الاليم فتفكر فى أهل الجنة وفى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم جالسين على منابر الياقوت الاحمر فى خيام من اللؤلؤ الرطب الابيض فيها بسط من العبقرى الاخضر متكئين على الارائك منصوبة على اطراف انهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كأنهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان يمشين فى درجات الجنان اذا اختالت احداهن فى مشيها حمل أعطافها سبعون ألفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الابيض ماتتحير فيه الابصار متوجات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان شكلات غنجات عطرات آمنات من الهرم والبؤس مقصورات فى الخيام فى قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون فى مقام أمين فى جنات وعيون فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الملك الكريم وقد أشرقت فى وجوههم نضرة النعيم لايرهقهم قتر ولاذلة بل عباد مكرمون وبأنواع التحف من ربهم يتعاهدون فهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لايخافون فيها ولايحزنون وهم من ريب المنون آمنون فهم فيها يتنعمون ويأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها لبنا وخمرا وعسلا وماء غير آسن أراضيها من فضة وحصباؤها مرجان وترابها مسك أذفر ونباتها زعفران ويمطرون من سحاب فيها من ماء النسرين على كثبان الكافور ويؤتون بأكواب أى أكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج به

السلسبيل العذب وكوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته لم يصنعه آدمى فيقصر فى تسوية صنعته وتحسين صناعته فى كف خادم يحكى ضياء وجهه الشمس فى اشراقها ولكن من أين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن أصداغه وملاحة أحداقه فياعجبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بأنه لايموت أهلها ولاتحل الفجائع بمن نزل بفنائها ولاتنظر الاحداث بعين التغيير الى أهلها كيف يأنس بدار قد أذن الله فى خرابها ويتهنأ بعيش دونها والله لو لم يكن فيها الا سلامة الابدان مع الامن من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف الحدثان لكان جديرا بأن يهجر الدنيا بسببها وأن لايؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورته كيف وأهلها ملوك آمنون وفى أنواع السرور ممتعون لهم فيها كل مايشتهون وهم فى كل يوم بفناء العرش يحضرون والى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر من الله مالا ينظرون معه الى سائر نعيم الجنان ولايلتفتون وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يترددون ومن زوالها آمنون قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى مناد ياأهل الجنة ان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وان لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وان لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا فذلك قوله عز وجل ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ومهما أردت أن تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن فليس وراء بيان الله تعالى بيان واقرأ من قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان الى آخر سورة الرحمن واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور وان أردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الاخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد أن اطلعت على جملتها وتأمل أولا (عدد الجنان) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما وجنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما ومابين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن ثم انظر الى أبواب الجنة فانها كثيرة بحسب أصول الطاعات كما أن أبواب النار بحسب أصول المعاصى قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق زوجين من ماله فى سبيل الله دعى من أبواب الجنة كلها وللجنة ثمانية أبواب فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد فقال أبو بكر رضى الله عنه والله ماعلى أحد من ضرورة من أيها دعى فهل يدعى أحد منها كلها قال نعم وأرجو أن تكون منهم وعن عاصم بن ضمرة عن على كرم الله وجهه انه ذكر النار فعظم أمرها ذكرا لا أحفظه ثم قال وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا انتهوا الى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا الى احداهما كما أمروا به فشربوا منها فأذهبت مافى بطونهم من أذى أو بأس ثم عمدوا الى الاخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلا تتغير أشعارهم بعدها أبدا ولا تشعث رؤسهم كأنما دهنوا بالدهان ثم انتهوا الى الجنة فقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما تطيف ولدان أهل الدنيا بالحبيب يقدم عليهم من غيبة يقولون له أبشر أعد الله لك من الكرامة كذا قال فينطلق غلام من أولئك الولدان الى بعض أزواجه من الحور العين

فيقول قد جاء فلان باسمه الذى كان يدعى به فى الدنيا فتقول أنت رأيته فيقول أنا رأيته وهو باثرى فيستخفها الفرح حتى تقوم الى أسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى أساس بنيانه فاذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أحمر وأخضر وأصفر من كل لون ثم يرفع رأسه فينظر الى سقفه فاذا هو مثل البرق ولولا أن الله تعالى اقدره لألم بان يذهب بصره ثم يطأطئ رأسه فاذا ازواجه وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة ثم اتكأ فقال الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ثم ينادى مناد تحيون فلا تموتون أبدا وتقيمون فلا تظعنون أبدا وتصحون فلا تمرضون أبدا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتى يوم القيامة باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لا أفتح لاحد قبلك * ثم تأمل الآن فى غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فان الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وكما أن بين الناس فى الطاعات الظاهرة والاخلاق الباطنة المحمودة تفاوتا ظاهرا فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر فان كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى فقد أمر الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال تعالى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون والعجب أنه لو تقدم عليك اقرانك أو جيرانك بزيادة درهم أو بعلو بناء ثقل عليك ذلك أو ضاق به صدرك وتنغص بسبب الحسد عيشك وأحسن أحوالك أن تستقر فى الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها فقد قال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب الغائر فى الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقال أيضا ان أهل الدرجات العلا ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع فى أفق من آفاق السماء وان أبا بكر وعمر منهم وأنعما وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أحدثكم بغرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليك بأبينا أنت وامنا قال ان فى الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قلت يا رسول الله ولمن هذه الغرف قال لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال أمتى تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقى أخاه فسلم عليه فقد أفشى السلام ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة فى جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام يعنى اليهود والنصارى والمجوس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ومساكن طيبة فى جنات عدن قال قصور من لؤلؤ فى كل قصر سبعون دارا من ياقوت أحمر فى كل دار سبعون بيتا من زمرذ أخضر فى كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام فى كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن فى كل غداة يعنى من القوة ما يأتى على ذلك اجمع

(الباب الثالث والسبعون فى الصبر والرضا والقناعة)

أما فضل الرضا من الآيات فقوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه وقد قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان ومنتهى الاحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى وقال تعالى ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر فكما أن مشاهدة المذكور فى الصلاة أكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطلب سكان الجنان وفى الحديث ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلونى فيقولون رضاك فسؤالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل وأما رضا العبد فسنذكر حقيقته وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه فى حب الله للعبد ولا يجوز أن يكشف عن حقيقته اذ تقصر أفهام الخلق عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بادراكه من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه فانما سألوا الرضا لانه سبب دوام النظر فكأنهم رأوه غاية الغايات وأقصى الامانى لما ظفروا بنعيم النظر فلما أمروا بالسؤال لم يسألوا الا دوامه وعلموا أن الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقال الله تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه يأتى أهل الجنة فى وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين احداها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم فى الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية فضلا وهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله تعالى انى عنكم راض فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى ورضوان من الله أكبر أى من النعيم الذى هم فيه فهذا فضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد * وأما فضله من الاخبار فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من أصحابه ما أنتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وفى خبر آخر أنه قال حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء وفى الخبر طوبى لمن هدى للاسلام وكان رزقه كفافا ورضى به وقال صلى الله عليه وسلم من رضى من الله تعالى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى منه بالقليل من العمل وقال تعالى اذا أحب الله تعالى عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضى اصطفاه وقال أيضا اذا كان يوم القيامة أنبت الله تعالى لطائفة من أمتى أجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون فيها كيف شاؤا فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حسابا فتقول لهم هل جزتم الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فتقول لهم هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيأ فتقول الملائكة من أمة من أنتم فيقولون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فتقول نشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم فى الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا هذه المنزلة بفضل رحمة الله فيقولون وما هما فيقولون كنا اذا خلونا نستحى أن نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وفى أخبار موسى عليه

السلام ان بنى اسرائيل قالوا هسل لنا ربك أمرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى عليه السلام الهى قد سمعت ما قالوا فقال ياموسى قل لهم يرضون عنى حتى أرضى عنهم (وأما فضل الصبر) فقد ذكر فى القرآن فى نيف وتسعين موضعا وأضاف أكثر الدرجات والخيرات الى الصبر وجعلها ثمرة له وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات فى مقام الصبر يطول *(وأما الاخبار)* فقد قال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان وقال صلى الله عليه وسلم من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولأن تصبر وا على ما أنتم عليه أحب الىّ من أن يوافينى كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكنى أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدى فينكر بعضكم بعضا وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم الآية وروى جابر أنه سئل صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال أيضا الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل مرة ما الايمان فقال الصبر وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة معناه معظم الحج عرفة وقال أيضا صلى الله عليه وسلم أفضل الاعمال ما أكرهت عليه النفوس وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام تخلق بأخلاقى وان من أخلاقى أنى أنا الصبور وفى حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فقال عمر نعم يارسول الله قال وما علامة ايمانكم قالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وسلم فى الصبر على ما تكره خير كثير وقال المسيح عليه السلام انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين والاخبار فى هذا لا تحصى وقال صلى الله عليه وسلم عز من قنع وذل من طمع وقال صلى الله عليه وسلم القناعة كنز لا يفنى وتقدم الكلام على القناعة مرارا

(الباب الرابع والسبعون فى فضل التوكل)

فمن الآيات قوله تعالى ان الله يحب المتوكلين وأعظم بمقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله تعالى ملابسه فمن الله تعالى حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب ومن الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود رأيت الامم فى الموسم فرأيت أمتى قد ملؤا السهل والجبل فأعجبتنى كثرتهم وهيئتهم فقيل لى أرضيت قلت نعم قيل ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يارسول الله قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة وقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وقال صلى الله عليه وسلم لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو

خماصا وتروح بطانا وقال صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما فى يديه ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا الى الصلاة ويقول بهذا أمرنى ربى عز وجل قال عز وجل وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها الآية وقال صلى الله عليه وسلم لم يتوكل من استرقى واكتوى وروى انه لما قال جبريل لابراهيم عليهما السلام وقد رمى الى النار بالمنجنيق ألك حاجة قال أما اليك فلا وفاء بقوله حسبى الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين أخذ ليرمى فأنزل الله تعالى وابراهيم الذى وفى وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ياداود ما من عبد يعتصم بى دون خلقى فتكيده السموات والارض الا جعلت له مخرجا وقال سعيد بن جبير لدغتنى عقرب فأقسمت علىّ أمى لتسترقين فناولت الراقى يدى التى لم تلدغ وقرأ الخواص قوله تعالى وتوكل على الحىّ الذى لا يموت الى آخرها فقال ما ينبغى للعبد بعد هذه الآية أن يلجأ الى أحد غير الله تعالى وقيل لبعض العلماء فى منامه من وثق بالله تعالى فقد أحرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما قد كتب الله لك وقال يحيى بن معاذ فى وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد وقال ابراهيم بن أدهم سألت بعض الرهبان من أين تأكل فقال لى ليس هذا العلم عندى ولكن سل ربى من أين يطعمنى وقال هرم بن حيان لأويس القرنى أين تأمرنى أن أكون فأومأ الى الشأم قال هرم كيف المعيشة قال أويس أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا نسأل الله تعالى حسن الادب

(الباب الخامس والسبعون فى فضل المسجد)

قال الله عز وجل انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وقال صلى الله عليه وسلم من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له قصرا فى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من ألف المسجد ألفه الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس وقال صلى الله عليه وسلم لا صلاة لجار المسجد الا فى المسجد وقال صلى الله عليه وسلم الملائكة تصلى على أحدكم ما دام فى مصلاه الذى يصلى فيه تقول اللهمّ صل عليه اللهمّ ارحمه اللهمّ اغفر له ما لم يحدث أو يخرج من المسجد وقال صلى الله عليه وسلم يأتى فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل فى بعض الكتب ان بيوتى فى أرضى المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور أن يكرم زائره وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان وقال سعيد بن المسيب من جلس فى المسجد فانما يجالس ربه فما حقه أن يقول الا خيرا ويروى فى الاثر أو الخبر الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهائم الحشيش وقال النخعى كانوا

يرون أن المشى فى الليلة المظلمة الى المسجد موجب للجنة وقال أنس بن مالك من أسرج فى المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له مادام فى ذلك المسجد ضوؤه وقال على كرم الله وجهه اذا مات العبد يبكى عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وقال ابن عباس تبكى عليه الارض أربعين صباحا وقال عطاء الخراسانى مامن عبد يسجد لله سجدة فى بقعة من بقاع الارض الا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقال أنس بن مالك مامن بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر الا افتخرت على ماحولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل الى منتهاها من سبع أرضين ومامن عبد يقوم يصلى الا تزخرفت له الارض ويقال مامن منزل ينزل فيه قوم الا أصبح ذلك المنزل يصلى عليهم أو يلعنهم

(الباب السادس والسبعون فى الرياضة وفضل أهل الكرامة)

اعلم ان الله عز وجل اذا أراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فاذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى فى عين أخيه ولا يرى الجذع فى عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق *(الاول) أن يجلس بين يدى شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه فى نفسه ويتبع اشارته فى مجاهدته وهذا شأن المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز فى هذا الزمان وجوده *(الثانى) أن يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فما كره من أخلاقه وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الاكياس والاكابر من أئمة الدين كان عمر رضى الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى الى عيوبى وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذى بلغك عنى مما تكرهه فاستعفى فألح عليه فقال بلغنى انك جمعت بين ادامين على مائدة وأن لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل قال وهل بلغك غير هذا قال لا فقال أما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنافقين فهل ترى على شيأ من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه رضى الله عنه فكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصبا كان أقل اعجابا وأعظم اتهاما لنفسه الا أن هذا أيضا قد عز فقل فى الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو فى أصدقائك عن حسود أو صاحب غرض يرى ماليس بعيب عيبا أو عن مداهن يخفى عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائى قد اعتزل الناس فقيل له لم لا تخالط الناس فقال وماذا أصنع بأقوام يخفون عنى عيوبى فكانت شهوة ذوى الدين أن يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد آل الامر فى أمثالنا الى أن أبغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد هذا أن يكون مفصحا عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة فلو نبهنا منبه على أن تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بازالة العقرب وابعادها وقتلها وانما نكايتها على البدن ويدوم ألمها يوما فما دونه ونكاية الاخلاق

الرديئة على صميم القلب أخشى أن تدوم بعد الموت أبدا أو آلافا من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقالته فنقول له وأنت أيضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التى أثمرتها كثرة الذنوب وأصل كل ذلك ضعف الايمان فنسأل الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوبنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله (الطريق الثالث) أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فان عين السخط تبدى المساوى ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثنى عليه ويمدحه ويخفى عنه عيوبه الا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل مايقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فان مساويه لابد وان تنتشر على ألسنتهم (الطريق الرابع) أن يخالط الناس فكل مارآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها اليه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة فى اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شئ منه فليتفقد نفسه ويطهرها عن كل مايذمه من غيره وناهيك بهذا تأديبا فلو ترك الناس كلهم مايكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب (قيل) لعيسى عليه السلام من أدبك قال ما أدبنى أحد رأيت جهل الجاهل شينا فاجتنبته وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا زكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا فى الدين فارغا من تهذيب نفسه مشتغلا بتهذيب عباد الله تعالى ناصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذى يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذى هو بصدده (واعلم) أن ماذكرناه ان تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين فان عجزت عن ذلك فلا ينبغى أن يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقى والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان درجة كما أن للعلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فمن صدق بأن مخالفة الشهوات هو الطريق الى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا واذا اطلع على ماذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذى يقتضى الايمان بهذا الامر فى القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصر قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى وقال تعالى أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع منها محبة الشهوات وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين أن النفس عدو منازع يجب عليه مجاهدتها ويروى أن الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام ياداود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عنى محجوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قيل يارسول الله وما الجهاد الاكبر قال جهاد النفس وقال صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم كف

أذالـعن نفسك ولاتتابع هواها فى معصية الله تعالى اذا تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا الا أن يغفر الله تعالى و يستر وقال سفيان الثورى ماعالجت شيأ أشد على من نفسى مرة لى ومرة على وكان أبو عباس الموصلى يقول لنفسه يانفس لافى الدنيا مع أبناء الملوك تتنعمين ولافى طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كأنى بك بين الجنة والنار تحبسين يانفس ألا تستحين وقال الحسن ما الدابة الجموح بأحوج الى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازى جاهد نفسك بأسياف الرياضة والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شئ أشد من الحلم عند الجفا والصبر على الاذى واذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بأيدى الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن من بوائقها من بين سائر الانام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول فى ميدان الخيرات وتسير فى مسالك الطاعات كالفرس الفاره فى الميدان وكالملك المتنزه فى البستان وقال أيضا أعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حب شهواتها محصورا فى سجن هواها مقهورا مغلولا زمامه فى يدها تجره حيث شاءت فتمنع قلبه من الفوائد وقال جعفر بن حميد أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم لايدرك الا بترك النعيم وقال أبو يحيى الوراق من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس فى قلبه شجر الندامات وقال وهيب بن الورد مازاد على الخبز فهو شهوة وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل (ويروى) أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد أن ملك خزائن الارض وقعدت له على رابية الطريق فى يوم موكبه وكان يركب فى زهاء اثنى عشر ألفا من عظماء مملكته سبحان من جعل الملوك عبيدا بالمعصية وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم له ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وذلك جزاء المفسدين وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه انه من يتق ويصبر فان الله لايضيع أجر المحسنين (وقال الجنيد) أرقت ليلة فقمت الى وردى فلم أجد الحلاوة التى كنت أجدها فأردت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطق الجلوس فخرجت فاذا رجل ملتف فى عباءة مطروح على الطريق فلما أحس بى قال يا أبا القاسم الى الساعة فقلت ياسيدى من غير موعد فقال بلى سألت الله عز وجل أن يحرك لى قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال فمتى يصير داء النفس دواها فقلت اذا خالفت النفس هواها فأقبل على نفسه فقال اسمعى فقد أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت أن تسمعيه الا من الجنيد ها قد سمعتيه ثم انصرف وماعرفته وقال يزيد الرقاشى اليكم عنى الماء البارد فى الدنيا لعلى لا أحرمه فى الآخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى متى أتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال متى أصمت قال اذا اشتهيت الكلام وقال على رضى الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن

الشهوات فى الدنيا

(الباب السابع والسبعون فى الايمان والنفاق)

اعلم ان كمال الايمان الذى هو التصديق بوحدانية الله تعالى و بما جاءت به الرسل صلوات الله عليهم بزيادة الاعمال قال الله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون وقال الله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد ثم قال تعالى أولئك الذين صدقوا وقد قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وقال تعالى لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل الآية وقد قال تعالى هم درجات عند الله وقال صلى الله عليه وسلم الايمان عريان ولباسه التقوى الحديث وقال صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون بابا أدناها اماطة الاذى عن الطريق فهذا مايدل على ارتباط كمال الايمان بالاعمال وأما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفى فقوله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم أنه مؤمن من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفى بعض الروايات واذا عاهد غدر وفى حديث أبى سعيد الخدرى القلوب أربعة قلب أجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأى المادتين غلب عليه حكم له بها وفى لفظ آخر غلبت عليه ذهبت به وقال عليه السلام أكثر منافقى هذه الامة قراؤها وفى الحديث الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا وقال حذيفة رضى الله عنه كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا الى أن يموت وانى لأسمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يرى أنه برىء من النفاق وقال حذيفة المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فكانوا اذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الايمان وكماله وهو خفى وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه برىء منه فقد قيل للحسن البصرى يقولون انه لانفاق اليوم فقال يا أخى لو هلك المنافقون لاستوحشتم فى الطريق وقال هو أو غيره لو نبتت للمنافقين أذناب ماقدرنا ان نطأ على الارض بأقدامنا وسمع ابن عمر رضى الله عنه رجلا يتعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا يسمع أكنت تتكلم فيه فقال لا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم من كان ذا لسانين فى الدنيا جعله الله ذا لسانين فى الآخرة وقال أيضا صلى الله عليه وسلم شر الناس ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه ويأتى هؤلاء بوجه وقيل للحسن ان قوما يقولون انا لانخاف النفاق فقال والله لان أكون أعلم انى برىء من النفاق أحب الى من تلاع الارض ذهبا وقال الحسن ان من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة رضى الله عنه انى أخاف أن أكون منافقا فقال لو كنت منافقا ماخفت النفاق ان المنافق قد أمن من

النفاق وقال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين ومائة وفي رواية خمسين ومائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه فبيناهم كذلك اذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نعله بيده وبين عينيه أثر السجود فقالوا يارسول الله هو هذا الرجل الذي وصفناه فقال صلى الله عليه وسلم أرى على وجهه سفعة من الشيطان فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نشدتك الله هل حدثت نفسك حين أشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم فقال صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اني أستغفرك لما علمت ولما لم أعلم فقيل له أتخاف يارسول الله فقال وما يؤمنني والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال سبحانه وتعالى وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون قيل في التفسير عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فكانت في كفة السيئات وقال سرى السقطي لو أن انسانا دخل بستانا فيه من جميع الاشجار عليها من جميع الطيور فخاطبه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك ياولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان أسيرا في يديها فهذه الاخبار والآثار تعرفك خطر الامر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي وانه لا يؤمن منه حتى كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وانه هل ذكر في المنافقين وقال أبو سليمان الداراني سمعت من بعض الامراء شيأ فأردت أن أنكره فخفت أن يأمر بقتلي ولم أخف من الموت ولكن خشيت أن يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحي فكففت وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وصفاءه لا أصله فالنفاق نفاقان أحدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخلدين في النار والثاني يفضي بصاحبه الى النار مدة أو ينقص من درجات عليين ويحط من رتبة الصديقين

(الباب الثامن والسبعون في النهي عن الغيبة والنميمة)

أما الغيبة فقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وقال عليه السلام كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم وقال أبو برزة قال عليه السلام لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا وعن جابر وأبي سعيد قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا فان الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسرى بي على أقوام يخمشون وجوههم بأظافيرهم فقلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم وقال سليمان بن جابر أتيت النبي عليه الصلاة والسلام فقلت علمني خيرا أنتفع به فقال لا تحقرن من المعروف شيأ ولو أن تصب من دلوك في اناء المستقي وان تلقى أخاك ببشر حسن وان أدبر فلا تغتبنه وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق في بيوتهن فقال يامعشر من آمن بلسانه

ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته وقيل أوحى الله الى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار وقال أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم فقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس حتى اذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول يارسول الله ظللت صائما فأذن لي لأفطر فيأذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يارسول الله فتاتان من أهلي ظلتا صائمتين وانهما يستحيان أن يأتياك فأذن لهما أن يفطرا فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال انهما لم يصوما وكيف يصوم من ظل نهاره يأكل لحوم الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين أن يستقيئا فرجع اليهما فأخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال والذي نفسي بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار وفي رواية انه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يارسول الله انهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال صلى الله عليه وسلم ائتوني بهما فجاءتا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فقال لاحداهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للاخرى قيئي فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احداهما الى الاخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس وقال أنس خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأربى الربا عرض الرجل المسلم (وأما النميمة) فهي خصلة ذميمة قال الله تعالى هماز مشاء بنميم ثم قال عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك الزنيم ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث وأشار به الى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد زنا استنباطا من قوله عز وجل عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعي وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة النمام وقال تعالى حمالة الحطب قيل انها كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان وامرأة نوح تخبر أنه مجنون وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وفي حديث آخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبكم الى الله أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وان أبغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبرآء العثرات وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يشينه بها يوم القيامة في النار وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي فقالت سعد من دخلني فقال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس

لايسكنك مدمن خمر ولامصر على الزنا ولاقتات وهو النمام ولاديوث ولاشرطى ولا مخنث ولاقاطع رحم ولاالذى يقول على عهد الله ان لم أفعل كذاوكذا ثم لم يف به وروى كعب الاحبار أن بنى اسرائيل أصابهم قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فاسقوا فأوحى الله تعالى اليه انى لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة فقال موسى يارب من هو دلنى عليه حتى أخرجه من بيننا قال ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما فتابوا جميعا فسقوا ويقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ فى سبع كلمات فلما قدم عليه قال انى جئتك للذى آتاك الله تعالى من العلم أخبرنى عن السماء وما أثقل منها وعن الارض وما أوسع منها وعن الصخر وما أقسى منه وعن النار وما أحر منها وعن الزمهرير وما أبرد منه وعن البحر وما أغنى منه وعن اليتيم وما أذل منه فقال له الحكيم البهتان على البرىء أثقل من السموات والحق أوسع من الارض والقلب القانع أغنى من البحر والحرص والحسد أحر من النار والحاجة الى القريب اذا لم تنجح أبرد من الزمهرير وقلب الكافر أقسى من الحجر والنمام اذا بان أمره أذل من اليتيم وما أحسن قول الشاعر

من نم فى الناس لم تؤمن عقاربه * على الصديق ولم تؤمن أفاعيه

كالسيل بالليل لايدرى به أحد * من أين جاء ولا من أين يأتيه

الويل للعهد منه كيف ينقضه * والويل للود منه كيف ينفيه

(وقول الآخر)

يسعى عليك كما يسعى اليك فلا * تأمن غوائل ذى وجهين كياد

(الباب التاسع والسبعون فى بيان عداوة الشيطان)

قال صلى الله عليه وسلم فى القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء الآية وقال الحسن انما هما همان يجولان فى القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله تعالى أمضاه وما كان من عدوه جاهده وقال جابر بن عبيدة العدوى شكوت الى العلاء بن زياد ما أجد فى صدرى من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذى يمر به اللصوص فان كان فيه شىء عالجوه والا مضوا وتركوه يعنى أن القلب الخالى عن الهوى لايدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لاعبد الله ولذلك سلط الله عليه الشيطان وقال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وهو اشارة الى أن من الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الهوى لاعبد الله ولذلك قال عمرو بن العاص للنبى صلى الله عليه وسلم يارسول الله حال الشيطان بينى وبين صلاتى وقراءتى فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عنى وفى الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولايمحو وسوسة الشيطان من القلب الاذكر ما سوى ما يوسوس به لانه اذا

قوله لمة بفتح اللام وتشديد الميم المفتوحة أى مس كما فى القاموس

خطر فى القلب ذكر شىء انعدم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شىء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به يجوز أيضا أن يكون مجالا للشيطان وذكر الله هو الذى يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولايعالج الشىء الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبرى عن الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وذلك لايقدر عليه الا المتقون الغالب عليهم ذكر الله تعالى وانما الشيطان يطوف عليهم فى أوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال مجاهد فى معنى قول الله تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على القلب فاذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فان هو ذكر الله تعالى خنس وان نسى الله تعالى التقم قلبه وقال ابن وضاح فى حديث ذكره اذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان وجهه بيده وقال بأبى وجه من لايفلح وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية فى لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى اخبارا عن ابليس لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له بطريق الاسلام فقال أتسلم وتترك دينك ودين آبائك فعصاه وأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر أتدع أرضك وسماءك فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال أتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه وجاهد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة

(الباب الثمانون فى بيان المحبة ومحاسبة النفس)

قال سفيان المحبة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء فى الدنيا وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة فأما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب عن ادراكه وتمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وقال ذو النون قل لمن أظهر حب الله احذر أن تذل لغير الله وقيل للشبلى رحمه الله صف لنا العارف والمحب فقال العارف ان تكلم هلك والمحب ان سكت هلك وأنشد الشبلى رحمه الله

يا أيها السيد الكريم * حبك بين الحشا مقيم

يارافع النوم عن جفونى * أنت بما مربى عليم

ولغيره

عجبت لمن يقول ذكرت الفى * وهل أنسى فاذكر مانسيت
أموت اذا ذكرتك ثم أحيا * ولولا حسن ظنى ماحييت
فاحيا بالمنى وأموت شوقا * فكم أحيا عليك وكم أموت
شربت الحب كأسا بعد كأس * فانفد الشراب ومارويت
فليت خياله نصب لعينى * فان قصرت فى نظرى عميت

وقالت رابعة العدوية يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت خادمة لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه وقال ابن الجلاء رحمه الله تعالى أوحى الله الى عيسى عليه السلام انى اذا اطلعت على سر عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبى وتوليته بحفظى وقيل تكلم سمنون يوما فى المحبة فاذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى سال الدم منه فمات وقال ابراهيم بن أدهم الهى انك تعلم أن الجنة لاتزن عندى جناح بعوضة فى جنب ما أكرمتنى من محبتك وآنستنى بذكرك وفرغتنى للتفكر فى عظمتك وقال السرى رحمه الله من أحب الله عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح فى لاش والعاقل عن عيوبه فتاش (وأما محاسبة النفس) فقد أمر الله بها بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد وهذه اشارة الى المحاسبة على مامضى من الاعمال ولذلك قال عمر رضى الله تعالى عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وفى الخبر أنه عليه السلام جاءه رجل فقال يارسول الله أوصنى فقال أمستوص أنت فقال نعم قال اذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فان كان رشدا فأمضه وان كان غيا فانته عنه وفى الخبر وينبغى للعاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وقال تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون والتوبة نظر فى الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم انى لاستغفر الله تعالى وأتوب اليه فى اليوم مائة مرة وقال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه كان يضرب قدميه بالدرة اذا جنه الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم وعن ميمون بن مهران انه قال لايكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن أبا بكر رضوان الله عليه قال لها عند الموت ما أحد من الناس أحب الى من عمر ثم قال لها كيف قلت فأعادت عليه ماقال فقال لا أحد أعز على من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها وحديث أبى طلحة حين شغله الطائر فى صلاته فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تعالى ندما ورجاء للعوض مما فاته وفى حديث ابن سلام انه حمل حزمة من حطب فقيل له يا أبا يوسف قد كان فى بيتك وغلمانك مايكفونك هذا فقال أردت أن أجرب نفسى هل تنكره وقال الحسن المؤمن قوام على نفسه يحاسبها لله وانما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم فى الدنيا وانما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الامر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال ان المؤمن يفجؤه الشئ يعجبه فيقول والله

انك لتعجبنى وانك لمن حاجتى ولكن هيهات حيل بينى وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشئ فيرجع الى نفسه فيقول ماذا أردت بهذا والله لا أعذر بهذا والله لا أعود لهذا أبدا ان شاء الله (وقال أنس بن مالك) سمعت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يوما وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطا فسمعته يقول وبينى وبينه جدار وهو فى الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ والله لتتقين الله أو ليعذبنك وقال الحسن فى قوله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوامة قال لايلقى المؤمن الا يعاتب نفسه ماذا أردت بكلمتى ماذا أردت بأكلتى ماذا أردت بشربتى والفاجر يمضى قدما لايعاتب نفسه وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى رحم الله عبدا قال لنفسه ألست صاحبة كذا ألست صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائدا وهذا من معاتبة النفس وقال ميمون بن مهران التقى أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح وقال ابراهيم التيمى مثلت نفسى فى الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها ثم مثلت نفسى فى النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلالها فقلت لنفسى يانفس أى شئ تريدين فقالت أريد أن أرد الى الدنيا فأعمل صالحا قلت فأنت فى الامنية فاعملى وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب الى غيره رحم الله امرأ أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به رحم الله امرأ نظر فى مكياله رحم الله امرأ نظر فى ميزانه فمازال يقول حتى أبكانى وحكى صاحب للاحنف بن قيس قال كنت أصحبه فكان عامة صلاته بالليل الدعاء وكان يجىء الى المصباح فيضع اصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه ياحنيف ماحملك على ماصنعت يوم كذا ماحملك على ماصنعت يوم كذا

(الباب الحادى والثمانون فى بيان تلبيس الحق بالباطل)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه معقل بن يسار يأتى على الناس زمان يخلق فيه القرآن فى قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان أمرهم كله يكون طمعا لاخوف معه ان أحسن أحدهم قال يتقبل منى وان أساء قال يغفر لى فأخبر أنهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن ومافيه وبمثله أخبر عن النصارى اذ قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا ومعناه انهم ورثوا الكتاب أى هم علماء ويأخذون عرض هذا الادنى أى شهواتهم من الدنيا حراما كان أو حلالا وقد قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد والقرآن من أوله تحذير وتخويف لايتفكر فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا بمافيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها وكأنهم يقرؤن شعرا من أشعار العرب لايهمهم الالتفات الى معانيه والعمل بمافيه وهل فى العالم غرور يزيد على هذا ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاص الا أن معاصيهم أكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنهم ترجح كفة حسناتهم مع أن مافى كفة السيآت أكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون مايتناول

من أموال المسلمين والشبهات أضعافه واعل ماتصدق به هو من أموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن أن أكل ألف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحرام أو الحلال وماهو الا كمن وضع عشرة دراهم فى كفة ميزان وفى الكفة الاخرى ألفا وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله ومنهم من يظن أن طاعاته أكثر من معاصيه لانه لايحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذى يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله فى اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق أعراضهم ويتكلم بما لايرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد سبحته انه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذى لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة أو ألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة فقال ما يلفظ من قول الالديه رقيب عتيد فهذا أبدا يتأمل فى فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ماورد من عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين الذين يظهرون من الكلام مالا يضمرونه الى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمرى لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذى زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته ومانطق به فى فتراته كان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجرة نسخه فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على قيراط يفوته فى الاجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا من فوت الفردوس الاعلى ونعيمه ماهذه الامصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى أمر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فماهذه أعمال من يصدق بما جاء به القرآن وانا نبرأ الى الله أن نكون من أهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب أن يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالا على أباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى والله أعلم

(الباب الثانى والثمانون فى فضل صلاة الجماعة)

قال صلى الله عليه وسلم صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم فقد ناسا فى بعض الصلوات فقال لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم أخالف الى رجال يتخلفون عنها فأحرق عليهم بيوتهم وفى رواية أخرى ثم أخالف الى رجال يتخلفون عنها فآمر بهم فتحرق عليهم بيوتهم بحزم الحطب ولو علم أحدهم أنه يجد عظما سمينا أو مرماتين لشهدها يعنى صلاة العشاء وقال عثمان رضى الله عنه مرفوعا من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة وقال صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة فى جماعة فقد ملأ نحره عبادة وقال سعيد بن المسيب ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة الا وأنا فى المسجد وقال محمد بن واسع ما أشتهى من الدنيا الا ثلاثة أخا ان تعوجت قومنى وقوتا من الرزق عفوا بغير تبعة وصلاة فى جماعة يرفع عنى سهوها ويكتب لى فضلها وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أم قوما مرة فلما انصرف قال مازال الشيطان بى آنفا حتى أريت أن لى فضلا على غيرى لا أؤم أبدا وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء وقال النخعى مثل

الذى يؤم الناس بغير علم مثل الذى يكيل الماء فى البحر لا يدرى زيادته من نقصانه وقال حاتم الاصم فاتتنى الصلاة فى الجماعة فعزانى أبو اسحق البخارى وحده ولو مات لى ولد لعزانى أكثر من عشرة آلاف لان مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس رضى الله عنهما من سمع المنادى فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خير وقال أبو هريرة رضى الله عنه لأن تملأ أذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع النداء ثم لا يجيب وروى أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقيل له ان الناس قد انصرفوا فقال انا لله وانا اليه راجعون لفضل هذه الصلاة أحب الى من ولاية العراق وقال صلى الله عليه وسلم من صلى أربعين يوما الصلوات فى جماعة لا تفوته فيها تكبيرة الاحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار ويقال انه اذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدرى فتقول لهم الملائكة ما كانت أعمالكم فيقولون كنا اذا سمعنا الاذان قمنا الى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم تحشر طائفة وجوههم كالاقمار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الاذان فى المسجد وروى أن السلف كانوا يعزون أنفسهم ثلاثة أيام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى ويعزون سبعا اذا فاتتهم الجماعة

(الباب الثالث والثمانون فى فضل صلاة الليل)

أما من الآيات فقوله تعالى ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل الآية وقوله تعالى ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا وقوله سبحانه وتعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل الآية وقوله عز وجل والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة قيل هى قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس (ومن الاخبار) قوله صلى الله عليه وسلم يعقد الشيطان على قافية أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان وفى الخبر انه ذكر عنده رجل ينام كل الليل حتى يصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان فى أذنه وفى الخبر ان للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فاذا أسعط العبد ساء خلقه واذا ألعقه ذرب لسانه بالشر واذا ذره نام الليل حتى يصبح وقال صلى الله عليه وسلم ركعتان يركعهما العبد فى جوف الليل خير له من الدنيا ومافيها ولولا أن أشق على أمتى لفرضتهما عليهم وفى الصحيح عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا الا أعطاه اياه وفى رواية يسأل الله خيرا من الدنيا والآخرة وذلك فى كل ليلة وقال المغيرة بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه فقيل له أما قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا ويظهر من معناه أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة فان الشكر سبب المزيد قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقال صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك يا أبا هريرة صل فى زوايا بيتك يكن نور بيتك فى السماء كنور الكواكب والنجم عند أهل

الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم فان قيام الليل قربة الى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم وقال صلى الله عليه وسلم ما من امرئ تكون له صلاة بالليل فغلبه عليها النوم الا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه وقال صلى الله عليه وسلم لابى ذر لو أردت سفرا أعددت له عدة قال نعم قال فكيف سفر طريق القيامة ألا أنبئك يا أباذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبى أنت وأمى قال صم يوما شديدا الحر ليوم النشور وصل ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الامور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها وروى أنه كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم رجل اذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلى ويقرأ القرآن ويقول يارب النار أجرنى منها فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال اذا كان ذلك فآذنونى فأتاه فاستمع فلما أصبح قال يا فلان هلا سألت الله الجنة قال يارسول الله انى لست هناك ولا يبلغ عملى ذاك فلم يلبث الا يسيرا حتى نزل جبرائيل عليه السلام وقال أخبر فلانا أن الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة ويروى أن جبرائيل عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلى بالليل فأخبره النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل قال نافع كان يصلى بالليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول لا فيقوم لصلاته ثم يقول يا نافع أسحرنا فيقول نعم فيقعد فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر وقال على بن أبى طالب شبع يحيى ابن زكريا عليهما السلام ليلة من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى اليه يا يحيى أوجدت دارا خيرا لك من دارى أم وجدت جوارا خيرا لك من جوارى فوعزتى وجلالى يا يحيى لو اطلعت الى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت الى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الجلد بعد المسوح وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلى بالليل فاذا أصبح سرق فقال سينهاه ما يعمل وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فان أبت نضح فى وجهها الماء وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى فان أبى نضحت فى وجهه الماء وقال صلى الله عليه وسلم من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم من نام عن حزبه أو عن شئ منه بالليل فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل قيل كان الامام البخارى رضى الله عنه كثيرا ما يتمثل بهذين البيتين

اغتنم فى الفراغ فضل ركوع * فعسى أن يكون موتك بغته

كم صحيح رأيت من غير سقم * خرجت نفسه الصحيحة فلته

(الباب الرابع والثمانون فى عقوبة علماء الدنيا)

ونعنى بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند أهلها قال صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وعنه

صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال صلى الله عليه وسلم العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم فى القلب فذلك العلم النافع وقال صلى الله عليه وسلم يكون فى آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال صلى الله عليه وسلم لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو فى النار وقال صلى الله عليه وسلم من كتم علما عنده ألجمه الله بلجام من نار وقال صلى الله عليه وسلم لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذلك فقال من الائمة المضلين وقال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال عيسى عليه السلام الى متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وغيره من الاخبار يدل على عظيم خطر العلم فان العالم اما متعرض لهلاك الابد أو لسعادة الابد وانه بالخوض فى العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك السعادة وقال عمر رضى الله عنه ان أخوف ما أخاف على هذه الامة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن رحمه الله لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجرى فى العمل مجرى السفهاء وقال رجل لابى هريرة رضى الله عنه أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال كفى بترك العلم اضاعة له وقيل لابراهيم بن عيينة أى الناس أطول ندما قال أما فى عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره وأما عند الموت فعالم مفرط وقال الخليل بن أحمد الرجال أربعة رجل يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذلك نائم فأيقظوه ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى فذلك مسترشد فأرشدوه ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك جاهل فارفضوه وقال سفيان الثورى رحمه الله يهتف العلم بالعمل فان أجابه والا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل وقال الفضيل بن عياض رحمه الله انى لارحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر وعالما تلعب به الدنيا وقال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وأنشدوا

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى * ومن يشترى دنياه بالدين أعجب

وأعجب من هذين من باع دينه * بدنيا سواه فهو من ذين أعجب

وقال صلى الله عليه وسلم ان العالم ليعذب عذابا يطيف به أهل النار استعظاما لشدة عذابه أراد به العالم الفاجر وقال أسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه وانما يضاعف عذاب العالم فى معصيته لانه عصى عن علم ولذلك قال الله عز وجل ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار لانهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع انهم ما جعلوا لله سبحانه ولدا ولا قالوا انه ثالث ثلاثة الا أنهم أنكروا بعد المعرفة اذ قال الله تعالى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وقال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقال تعالى فى قصة بلعام بن باعوراء واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين حتى

قال فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فكذلك العالم الفاجر فان بلعام أوتى كتاب الله تعالى فاخلد الى الشهوات فشبه بالكلب أى سواء أوتى الحكمة أولم يؤت فهو يلهث الى الشهوات وقال عيسى عليه السلام مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لاهى تشرب الماء ولاهى تترك الماء يخلص الى الزرع

(الباب الخامس والثمانون فى فضل حسن الخلق)

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ثم قال صلى الله عليه وسلم هو أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق وقال صلى الله عليه وسلم أثقل ما يوضع فى الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق فأتاه من قبل يمينه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم أتاه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم أتاه من ورائه فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت اليه وقال أما تفقه هو أن لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشؤم قال سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصنى فقال اتق الله حيث كنت قال زدنى قال أتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدنى قال خالق الناس بخلق حسن وسئل عليه السلام أى الاعمال أفضل قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق عبد وخلقه فيطعمه النار وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهى سيئة الخلق تؤذى جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هى من أهل النار وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول ما يوضع فى الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الايمان قال اللهم قونى فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قونى فقواه بالبخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما وقال عليه السلام حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل يا رسول الله أى المؤمنين أفضل ايمانا قال أحسنهم خلقا وقال صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال أيضا صلى الله عليه وسلم سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا وعن أبى سعيد البدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء فيقول اللهم انى أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كرم المؤمن دينه وحسبه حسن خلقه ومروءته عقله وعن

اسامة بن شريك قال شهدت الاعاريب يسألون النبى صلى الله عليه وسلم يقولون ما خير ما أعطى العبد قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ان أحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم يكن فيه أو واحدة منهن فلا تعتدوا بشئ من عمله تقوى تحجزه عن معاصى الله وحلم يكف به السفيه أو خلق يعيش به بين الناس وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم فى افتتاح الصلاة اللهم اهدنى لاحسن الاخلاق لا يهدى لاحسنها الا أنت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها الا أنت وقيل فيم التجمل قال فى لطف الكلام واظهار البشر والابتسام فمن لقى الناس بالاحسان وعاملهم بالاخلاق الحسان فهو الذى يخف عليهم جانبه ويحمد اخاؤه كما قال

اذا حويت خصال الخير أجمعها * فضلا وعاملت كل الناس بالحسن
لم تعدم الخير من ذى العرش تحرزه * والشكر من خلقه فى السر والعلن

(الباب السادس والثمانون فى الضحك والبكاء واللباس)

قال بعض المفسرين فى قوله تعالى أفمن هذا الحديث أى القرآن تعجبون منه تكذيبا وتضحكون منه استهزاء مع كونه من عند الله تعالى ولا تبكون خوفا وانزجارا لما فيه من الوعيد وأنتم سامدون لاهون غافلون عما يطلب منكم قال لما نزلت هذه الآية فما ضحك النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك الا أن يتبسم وفى لفظ فما رؤى النبى صلى الله عليه وسلم ضاحكا ولا متبسما حتى ذهب من الدنيا وعن ابن عمر رضى الله عنه قال خرج النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم من المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فوقف وسلم عليهم ثم قال أكثروا ذكر هاذم اللذات ثم خرج بعد ذلك مرة أخرى فاذا قوم يضحكون فقال أما والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما أراد الخضر أن يفارق موسى عليهما السلام قال له عظنى قال يا موسى اياك واللجاجة ولا تمش بغير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك وقال صلى الله عليه وسلم كثرة الضحك تميت القلب وقال صلى الله عليه وسلم من ضحك لشبابه بكى لهرمه ومن ضحك لغناه بكى لفقره ومن ضحك لحياته بكى لموته وقال صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن الحسن فى قوله تعالى فليضحكوا قليلا أى فى الدنيا وليبكوا كثيرا فى الآخرة جزاء بما كانوا يكسبون وقال أيضا يا عجبا من ضاحك ومن ورائه النار ومن مسرور ومن ورائه الموت ومر رضى الله عنه بشاب يضحك فقال له يا بنى هل جزت على الصراط قال لا قال هل تبين لك انك تصير الى الجنة قال لا قال ففيم الضحك فما رؤى الشاب ضاحكا بعد ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما من أذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكى ومدح الله تعالى أقواما بالبكاء فقال تعالى ويخرون للاذقان يبكون وعن الاوزاعى فى قوله تعالى مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها قال الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال صلى الله عليه وسلم كل عين باكية يوم القيامة الا ثلاثا عين بكت من خشية الله وعين غضت عن محارم الله وعين سهرت فى سبيل الله تعالى ويقال ثلاثة أشياء تقسى القلب الضحك من غير عجب والاكل من غير جوع والكلام فى غير حاجة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يلبس من الثياب ماوجد من ازار أورداء أوقميص أوجبة أوغير ذلك وكان يعجبه الثياب الخضر وكان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم وكان له صلى الله عليه وسلم قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار فوق ذلك الى نصف الساق ولقد كان له كساء أسود فوهبه فقالت له ام سلمة بأبى أنت وأمى مافعل ذلك الكساء الاسود فقال كسوته فقالت مارأيت شيأ قط كان أحسن من بياضك على سواده وكان صلى الله عليه وسلم اذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذى كسانى ماأوارى به عورتى وأتجمل به فى الناس واذا نزع ثوبه أخرجه من مياسره وكان اذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول مامن مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه الا لله الا كان فى ضمان الله وحرزه وخيره ماواراه حيا وميتا وكانت له صلى الله عليه وسلم عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى طاقين تحته وكان ينام على الحصير ليس تحته شئ غيره

(الباب السابع والثمانون فى فضل القرآن وفضل العلم والعلماء)

قال صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر من عظمة الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم مامن شفيع أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن وقال صلى الله عليه وسلم أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن وقال صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم العلم وعلمه وقال صلى الله عليه وسلم ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد فقيل يارسول الله وماجلاؤها فقال تلاوة القرآن وذكر الموت وقال الفضيل بن عياض حامل القرآن حامل راية الاسلام فلا ينبغى أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن وقال أيضا من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسى ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء (وأما فضل العلم والعلماء) فالاحاديث الواردة فى ذلك كثيرة قال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده وقال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء ومعلوم أنه لا رتبة فوق رتبة النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الناس المؤمن العالم الذى اذا احتيج اليه نفع وان استغنى عنه أغنى نفسه وقال صلى الله عليه وسلم أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ماجاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ماجاءت به الرسل وقال صلى الله عليه وسلم لموت قبيلة أيسر من موت عالم وقال صلى الله عليه وسلم يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء وقال صلى الله عليه وسلم لا يشبع عالم من علم حتى يكون منتهاه الجنة وقال صلى الله عليه وسلم هلاك أمتى فى شيئين ترك العلم وجمع المال وقال صلى الله عليه وسلم كن عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامسة أى مبغضا فتهلك وقال صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء ومن أمثال الحكماء من طلب العلم للرياسة فقد عدم التوفيق والسياسة قال تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وقال الشافعى رضى الله عنه من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن تعلم الفقه جل مقداره ومن تعلم الحديث قويت حجته ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن تعلم الغريب رق طبعه ومن لم يعز

نفسه

نفسه لم ينفعه علمه وقال الحسن بن على رضى الله عنهما من أكثر مجالسة العلماء أطلق عقال لسانه وفتق مراتق ذهنه وسره ماوجد من الزيادة فى نفسه وكانت له ولاية لما يعلم وافادة لما تعلم وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله عبدا حظر عليه العلم وقال صلى الله عليه وسلم لا فقر أشد من الجهل

(الباب الثامن والثمانون فى فضل الصلاة والزكاة)

اعلم ان الله تعالى جعل الزكاة احدى مبانى الاسلام وأردف بذكرها الصلاة التى هى أعلى الاعلام فقال تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة الحديث وشدد الوعيد على المقصرين فيهما فقال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون وتقدم الكلام على ذلك مستوفى وقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ومعنى الانفاق فى سبيل الله اخراج الزكاة *(فائدة)* يستحب أن يطلب لصدقته أتقياء الفقراء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة فان ذلك يربو به المال قال صلى الله عليه وسلم لا تأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك الا تقى وذلك لان التقى يستعين به على التقوى فتكون شريكاله فى طاعته باعانتك اياه وكان بعض العلماء يؤثر بالصدقة فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل فقال لا هؤلاء قوم هممهم لله سبحانه فاذا طرقتهم فاقة تشتت همة أحدهم فلأن أرد همة واحد الى الله عز وجل أحب الى من أن أعطى ألفا ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولى من أولياء الله تعالى وقال ماسمعت منذ زمان كلاما أحسن من هذا ثم حكى ان هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء ثمن مايبتاعونه وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه أهل العلم فقيل له لو عممت فقال انى لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم أفضل وان يخص ذوى العاهات لا سيما ذوى الارحام والاقارب فتكون صدقة وصلة رحم وفى صلة الرحم مالا يحصى من الاجر كما مر فى بابه وان يخرج الصدقة سرا ليسلم من شؤم الرياء ومن اذلال المعطى فى الملأ قال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفئ غضب الرب وذكر فى حديث السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ماأعطت يمينه نعم ان كان فى اظهار الصدقة خير كأن كان يقتدى به غيره فلا بأس ان سلم من الرياء وتجنب الامتنان كما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فآفة المعروف المن بل يؤثر كتمانه ويستعمل نسيانه كما يجب على من صنع له معروف نشره ويتعين عليه شكره كما فى الحديث لا يشكر الله من لا يشكر الناس وما أحسن قول القائل

يد المعروف غنم حيث كانت * تحملها كفور أو شكور
ففى شكر الشكور لها جزاء * وعند الله ما كفر الكفور

(الباب التاسع والثمانون في بر الوالدين وحقوق الاولاد)

لايخفى انه اذاتأكدحق القرابة والرحم فأخص الارحام وأمسها الولادة فيتضاعف تأكدالحق فيها وقد قال صلى الله عليه وسلم لن يجزى ولدوالده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقد قال صلى الله عليه وسلم برّ الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله وقد قال صلى الله عليه وسلم من أصبح مرضيا لابويه أصبح له بابان مفتوحان الى الجنة ومن أمسى فمثل ذلك وان كان واحدا فواحد وان ظلما وان ظلما وان ظلما ومن أصبح مسخطا لابويه أصبح له بابان مفتوحان الى النار ومن أمسى فمثل ذلك وان كان واحدا فواحد وان ظلما وان ظلما وان ظلما وقال صلى الله عليه وسلم ان الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وقال صلى الله عليه وسلم برّ أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك (ويروى) ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام ياموسى انه من بر والديه وعقنى كتبته بارا ومن برنى وعق والديه كتبته عاقا (وقيل) لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يقم له فأوحى الله اليه أتتعاظم أن تقوم لابيك وعزتى وجلالى لاأخرجت من صلبك نبيا وقال صلى الله عليه وسلم ما على أحد اذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شئ وقال مالك بن ربيعة بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال يارسول الله هل بقى على من برّ أبوى شئ أبرّهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التى لاتوصل الا بهما وقال صلى الله عليه وسلم ان من أبر البر أن يصل الرجل أهل ودّ أبيه بعد أن يولى الاب وقال صلى الله عليه وسلم برّ الوالدة على الولد ضعفان وقال صلى الله عليه وسلم دعوة الوالدة أسرع اجابة قيل يارسول الله ولم ذاك قال هى أرحم من الاب ودعوة الرحم لاتسقط وسأله رجل فقال يارسول الله من أبر فقال بر والديك فقال ليس لى والدان فقال بر ولدك كما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله والدا أعان ولده على برّه أى لم يحمله على العقوق بسوء عمله وقال صلى الله عليه وسلم ساووا بين أولادكم فى العطية وقد قيل ولدك ريحانتك تشمها سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك أو شريكك وقال أنس رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين أدب فاذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة فاذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه وقال عليه السلام كل غلام رهين أو رهينة بعقيقة تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه وقال قتادة اذا ذبحت العقيقة أخذت صوفة منها فاستقبلت بها أوداجها ثم توضع على يافوخ الصبى حتى يسيل منه مثل الخيط ثم يغسل رأسه ويحلق بعد وجاء رجل الى عبد الله بن المبارك فشكا اليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال أنت أفسدته ويستحب الرفق بالولد رأى الاقرع بن حابس النبى صلى

الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لى عشرة من الولد ماقبلت واحدا منهم فقال عليه السلام ان من لايرحم لايرحم وقالت عائشة رضى الله عنها قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اغسلى وجه أسامة فجعلت أغسله وأنا أنفة فضرب يدى ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد أحسن بنا اذ لم تكن له جارية وتعثر الحسن والنبى صلى الله عليه وسلم على منبره فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة وقال عبد الله بن شداد بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بالناس اذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر فلما قضى صلاته قالوا قد أطلت السجود يارسول الله حتى ظننا أنه قد حدث أمر فقال ان ابنى قد ارتحلنى فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته وفى ذلك فوائد احداها القرب من الله تعالى فان العبد أقرب مايكون من الله تعالى اذا كان ساجدا وفيه الرفق بالولد والبر وتعليم لامته وقال صلى الله عليه وسلم ريح الولد من ريح الجنة وقال يزيد بن معاوية أرسل أبى الى الاحنف بن قيس فلما وصل اليه قال له يا أبا بحر ماتقول فى الولد قال يا أمير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة فان طلبوا فأعطهم وان غضبوا فأرضهم يمنحوك ودّهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا ثقيلا فيملوا حياتك ويودّوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معاوية لله أنت يا أحنف لقد دخلت علىّ وأنا مملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الاحنف من عنده رضى عن يزيد وبعث اليه بمائتى ألف درهم ومائتى ثوب فارسل يزيد الى الاحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب فقاسمه اياها على الشطر

(الباب التسعون فى حقوق الجوار والاحسان للمساكين)

اعلم أن الجوار يقتضى حقا وراء ماتقتضيه أخوة الاسلام فيستحق الجار المسلم مايستحقه كل مسلم وزيادة اذ قال النبى صلى الله عليه وسلم الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار الذى له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم وأما الذى له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام وأما الذى له حق واحد فالجار المشرك فانظر كيف أثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار وقد قال صلى الله عليه وسلم أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وقال النبى صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال صلى الله عليه وسلم لايؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه وقال صلى الله عليه وسلم أول خصمين يوم القيامة جاران وقال عليه السلام اذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيته (ويروى) أن رجلا جاء الى ابن مسعود رضى الله عنه فقال له ان لى جارا يؤذينى ويشتمنى ويضيق علىّ فقال اذهب فان هو عصى الله فيك فأطع الله فيه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها فقال صلى الله عليه وسلم هى فى النار وجاء رجل اليه عليه السلام يشكو جاره فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اصبر ثم قال له فى الثالثة والرابعة اطرح متاعك فى الطريق قال فجعل الناس يمرون به ويقولون مالك فيقال آذاه جاره قال

فجعلوا يقولون لعنه الله فجاءه جاره فقال له ردّ متاعك فوالله لا أعود (و روى الزهرى) ان رجلا أتى النبى عليه الصلاة والسلام فجعل يشكو جاره فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن ينادى على باب المسجد ألا ان أربعين دارا جار قال الزهرى أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأومأ الى أربع جهات وقال عليه السلام اليمن والشوم فى المرأة والمسكن والفرس فيمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها ويمن المسكن سعته وحسن جوار أهله وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله ويمن الفرس ذله وحسن خلقه وشؤمه صعوبته وسوء خلقه (واعلم) أنه ليس حق الجوار كف الاذى فقط بل احتمال الاذى أيضا فان الجار اذا كف أذاه فليس فى ذلك قضاء حق ولا يكفى احتمال الاذى بل لابد من الرفق واسداء الخير والمعروف اذ يقال ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامة فيقول يارب سل هذا لم منعنى معروفه وسدّ بابه دونى (و بلغ ابن المقفع) أن جارا له يبيع داره فى دين ركبه وكان يجلس فى ظل داره فقال ماقمت اذا بحرمة ظل داره ان باعها معدما فدفع اليه ثمن الدار وقال لا تبعها * وشكا بعضهم كثرة الفار فى داره فقيل له لو اقتنيت هرا فقال أخشى أن يسمع الفار صوت الهر فيهرب الى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم مالا أحب لنفسى (وجملة حق الجار) أن يبدأه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عليه السؤال ويعوده فى المرض ويعزيه فى المصيبة ويقوم معه فى العزاء ويهنئه فى الفرح ويظهر الشركة فى السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يتطلع من السطح الى عوراته ولا يضايقه فى وضع الجذع على جداره ولا يصب الماء فى ميزابه ولا يطرح التراب فى فنائه ولا يضيق طريقه الى الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره ويستر ما ينكشف له من عوراته وينعشه من صرعته اذا نابته نائبة ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاما ويغض بصره عن حرمته ولا يديم النظر الى خادمته ويتلطف بولده فى كلمته ويرشده الى ما يجهله من أمر دينه ودنياه هذا الى جملة الحقوق التى لعامة المسلمين وقد قال صلى الله عليه وسلم أتدرون ما حق الجار ان استعان بك أعنته وان استنصرك نصرته وان استقرضك أقرضته وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات تبعت جنازته وان أصابه خير هنأته وان أصابته مصيبة عزيته ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه ولا تؤذه واذا اشتريت فاكهة فأهد له فان لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا أن تغرف له منها ثم قال أتدرون ما حق الجار والذى نفسى بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله هكذا رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مجاهد كنت عند عبد الله بن عمرو وغلام له يسلخ شاة فقال يا غلام اذا سلخت الشاة فابدأ بجارنا اليهودى حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول فى هذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه وقال هشام كان الحسن لا يرى بأسا أن تطعم الجار اليهودى والنصرانى من أضحيتك وقال أبو ذر رضى الله عنه أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم وقال اذا طبخت قدرا فأكثر ماءها ثم انظر بعض أهل بيت فى جيرانك فاغرف لهم منها

(الباب الحادى والتسعون فى عقوبة شارب الخمر)

قد أنزل الله فى الخمر ثلاث آيات الاولى قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الآية فكان من المسلمين شارب وتارك الى أن شرب رجل فدخل فى الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر رضى الله عنه فأخذ لحى بعير وشج بها رأس عبد الرحمن ابن عوف ثم قعد ينوح على قتلى بدر فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مغضبا يجر رداءه فرفع شيأ كان فى يده فضربه به فقال أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فأنزل الله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر الآية فقال عمر رضى الله عنه انتهينا انتهينا ومن الاخبار المتفقة على تحريمها قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة مدمن خمر وقوله صلى الله عليه وسلم أول ما نهانى ربى بعد عبادة الاوثان عن شرب الخمر وملاحاة الرجال وقوله صلى الله عليه وسلم ما من قوم اجتمعوا على مسكر فى الدنيا الا جمعهم الله فى النار فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون يقول أحدهم للآخر يا فلان لا جزاك الله عنى خيرا فأنت الذى أوردتنى هذا المورد فيقول له الآخر مثل ذلك وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من شرب الخمر فى الدنيا سقاه الله من سم الاساود شربة يتساقط منها لحم وجهه فى الاناء قبل أن يشربها فاذا شربها يتساقط لحمه وجلده يتأذى به أهل النار ألا ان شاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها شركاء فى اثمها لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوما ولا حجا حتى يتوبوا فان ماتوا قبل التوبة كان حقا على الله أن يسقيهم بكل جرعة شربوها فى الدنيا من صديد جهنم ألا وان كل مسكر حرام وكل خمر حرام (ذكر ابن أبى الدنيا) انه مر بسكران وهو يبول فى يده ويغسل به يده كهيئة المتوضئ ويقول الحمد لله الذى جعل الاسلام نورا والماء طهورا وعن العباس بن مرداس انه قيل له فى الجاهلية لم لا تشرب الخمر فانها تزيد فى حرارتك فقال ما أنا بآخذ جهلى بيدى فأدخله فى جوفى ولا أرضى ان أصبح سيد قومى وأمسى سفيههم وروى البيهقى عن ابن عمر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا أم الخبائث فانه كان رجل ممن كان قبلكم يتعبد ويعتزل الناس فعلقته امرأة فأرسلت اليه خادما انا ندعوك لشهادة فدخل فطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه حتى اذا أفضى الى امرأة وضيئة جالسة وعندها غلام وباطية فيها خمر فقالت انا لم ندعك لشهادة ولكن دعوتك لتقتل هذا الغلام وتقع على أو تشرب كأسا من الخمر فان أبيت صحت بك وفضحتك فلما رأى انه لابد له من ذلك قال اسقينى كأسا من الخمر فسقته فقال زيدينى فلم يزل حتى وقع عليها وقتل النفس فاجتنبوا الخمر فانه والله لا يجتمع ايمان وادمان الخمر فى صدر رجل أبدا ليوشكن أحدهما يخرج صاحبه وروى أحمد وابن حبان فى صحيحه عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان آدم لما أهبط الى الارض قالت الملائكة أى رب أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون قالوا ربنا نحن أطوع لك من بنى آدم قال الله تعالى للملائكة هلموا ملكين من الملائكة فننظر كيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت قال فأهبطا الى الارض فتمثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاآها فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الاشراك قالا والله لا نشرك بالله أبدا فذهبت عنهما ثم رجعت اليهما ومعها

صبي يحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تقتلا هذا الصبي فقالا لا والله لا نقتله أبدا فذهبت
ثم رجعت بقدح خمر تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تشربا هذه الخمرة فشربا فسكرا
فوقعا عليها وقتلا الصبي فلما أفاقا قالت المرأة والله ما تركتما من شيء أبيتما على الا فعلتماه حين
سكرتما فخيرا عند ذلك بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا وروى عن أم
سلمة رضى الله عنها قالت اشتكت بنت لى فنبذت لها فى كوز فدخل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يغلى قال ما هذا يا أم سلمة فذكرت له انى أداوى به ابنتى فقال صلى الله عليه وسلم ان الله
لم يجعل شفاء أمتى فيما حرم عليها وروى ان الله تعالى لما حرم الخمر سلب منها المنافع

(الباب الثانى والتسعون فى معراج النبى صلى الله عليه وسلم)

روى البخارى عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة ان نبى الله صلى الله عليه وسلم
حدثهم عن ليلة أسرى به قال بينما أنا فى الحطيم وربما قال فى الحجر مضطجعا اذ أتانى آت فقد
قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه فقلت للجار ودوهو الى جنبى ما يعنى به قال من ثغرة
نحره الى شعرته فاستخرج قلبى ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبى ثم حشى ثم أعيد
ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجارود هو البراق يا أبا حمزة قال أنس نعم
يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل
من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجىء
جاء ففتح فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال
مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ثم صعد بى حتى أتى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجىء جاء ففتح
لنا فلما خلصت اذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا
ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد بى الى السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجىء جاء
ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ
الصالح والنبى الصالح ثم صعد بى حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجىء جاء ففتح فلما خلصت اذا
ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح
ثم صعد بى حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد
قيل وقد أرسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجىء جاء فلما خلصت فاذا هرون قال هذا هرون
فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد بى حتى أتى السماء
السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قال
مرحبا به فنعم المجىء جاء فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال
مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكى لان غلاما بعث
بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى ثم صعد بى الى السماء السابعة فاستفتح

جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به
فنعم المجىء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد
على السلام فقال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها
مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى واذا أربعة أنهار نهران
باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال أما الباطنان فنهران فى الجنة وأما
الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم أتيت
باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخترت اللبن فقال هى الفطرة التى أنت عليها وأمتك
ثم فرضت على الصلوات خمسين صلاة كل يوم قال فرجعت فمررت على موسى فقال بم أمرت قال
فقلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وانى والله
قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف
لامتك فرجعت فوضع عنى عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشرا
فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت
فامرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات
كل يوم فرجعت الى موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال ان أمتك
لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وانى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد
المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال سألت ربى حتى استحييت منه ولكن
أرضى وأسلم قال فلما جاوزت نادانى مناد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى

(الباب الثالث والتسعون فى فضائل الجمعة)

اعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الاسلام وخصص به المسلمين قال الله تعالى اذا نودى للصلاة من
يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع فحرم الاشتغال بامور الدنيا وبكل صارف عن السعى
الى الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل فرض عليكم الجمعة فى يومى هذا فى مقامى هذا
وقال صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه وفى لفظ آخر فقد
نبذ الاسلام وراء ظهره واختلف رجل الى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة
ولا جماعة فقال فى النار فلم يزل يتردد اليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول فى النار وفى الخبر ان
أهل الكتابين اعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله تعالى له وأخره لهذه
الامة وجعله عيدا لهم فهم أولى الناس به سبقا وأهل الكتابين لهم تبع وفى حديث أنس عن
النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أتانى جبرائيل عليه السلام فى كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة
يفرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة
من دعا فيها بخير قسم له أعطاه الله سبحانه اياه أو ليس له قسم ذخر له ما هو أعظم منه أو تعوذ من
شر هو مكتوب عليه الا أعاذه الله عز وجل من أعظم منه وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه فى
الآخرة يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك عز وجل اتخذ فى الجنة واديا أفيح من المسك أبيض فاذا
كان يوم الجمعة نزل تعالى من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا الى وجهه الكريم وقال
صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه ادخل

الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة فى السماء وهو يوم النظر الى الله تعالى فى الجنة وفى الخبر ان الله عز وجل فى كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار وفى حديث أنس رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا سلمت الجمعة سلمت الايام وقال صلى الله عليه وسلم ان الجحيم تسعر فى كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس فى كبد السماء فلا تصلوا فى هذه الساعة الا يوم الجمعة فانه صلاة كله وان جهنم لا تسعر فيه وقال كعب ان الله عز وجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة ومن الليالى ليلة القدر ويقال ان الطير والهوام يلقى بعضها بعضا فى يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وقال صلى الله عليه وسلم من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر

(الباب الرابع والتسعون فى حق الزوجة على الزوج)

حقوق الزوجات على الازواج كثيرة منها حسن الخلق معهن واحتمال الأذى منهن ترحما عليهن لقصور عقلهن قال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف وقال فى تعظيم حقهن وأخذن منكم ميثاقا غليظا وقال والصاحب بالجنب قيل هى المرأة وآخر ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفى كلامه جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله فى النساء فانهن عوان فى أيديكم يعنى أسراء أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وقال عليه السلام من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون (واعلم) أنه ليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل وراجعت امرأة عمر رضى الله عنه عمر فى الكلام فقال أتراجعينى يا لكعاء فقالت ان أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت ان راجعته ثم قال لحفصة لا تغترى بابنة ابن أبى قحافة فانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من المراجعة وروى أنه دفعت احداهن فى صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها فقال عليه الصلاة والسلام دعيها فانهن يصنعن أكثر من ذلك وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلا بينهما أبا بكر رضى الله عنه حكما واستشهده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمين أو أتكلم فقالت بل تكلم أنت ولا تقل الا حقا فلطمها أبو بكر حتى دمى فوها وقال يا عدوة نفسها أو يقول غير الحق فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا ولا أردنا منك هذا وقالت له مرة فى كلام غضبت عنده أنت الذى تزعم أنك نبى الله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حلما وكرما وكان يقول لها انى لاعرف غضبك من رضاك قالت وكيف تعرفه قال اذا رضيت قلت لا واله محمد واذا غضبت قلت لا واله ابراهيم قالت صدقت انما أهجر اسمك ويقال ان أول حب وقع فى الاسلام حب النبى صلى الله عليه وسلم

لعائشة

لعائشة رضى الله عنها وكان يقول لها كنت لك كابى زرع لام زرع غير أنى لا أطلقك وكان يقول لنسائه لا تؤذينى فى عائشة فانه والله ما نزل على الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها وقال أنس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان ومنها أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزح والملاعبة فهى التى تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن وينزل الى درجات عقولهن فى الاعمال والاخلاق حتى روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يسابق عائشة فى العدو فسبقته يوما وسبقها فى بعض الايام فقال عليه السلام هذه بتلك وفى الخبر أنه كان صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس مع نسائه وقالت عائشة رضى الله عنها سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون فى يوم عاشوراء فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحبين أن ترى لعبهم قالت قلت نعم فأرسل اليهم فجاؤا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقنى على يده وجعلوا يلعبون وأنظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك وأقول اسكت مرتين أو ثلاثا ثم قال يا عائشة حسبك فقلت نعم فأشار اليهم فانصرفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله وقال عليه السلام خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائى وقال عمر رضى الله عنه مع خشونته ينبغى للرجل أن يكون فى أهله مثل الصبى فاذا التمسوا ما عنده وجد رجلا وقال لقمان رحمه الله ينبغى للعاقل أن يكون فى أهله كالصبى واذا كان فى القوم وجد رجلا وفى تفسير الخبر المروى ان الله يبغض الجعظرى الجواظ قيل هو الشديد على أهله المتكبر فى نفسه وهو أحد ما قيل فى معنى قوله تعالى عتل قيل العتل هو الفظ اللسان الغليظ القلب على أهله وقال عليه السلام لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك (ووصفت) اعرابية زوجها وقد مات فقالت والله لقد كان ضحوكا اذا ولج سكيتا اذا خرج آكلا ما وجد غير مسائل عما فقد ومنها أن لا ينبسط فى الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها الى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها بل يراعى الاعتدال فيه فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنمر وامتعض قال الحسن والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى الا كبه الله فى النار وقال عمر رضى الله عنه خالفوا النساء فان فى خلافهن البركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن وقد قال عليه السلام تعس عبد الزوجة وانما قال ذلك لانه اذا أطاعها فى هواها فهو عبدها وقد تعس فان الله ملكه المرأة فملكها نفسه فقد عكس الامر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال ولآمرنهم فليغيرن خلق الله اذ حق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعا وقد سمى الله الرجال قوامين على النساء وسمى الزوج سيدا فقال تعالى وألفيا سيدها لدى الباب فاذا انقلب السيد مسخرا فقد بدل نعمة الله كفرا ونفس المرأة على مثال نفسك ان أرسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا وان أرخيت عذارها فترا جذبتك ذراعا وان كبحتها وشددت يدك عليها فى محل الشدة ملكتها قال الشافعى رضى الله عنه ثلاثة ان أكرمتهم أهانوك وان أهنتهم أكرموك المرأة والخادم والنبطى أراد به ان محضت الاكرام ولم تمزج غلظك بلينك وفظاظتك برفقك

(الباب الخامس والتسعون فى حق الزوج على الزوجة)

والقول الشافى فيه أن النكاح نوع رق فهى رقيقة له فعليها طاعة الزوج مطلقا فى كل ما طلب منها فى نفسها مما لا معصية فيه وقد ورد فى تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وكان رجل قد خرج الى سفر وعهد الى امرأته أن لا تنزل من العلو الى السفل وكان أبوها فى الاسفل فمرض فأرسلت المرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن فى النزول الى أبيها فقال صلى الله عليه وسلم أطيعى زوجك فمات فاستأمرته فقال أطيعى زوجك فدفن أبوها فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها يخبرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها وقال صلى الله عليه وسلم اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها فأضاف طاعة الزوج الى مبانى الاسلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فقال حاملات والدات مرضعات رحيمات بأولادهن لولا ما يأتين الى أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اطلعت فى النار فاذا أكثر أهلها النساء فقلن لم يا رسول الله قال يكثرن اللعن ويكفرن العشير يعنى الزوج المعاشر وفى خبر آخر اطلعت فى الجنة فاذا أقل أهلها النساء فقلت أين النساء قال شغلهن الاحمران الذهب والزعفران يعنى الحلى ومصبغات الثياب وقالت عائشة رضى الله عنها أتت فتاة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى فتاة أخطب فأكره التزويج فما حق الزوج على المرأة قال لو كان من فرقه الى قدمه صديد فلحسته ما أدت شكره قالت أفلا أتزوج قال بلى تزوجى فانه خير وقال ابن عباس أتت امرأة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت انى امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج قال ان من حق الزوج على الزوجة اذا أرادها فراودها عن نفسها وهى على ظهر بعير لا تمنعه ومن حقه أن لا تعطى شيأ من بيته الا باذنه فان فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له ومن حقه أن لا تصوم تطوعا الا باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها وان خرجت من بيتها بغير اذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيته أو تتوب وقال صلى الله عليه وسلم لو أمرت أحدا ان يسجد لأحد لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها وقال صلى الله عليه وسلم أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها اذا كانت فى قعر بيتها وان صلاتها فى صحن دارها أفضل من صلاتها فى المسجد وصلاتها فى بيتها أفضل من صلاتها فى صحن دارها وصلاتها فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها والمخدع بيت فى بيت وذلك للتستر ولذلك قال عليه السلام المرأة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان وقال أيضا للمرأة عشر عورات فاذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فاذا ماتت ستر القبر العشر عورات فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهمها أمران أحدهما الصيانة والستر والآخر ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه اذا كان حراما وهكذا كانت عادة النساء فى السلف كان الرجل اذا خرج من منزله تقول له امرأته أو ابنته اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجى منذ عرفته عرفته أكالا وما عرفته رزاقا ولى رب رزاق

يذهب الأكال ويبقى الرزاق وخطبت رابعة بنت اسمعيل أحمد بن أبى الحوارى فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها والله مالى همة فى النساء لشغلى بحالى فقالت انى لأشغل بحالى منك ومالى شهوة ولكن ورثت مالا جزيلا من زوجى فأردت أن تنفقه على اخوانك وأعرف بك الصالحين فيكون لى طريقا الى الله عز وجل فقال حتى أستأذن استاذى فرجع الى أبى سليمان الدارانى قال وكان ينهانى عن التزويج ويقول ما تزوج أحد من أصحابنا الا تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فانها ولية لله هذا كلام الصديقين قال فتزوجتها فكان فى منزلنا كن من جص ففنى من غسل أيدى المستعجلين للخروج بعد الاكل فضلا عمن غسل بالأشنان قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمنى الطيبات وتطيبنى وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى أزواجك وكانت رابعة هذه تشبه فى أهل الشام برابعة العدوية بالبصرة * ومن الواجبات عليها أن لا تفرط فى ماله بل تحفظه عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لها أن تطعم من بيته الا باذنه الا الرطب من الطعام الذى يخاف فساده فان أطعمت عن رضاه كان لها مثل أجره وان أطعمت بغير اذنه كان له الاجر وعليها الوزر (ومن حقها) على الوالدين تعليمها حسن المعاشرة وآداب العشرة مع الزوج كما روى ان أسماء بنت خارجة الفزارى قالت لابنته عند التزوج انك خرجت من العش الذى فيه درجت فصرت الى فراش لا تعرفينه وقرين لن تألفيه فكونى له أرضا يكن لك سماء وكونى له مهادا يكن لك عمادا وكونى له أمة يكن لك عبدا لا تلحفى به فيقلاك ولا تباعدى عنه فينساك ان دنا منك فاقربى منه وان نأى فابعدى عنه واحفظى أنفه وسمعه وعينه فلا يشمن منك الا طيبا ولا يسمع الا حسنا ولا ينظر الا جميلا وقال رجل لزوجته

خذى العفو منى تستديمى مودتى * ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب
ولا تنقرينى نقرك الدف مرة * فانك لا تدرين كيف المغيب
ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى * ويأباك قلبى والقلوب تقلب
فانى رأيت الحب فى القلب والأذى * اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

(الباب السادس والتسعون فى فضل الجهاد)

قال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالى ان لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أسقى الحاج وقال آخر لا أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا ان أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد أفضل مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فأنزل الله عز وجل أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين وعن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال قعدنا نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا لو نعلم أى الاعمال أفضل وأحب الى الله عز وجل عملناه فأنزل الله تعالى سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو

العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص الى آخرها فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورو ى ان رجلا قال يا رسول الله دلنى على عمل يعدل الجهاد قال لا أجده ثم قال هل تستطيع اذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر فقال ومن يستطيع ذلك وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال مر رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فقال لو اعتزلت الناس فاقمت فى هذا الشعب ولن أفعل حتى أستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فان مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا فى سبيل الله تعالى من قاتل فى سبيل الله تعالى فواق ناقة وجبت له الجنة فاذا كان الصحابى الجليل لم يأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العزلة مع اجتهاده فى الطاعات وتعاطيه من الطيبات بل أرشده صلى الله عليه وسلم الى الجهاد فكيف يليق بنا تركه مع قلة طاعاتنا وكثرة سيآتنا وتعاطينا ما جهل حله من الاقوات وفساد العزائم والنيات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل المجاهد فى سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله كمثل الصائم القائم الخاشع الراكع الساجد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وجبت له الجنة فعجب لها أبو سعيد الخدرى فقال أعدها على يا رسول الله فأعادها عليه ثم قال وأخرى يرفع الله بها للعبد مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وما هى يا رسول الله قال الجهاد فى سبيل الله

(الباب السابع والتسعون فى مكر الشيطان)

قال رجل للحسن يا أبا سعيد أينام الشيطان فتبسم وقال لو نام لاسترحنا فاذا الاخلاص للمؤمن منه نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته قال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بعيره فى سفره وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لى شيطانى دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل العصفور قلت ولم ذاك قال تذيبنى بذكر الله تعالى فأهل التقوى لا يتعذر عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أعنى الابواب الظاهرة والطرق الجلية التى تفضى الى المعاصى الظاهرة وانما يتعثرون فى طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون اليها فيحرسونها لأن الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الابواب الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذى يبقى فى بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك فى ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هى القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيما يهتدى به الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة وغامضة * قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطى مستقيما

فاتبعوه

فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذى يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصى الظاهرة فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذى لا يخفى الا أن يضطر الآدمى الى سلوكه وذلك كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كان راهب فى بنى اسرائيل فعمد الشيطان الى جارية فخنقها وألقى فى قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب فأتوا بها اليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فان سألوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس اليهم وألقى فى قلوبهم انه أحبلها ثم قتلها ودفنها فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذى خنقتها وأنا الذى ألقيت فى قلوب أهلها فأطعنى تنج وأخلصك منهم قال بماذا قال اسجد لى سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان انى برىء منك فهو الذى قال الله تعالى فيه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك وروى ان ابليس سأل الامام الشافعى رضى الله عنه ما قولك فيمن خلقنى كما اختار واستعملنى فيما اختار وبعد ذلك ان شاء أدخلنى الجنة وان شاء أدخلنى النار أعدل فى ذلك أم جار فنظر فى كلامه ثم قال يا هذا ان كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك وان كان خلقك لما يريد هو فلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فاضمحل الى أن صار لا شىء ثم قال والله يا شافعى لقد أخرجت بمسئلتى هذه سبعين ألف عابد من ديوان العبودية الى ديوان الزندقة وروى أيضا أن ابليس لعنه الله تمثل لعيسى بن مريم عليهما السلام فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا أقولها بقولك أى لان له تلبيسات فى الخير كما أن له تلبيسات فى الشر تتناهى وبها يهلك العباد والزهاد والاغنياء وأصناف الخلق الا من حفظه الله اللهم احفظنا من مكايده حتى نلقاك مهتدين

(الباب الثامن والتسعون فى بيان السماع)

حكى القاضى ابو الطيب الطبرى عن الشافعى ومالك وابى حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء الفاظا يستدل بها على انهم رأوا تحريمه وقال الشافعى رحمه الله فى كتاب آداب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضى أبو الطيب استماعه من المرأة التى ليست بمحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعى رحمه الله بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة وقال قال الشافعى رضى الله عنه صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وقال وحكى عن الشافعى أنه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن وقال الشافعى رحمه الله ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد أكثر مما يكره اللعب بشىء من الملاهى ولا أحب اللعب بالشطرنج وأكره كل ما يلعب به الناس لان اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا المروءة وأما مالك رحمه الله فقد نهى عن الغناء وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب سائر أهل المدينة الا ابراهيم بن سعد وحده وأما أبو حنيفة رضى الله عنه فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من

الذنوب وكذلك سائر أهل الكوفة سفيان الثورى وحماد وابراهيم والشعبى وغيرهم فهذا كله نقله القاضى أبو الطيب الطبرى ونقل أبو طالب المكى اباحة السماع عن جماعة فقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم وقال قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابى وتابعى باحسان وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع فى أفضل أيام السنة وهى الايام المعدودات التى أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع الى زماننا هذا فادركنا أبا مروان القاضى وله جوار يسمعن الناس التلحين قد أعدهن للصوفية قال وكان لعطاء جاريتان يلحنان فكان اخوانه يستمعون اليهما قال وقيل لابى الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسرى السقطى وذو النون يستمعون فقال وكيف أنكر السماع وقد أجازه وسمعه من هو خير منى فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وانما أنكر اللهو واللعب فى السماع وروى عن يحيى بن معاذ أنه قال فقدنا ثلاثة أشياء فما نراها ولا أراها تزداد الا قلة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الاخاء مع الوفاء ورأيت فى بعض الكتب هذا محكيا بعينه عن الحرث المحاسبى وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده فى الدين وتشميره قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة الا أن يكون فيها سماع وحكى غير واحد أنه قال اجتمعنا فى دعوة ومعنا أبو القاسم ابن بنت منيع وأبو بكر بن داود وابن مجاهد فى نظرائهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود فى أن يسمع فقال ابن داود حدثنى أبى عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبى يكرهه وأنا على مذهب أبى فقال أبو القاسم ابن بنت منيع أما جدى أحمد ابن بنت منيع فحدثنى عن صالح بن أحمد أن أباه كان يسمع قول ابن الخبازة فقال مجاهد لابن داود دعنى أنت من أبيك وقال لابن بنت منيع دعنى أنت من جدك أى شئ تقول يا أبا بكر فيمن أنشد بيت شعر أهو حرام فقال ابن داود لا قال فان كان حسن الصوت حرم عليه انشاده قال لا قال فان أنشده وطوله وقصر منه الممدود ومد منه المقصور أيحرم عليه قال أنا لم أقو لشيطان واحد فكيف أقوى لشيطانين قال وكان أبو الحسن العسقلانى الاسود من الاولياء يسمع ويوله عند السماع وصنف فيه كتابا ورد فيه على منكريه وكذلك جماعة منهم صنفوا فى الرد على منكريه وحكى عن بعض الشيوخ أنه قال رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام فقلت له ما تقول فى هذا السماع الذى اختلف فيه أصحابنا فقال هو الصفو الزلال الذى لا يثبت عليه الا أقدام العلماء وحكى عن ممشاد الدينورى أنه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيأ فقال ما أنكر منه شيأ ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن وحكى عن طاهر بن بلال الهمدانى الوراق وكان من أهل العلم أنه قال كنت معتكفا فى جامع جدة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون فى جانب منه قولا ويستمعون فأنكرت ذلك بقلبى وقلت فى بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس فى تلك الناحية والى جنبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه واذا أبو بكر يقول شيأ من القول والنبى صلى الله عليه وسلم يستمع اليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت فى نفسى ما كان ينبغى لى أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع وأبو بكر يقول فالتفت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا حق بحق أو قال حق من حق أنا أشك فيه وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطائفة فى ثلاثة مواضع عند الاكل لانهم لا يأكلون الا عن فاقة وعند المذاكرة لانهم لا يتحاورون الا فى مقامات الصديقين وعند السماع لانهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا وعن ابن جريج أنه كان يرخص فى السماع فقيل له أيؤتى به يوم القيامة فى جملة حسناتك أو سيآتك فقال لا فى الحسنات ولا فى السيئات لانه شبيه باللغو وقال الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم هذا ما نقل من الاقاويل ومن طلب الحق فى التقليد فهما استقصى تعارضت عنده هذه الاقاويل فيبقى متحيرا أو مائلا الى بعض الاقاويل بالتشهى وكل ذلك قصور بل ينبغى أن يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والاباحة

(الباب التاسع والتسعون فى النهى عن البدعة واتباع الهوى)

قال صلى الله عليه وسلم اياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار وقال صلى الله عليه وسلم من أحدث فى أمر ديننا هذا ما ليس منه فهو رد وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى فعلم من هذه الاحاديث ان كل ما خالف الكتاب والسنة واجماع الأئمة فهو بدعة مردودة وقال صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة وقال قتادة رضى الله عنه فى قوله تعالى وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه الآية اعلموا ان السبيل سبيل واحد جماعه الهدى ومصيره الجنة وان ابليس استبدع سبلا متفرقة جماعها الضلالة ومصيرها الى النار وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال هذا سبيل الله مستقيما ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل ليس منها سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه ثم قرأ هذه الآية وعن ابن عباس هذه السبل الضلالات وقال ابن عطية هذه السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الاهواء والشذوذ فى الفروع وغير ذلك من أهل التعمق فى الجدل والخوض فى الكلام وهذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد وقال صلى الله عليه وسلم من رغب عن سنتى فليس منى وقال صلى الله عليه وسلم ما من أمة ابتدعت بعد نبيها فى دينها بدعة الا أضاعت مثلها من السنة وقال صلى الله عليه وسلم ما تحت ظل السماء من اله يعبد أعظم عند الله من هوى يتبع وقال صلى الله عليه وسلم أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة انما أخشى عليكم شهوات الغى فى بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى اياكم والمحدثات فان كل محدثة ضلالة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته وقال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله لصاحب بدعة صوما ولا حجا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا يخرج من الاسلام كما تخرج الشعرة من العجين لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك لكل عمل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت شرته الى

سنتى فقد اهتدى ومن كانت شرته الى غير ذلك فقد هلك انى أخاف على امتى من ثلاث من زلة عالم وهوى متبع وحكم جائر رواه الترمذى وحسنه فى مواضع وصححه فى أخرى والشرة بكسر الشين وفتح الراء مشددة النشاط والهمة

(فصل فى النهى عن آلة اللهو) روى البخارى أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق وروى مسلم وأبو داود وابن ماجه من لعب بنرد أو نردشير فكأنما غمس يده فى لحم خنزير ودمه وروى أحمد وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال مثل الذى يلعب بالنرد ثم يقوم يصلى مثل الذى يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلى أى فلا تقبل له صلاة كما صرحت به رواية أخرى وأخرج البيهقى عن يحيى بن كثير قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم يلعبون بالنرد فقال قلوب لاهية وأيد عاملة وألسنة لاغية وأخرج الديلمى انه صلى الله عليه وسلم قال اذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الازلام والشطرنج والنرد وما كان من هذه أى وما شابه ذلك من كل لهو محرم فلا تسلموا عليهم وان سلموا عليكم فلا تردوا عليهم وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث من الميسر القمار والضرب بالكعاب والصفير بالحمام ومر على رضى الله عنه بقوم يلعبون الشطرنج فقال ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون لأن يمس أحدكم جمرا حتى يطفأ خير له من أن يمسها ثم قال والله لغير هذا خلقتم وقال أيضا رضى الله عنه صاحب الشطرنج أكثر الناس كذبا يقول أحدهم قتلت وما قتل ومات وما مات وقال أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه لا يلعب بالشطرنج الا خاطئ واعلم ان الملاهى اما حرام كعود وطنبور ومعزفة وطبل ومزمار وما ألهى بصوت مطرب اذا انفرد أو مكروه وهو ما يزيد به الغناء طربا ولم يطرب منفردا كالصنج والقصب فيكره مع الغناء لا وحده أو مباح وهو ما خرج عن آلة الطرب الى انذار كالبوق وطبل الحرب أو لجمعة واعلان كالدف فى النكاح

(الباب المتمم للمائة فى فضائل رجب)

رجب مشتق من الترجيب وهو التعظيم ويقال له الاصب لان الرحمة تصب فيه على التائبين وتفيض أنوار القبول على العاملين ويقال له الاصم لانه لم يسمع فيه حس قتال وقيل رجب اسم نهر فى الجنة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج لا يشرب منه الا من صام شهر رجب قال صلى الله عليه وسلم رجب شهر الله وشعبان شهرى ورمضان شهر أمتى وقال أهل الاشارة رجب ثلاثة أحرف راء وجيم وباء فالراء رحمة الله والجيم جرم العبد وجنايته والباء بر الله كان الله تعالى يقول أجعل جرم عبدى بين رحمتى وبرى وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم من صام السابع والعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهرا وهو أول يوم نزل فيه جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم بالرسالة وفيه أسرى به صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم الا ان رجبا شهر الله الاصم فمن صام من رجب يوما ايمانا واحتسابا استوجب رضوان الله الاكبر قيل زين الله الشهور بأربعة ذى القعدة وذى الحجة والمحرم ورجب فذلك قوله تعالى منها أربعة حرم فالاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد وهو شهر رجب وحكى ان امرأة فى بيت المقدس كانت تقرأ كل يوم من رجب قل هو الله أحد اثنتى عشرة

ألف مرة وكانت تلبس الصوف فى شهر رجب فمرضت وأوصت ابنها ان يدفن معها صوفها فلما ماتت كفنها فى ثياب مرتفعة فرآها فى منامه تقول له أنا عنك غير راضية لانك لم تعمل بوصيتى فانتبه فزعا وأخذ صوفها ليدفنه معها فنبش قبرها فلم يجدها فيه فتحير فسمع نداء أما علمت ان من أطاعنا فى رجب لا نتركه فردا وحيدا وروى اذا كان ثلث الليل من أول جمعة من رجب لا يبقى ملك الا ويستغفر لصوام رجب وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام ثلاثة أيام من شهر حرام كتب له ثواب عبادة تسعمائة سنة قال أنس رضى الله عنه صمت اذناى ان لم أكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم (لطيفة) الاشهر الحرم أربعة وخيار الملائكة أربعة وأفضل الكتب المنزلة أربعة وأعضاء الوضوء أربعة وأفضل التسبيح كلمات أربعة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وعماد الحساب أربعة آحاد وعشرات ومئات وألوف والاوقات أربعة الساعة واليوم والشهر والسنة وفصول السنة أربعة ربيع وصيف وخريف وشتاء والطبائع أربعة حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة وسلطان البدن أربعة صفراء وسوداء ودم وبلغم والخلفاء الراشدون أربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله عليهم أجمعين (روى الديلمى) عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يسح الله الخير فى أربع ليال سحا ليلة الاضحى وليلة الفطر وليلة النصف من شعبان وأول ليلة من رجب وروى الديلمى أيضا بسنده عن أبى امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس ليال لا ترد فيها دعوة أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الجمعة وليلتا العيدين

(الباب الحادى بعد المائة فى فضل شعبان المبارك)

سمى شعبان لانه يتشعب منه خير كثير مشتق من الشعب بكسر الشين وهو طريق الجبل فهو طريق الخير روى عن أبى امامة الباهلى رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا دخل شعبان فطهروا أنفسكم وأحسنوا نيتكم فيه وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان أكثر صيامه فى شعبان وفى النسائى من حديث اسامة رضى الله عنه قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان قال ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الاعمال لرب العالمين فاحب أن يرفع عملى وأنا صائم وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا رمضان وما رأيته فى شهر أكثر منه صياما من شعبان وفى رواية كان يصوم شعبان كله ولمسلم كان يصوم شعبان الا قليلا فهذه الرواية مفسرة للاولى فالمراد بكله أغلبه قيل ان للملائكة فى السماء ليلتى عيد كما ان للمسلمين فى الارض يومى عيد فعيد الملائكة ليلة البراءة وهى ليلة النصف من شعبان وليلة القدر وعيد المؤمنين يوم الفطر ويوم الاضحى فلذا سميت ليلة نصف شعبان ليلة عيد الملائكة وذكر السبكى فى تفسيره انها تكفر ذنوب السنة وليلة الجمعة تكفر ذنوب الاسبوع وليلة القدر تكفر ذنوب العمر أى احياء هذه الليالى سبب لتكفير الذنوب وتسمى ليلة التكفير

أيضا لذلك وليلة الحياة لما روى المنذرى مرفوعا من احيا ليلتى العيد وليلة نصف شعبان لم يمت قلبه يوم تموت القلوب وتسمى ليلة الشفاعة لما روى أنه صلى الله عليه وسلم سأل الله تعالى ليلة الثالث عشر الشفاعة فى أمته فأعطاه الثلث وسأله ليلة الثالث عشر فأعطاه الثلثين وسأله ليلة الخامس عشر فأعطاه الجميع الا من شرد على الله شراد البعير يعنى من فر من الله وتباعد عنه بالاصرار على المعصية وتسمى ليلة المغفرة أيضا لما روى الامام أحمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليطلع ليلة النصف من شعبان الى عباده فيغفر لاهل الارض الا رجلين مشرك أو مشاحن وتسمى ليلة العتق لما روى ابن اسحق عن أنس بن مالك قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزل عائشة رضى الله عنها فى حاجة فقلت لها اسرعى فانى تركت النبى صلى الله عليه وسلم يحدثهم عن ليلة النصف من شعبان فقالت يا أنيس اجلس حتى أحدثك بحديث ليلة النصف من شعبان تلك الليلة كانت ليلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء ودخل معى فى لحافى فانتبهت من الليل فلم أجده فقلت لعله ذهب الى جاريته القبطية فخرجت فمررت فى المسجد فوقعت رجلى عليه وهو يقول سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى وهذه يدى وما جنيت بها على نفسى يا عظيما يرجى لكل عظيم اغفر الذنب العظيم سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره ثم رفع رأسه فقال اللهم ارزقنى قلبا تقيا نقيا من الشرك بريا لا كافرا ولا شقيا ثم عاد ساجدا فسمعته يقول أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أقول كما قال أخى داود أعفر وجهى فى التراب لسيدى وحق لوجه سيدى أن يعفر ثم رفع رأسه فقلت بأبى أنت وأمى أنت فى واد وأنا فى واد فقال يا حميراء أما تعلمين ان هذه الليلة ليلة النصف من شعبان ان لله عز وجل فى هذه الليلة عتقاء من النار بعدد شعر غنم كلب الا ستة نفر لا مدمن خمر ولا عاق لوالديه ولا مصر على زنا ولا مصارم ولا مضرب ولا قتات وفى رواية مصور بدل مضرب وتسمى ليلة القسمة والتقدير لما روى عطاء بن يسار اذا كانت ليلة النصف من شعبان نسخ لملك الموت كل من يموت من شعبان الى شعبان وان العبد ليغرس الغرس وينكح الازواج ويبنى البنيان وان اسمه قد نسخ فى الموتى وما ينتظر به ملك الموت الا أن يؤمر به فيقبضه

(الباب الثانى بعد المائة فى فضل رمضان المعظم)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم عن سعيد ابن جبير رضى الله عنه كان صوم من قبلنا من العتمة الى الليلة القابلة كما كان فى ابتداء الاسلام وقال جماعة من أهل العلم كان واجبا على النصارى فربما كان يقع فى الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق عليهم فى أسفارهم وبعض معايشهم فاجتمع رأى كبرائهم على أن يجعلوا صيامهم فى فصل من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه فى الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا ثم ان ملكا لهم اشتكى فجعل لله عليه ان برئ من وجعه أن يزيد فى صومهم اسبوعا فبرئ فزاد فيه اسبوعا فلما مات ذلك وليهم ملك آخر فقال أتموه خمسين يوما ثم أصابهم موتان وهو موت البهائم فقال زيدوا صيامكم فزادوا عشرا قبل وعشرا بعد وقيل ما من أمة الا وفرض

عليهم صيام رمضان الا أنهم ضلوا عنه قال البغوى والصحيح ان رمضان اسم للشهر من الرمضاء وهى الحجارة المحماة لانهم كانوا يصومون فى الحر الشديد لان العرب لما أرادت أن تضع أسماء الشهور وافق ان الشهر المذكور كان فى شدة الحر وقيل سمى بذلك لانه يرمض الذنوب أى يحرقها وفرض فى السنة الثانية من الهجرة وهو معلوم من الدين بالضرورة يكفر جاحد وجوبه وورد فى فضله أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب الجنان كلها فلم يغلق منها باب فى الشهر كله وأمر الله تعالى مناديا ينادى يا طالب الخير أقبل ويا باغى الشر أقصر ثم يقول هل من مستغفر فيغفر له هل من سائل فيعطى سؤله هل من تائب فيتاب عليه فلم يزل كذلك الى انفجار الصبح ولله كل ليلة عند الفطر ألف ألف عتيق من النار قد استوجبوا العذاب وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر يوم من شعبان فقال أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم فيه ليلة القدر خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وهو شهر المواساة وهو شهر يزاد فيه فى رزق المؤمن من فطر فيه صائما كان له عتق رقبة ومغفرة لذنوبه قلنا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم قال يعطى الله هذا الثواب من يفطر صائما على مذقة لبن أو شربة ماء أو تمرة ومن أشبع صائما كان له مغفرة لذنوبه وسقاه ربه من حوضى شربة لا يظمأ بعدها أبدا وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شئ وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ومن خفف عن مملوكه فيه أعتقه الله من النار فاستكثروا فيه من أربع خصال خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى لكم عنهما أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا اله الا الله وتستغفرونه وأما الخصلتان اللتان لا غنى لكم عنهما تسألون ربكم الجنة وتعوذون به من النار ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقوله صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به وناهيك بعبادة أضافها البارئ تبارك وتعالى لنفسه ومنها قوله صلى الله عليه وسلم أعطيت أمتى خمس خصال فى شهر رمضان لم تعطهن أمة قبلها خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا وتصفد فيه مردة الشياطين ويزين الله تعالى كل يوم الجنة ويقول يوشك عبادى الصالحون ان يكف عنهم السوء والاذى ويغفر لهم فى آخر ليلة منه قيل يا رسول الله أهى ليلة القدر قال لا ولكن العامل يوفى أجره اذا قضى عمله

(الباب الثالث بعد المائة فى فضل ليلة القدر)

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى اسرائيل حمل السلاح على عاتقه فى سبيل الله ألف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لامته فقال يا رب جعلت أمتى أقصر الامم أعمارا وأقلها أعمالا فأعطاه الله تعالى ليلة القدر خيرا من ألف شهر مدة حمل الاسرائيلى السلاح فى سبيل الله له ولامته الى يوم

القيامة فهي من خصائص هذه الأمة ويقال اسم ذلك الرجل شمعون غزا العدو ألف شهر لم يجف لبد فرسه وقهر الكفار لما أعطى من القوة والجسارة فضاقت قلوبهم منه فبعثوا رسولا الى امرأته وضمنوا لها طستا من ذهب مملوأ ذهبا ان هي قيدته حتى يحبسوه في بيت لهم ويستريحوا منه فلما نام بالليل أوثقته بحبل من ليف فلما انتبه حرك أعضاءه فقطع الحبل قطعا وسألها لم صنعت ذلك فقالت أجرب قوتك فلما أخبر الكفار بذلك بعثوا اليها سلسلة ففعلت مثل مافعلت فقطعها فجاء ابليس الى الكفار وأرشدهم الى أن تسأل المرأة زوجها أى شيء لا تقوى على فكه وقطعه فأرسلوا اليها فسألته فقال ذوائبي وكان له ثمانية ذوائب طويلة تجر على الارض فلما نام قيدت رجليه بأربعة ويديه بأربعة فجاء الكفار وأخذوه وذهبوا به الى بيت مذبحهم مقدار أربعمائة ذراع علوه ومع اتساعه له عمود واحد فقطعوا أذنيه وشفتيه وكانوا كلهم مجتمعين لديه فسأل الله تعالى ان يقويه على فك وثاقه وعلى ان يحرك العمود ويهدمه عليهم مع نجاته منهم فقواه الله فتحرك فانفك وثاقه وحرك العمود فوقع عليهم السقف فأهلكهم الله جميعا ونجا منهم فلما سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الخبر وقالوا يارسول الله هل ندرك نحن ثوابه فقال لا أدرى ثم سأل ربه فأعطاه كما تقدم ليلة القدر وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان ليلة القدر نزل جبريل عليه السلام فى كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى قال أبو هريرة رضى الله عنه الملائكة تنزل ليلة القدر فى الارض أكثر من عدد الحصى فتفتح أبواب السماء للتنزل كما ورد فتسطع الانوار ويحصل تجل عظيم وتتكشف فيها الملكوت والناس فى ذلك متفاوتون فنهم من يكشف له عن ملكوت السموات والارض فتتكشف له الحجب عن السموات فيشاهد فيها الملائكة على صورها مابين قائم وقاعد وراكع وساجد وذاكر وشاكر ومسبح ومهلل ومنهم من يكشف له عن الجنة بما فيها من دورها وقصورها وحورها وأنهارها وأشجارها وأثمارها ويشاهد عرش الرحمن وهو سقفها ويشاهد منازل الانبياء والاولياء والشهداء والصديقين ويهيم فى هذا الملكوت ويتنزه فى ذلك الرحموت ويشاهد جهنم ويشاهد دركاتها ومنازل الكفار الى غير ذلك ومنهم من تنكشف حجبه عن جمال الله فلا يشهد الاإياه وعن عمر عنه عليه الصلاة والسلام من أحيا ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان الى الصبح فهو أحب الى من قيام ليالى شهر رمضان كلها فقالت فاطمة يا أبت ماتصنع الضعفاء من الرجال والنساء ممن لا يقدرون على القيام قال لا يضعون الوسائد فيتكئون عليها ويقعدون ساعة من ساعات تلك الليلة ويدعون الله عز وجل الا كان ذلك أحب الى من قيام أمتى جميعا شهر رمضان وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحيا ليلة القدر وصلى فيها ركعتين واستغفر فيها غفر الله له وخاض فى رحمة الله ومسحه جبريل بجناحه ومن مسحه جبريل بجناحه دخل الجنة

(الباب الرابع بعد المائة فى فضل العيد)

سمى هذا اليوم الذى هو أول شوال واليوم الذى هو العاشر من ذى الحجة عيدا لان المؤمنين عادوا

فيهما من طاعة الله تعالى التى هى أداء فريضتى صيام رمضان والحج الى طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم التى هى صيام ست من شوال والتأهب لزيارته صلى الله عليه وسلم ولتكرر ذلك كل عام ولكثرة عوائد الله تعالى فيه بالاحسان ولعود السرور بعوده وأول عيد صلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عيد الفطر فى السنة الثانية من الهجرة ولم يتركها فهى سنة مؤكدة وعن أبى هريرة رضى الله عنه زينوا أعيادكم بالتكبير وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده يوم العيد ثلثمائة مرة وأهداها لأموات المسلمين دخل فى كل قبر ألف نور ويجعل الله تعالى فى قبره اذا مات ألف نور وعن وهب بن منبه رضى الله عنه ان ابليس يرن فى كل عيد فتجتمع اليه الابالسة فيقولون ياسيدنا مم غضبك فيقول ان الله تعالى قد غفر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم فعليكم أن تشغلوهم باللذات والشهوات وعن وهب أيضا ان الله تعالى خلق الجنة يوم عيد الفطر وغرس شجرة طوبى يوم عيد الفطر واصطفى جبريل للوحى يوم عيد الفطر وتاب على سحرة فرعون يوم عيد الفطر وقال النبى صلى الله عليه وسلم من قام ليلة العيد محتسبا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب (حكى) ان عمر رأى ولداله يوم عيد وعليه قميص خلق فبكى فقال مايبكيك فقال له يابنى أخشى ان ينكسر قلبك فى يوم العيد اذا رآك الصبيان بهذا القميص الخلق فقال انما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه أو عق أمه وأباه وانى لأرجو أن يكون الله راضيا عنى برضاك فبكى عمر وضمه اليه ودعاله رضى الله عنهما وما أحسن قول القائل

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه * قلت خلعة ساق عبده الجرعا
فقر وصبر ثوبان بينهما * قلب يرى ربه الاعياد والجمعا
العيد لى مأتم ان غبت يا أملى * والعيد ان كنت لى مرأى ومستمعا

وورد اذا كان غداة عيد الفطر بعث الله الملائكة فيهبطون الى الارض ويقومون على أفواه السكك فينادون بصوت يسمعه جميع خلق الله الا الجن والانس يقولون ياأمة محمد اخرجوا الى رب كريم يعطى العطاء الجزيل ويغفر الذنب العظيم فاذا برزوا الى مصلاهم قال الله للملائكة ماجزاء الاجير اذا عمل فيقولون جزاؤه ان يوفى أجره فيقول سبحانه أشهدكم انى قد جعلت ثوابهم رضائى ومغفرتى

(الباب الخامس بعد المائة فى فضل عشر ذى الحجة)

روى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال مامن أيام العمل فيها أحب الى الله من هذه الايام يعنى أيام العشر قالوا ولا الجهاد فى سبيل الله تعالى قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشئ وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن أيام أحب الى الله وأفضل من أيام العشر قيل ولا مثلهن فى سبيل الله قال ولا مثلهن فى سبيل الله الا رجل عقر جواده وعفر وجهه فى سبيل الله وعن عائشة رضى الله عنها ان شابا كان صاحب سماع وكان اذا أهل هلال ذى الحجة أصبح صائما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال مايحملك على صيام هذه الايام قال بأبى أنت وأمى يارسول الله انها أيام المشاعر وأيام الحج عسى الله ان يشركنى فى دعائهم

قال فان لك بكل يوم تصومه عدل مائة رقبة ومائة بدنة ومائة فرس تحمل عليها فى سبيل الله فاذا كان يوم التروية فلك فيها عدل ألف رقبة وألف بدنة وألف فرس تحمل عليها فى سبيل الله فاذا كان يوم عرفة فلك فيها عدل ألفى رقبة وألفى بدنة وألفى فرس تحمل عليها فى سبيل الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم يعدل صوم يوم عرفة بصوم سنتين ويعدل صوم عاشوراء بصوم سنة وقال أهل التفسير فى قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر الآية انها العشر الاول من ذى الحجة وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان الله اختار من الايام أربعة ومن الشهور أربعة ومن النساء أربعة وأربعة يسبقون الى الجنة وأربعة اشتاقت اليهم الجنة أما الايام فأولها يوم الجمعة فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى شيأ من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه الله اياه وثانيها يوم عرفة فاذا كان يوم عرفة يباهى الله تعالى ملائكته فيقول يا ملائكتى انظروا الى عبادى جاؤا شعثا غبرا قد أنفقوا الاموال وأتعبوا الابدان اشهدوا انى غفرت لهم وثالثها يوم النحر فاذا كان يوم النحر وقرب العبد قربانه فأول قطرة قطرت من القربان تكون كفارة لكل ذنب عمله العبد ورابعها يوم الفطر فاذا صاموا شهر رمضان وخرجوا الى عيدهم يقول الله تبارك وتعالى للملائكته ان كل عامل يطلب أجره وعبادى صاموا شهرهم وخرجوا من عيدهم يطلبون أجرهم أشهدكم انى قد غفرت لهم وينادى المنادى يا أمة محمد ارجعوا فقد بدلت سيآتكم حسنات وأما الشهور فرجب الفرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وأما النساء فمريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد سابقة نساء العالمين الى الايمان بالله ورسوله وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وفاطمة بنت محمد سيدة نساء الجنة وأما السابقون فلكل قوم سابق فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سابق العرب وسلمان سابق الفرس وصهيب سابق الروم وبلال سابق الحبشة وأما الاربعة الذين اشتاقت لهم الجنة فعلى بن أبى طالب وسلمان الفارسى وعمار بن ياسر والمقداد بن الاسود وعنه صلى الله عليه وسلم من صام يوم التروية أعطاه الله ثواب صبر أيوب عليه السلام على بلائه ومن صام يوم عرفة أعطاه الله ثوابا مثل ثواب عيسى عليه السلام وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم عرفة نشر الله رحمته فليس من يوم أكثر عتقا منه ومن سال الله تعالى فى يوم عرفة حاجة من حوائج الدنيا والآخرة قضاها له وصوم يوم عرفة يكفر سنة ماضية وسنة مستقبلة والحكمة فى ذلك والله أعلم انه بين عيدين وهما يوما سرور للمؤمنين ولا سرور أعظم من غفران ذنوبهم ويوم عاشوراء بعد العيدين فهو كفارة سنة واحدة ولانه لموسى عليه السلام ويوم عرفة لنبينا صلى الله عليه وسلم وكرامته تتضاعف على غيره صلى الله عليه وسلم

(الباب السادس بعد المائة فى فضل عاشوراء)

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عن ذلك فقالوا ان هذا اليوم أظهر الله فيه موسى وبنى اسرائيل على قوم فرعون فنحن نصومه تعظيما له فقال النبى صلى الله عليه وسلم نحن أولى بموسى منكم فأمر بصومه وقد ورد فى فضل يوم عاشوراء آثار كثيرة منها انه تيب على آدم فيه وكان خلقه فيه وفيه

أدخل الجنة وفيه خلق العرش والكرسى والسموات والارض والشمس والقمر والنجوم والجنة وولد ابراهيم الخليل فيه وكانت نجاته من النار فيه وكذلك نجاة موسى ومن معه وأغرق فرعون ومن معه فيه وفيه ولد عيسى وفيه رفع الى السماء وفيه رفع ادريس مكانا عليا وفيه استوت سفينة نوح على الجودى وأعطى فيه سليمان الملك العظيم وأخرج يونس من بطن الحوت ورد بصر يعقوب عليه وأخرج يوسف من الجب وكشف ضر أيوب وأول مطر نزل من السماء الى الارض كان يوم عاشوراء وكان صومه معروفا بين الامم حتى قيل بأنه فرض قبل رمضان ثم نسخ به وصامه صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة ولما دخل المدينة أكد طلبه حتى قال صلى الله عليه وسلم فى آخر عمره الشريف ان عشت الى قابل لاصومن التاسع والعاشر فانتقل الى الرفيق الاعلى من عامه ولم يصم غير العاشر لكنه رغب فيه وفى صوم التاسع والحادى عشر بقوله صلى الله عليه وسلم صوموا قبله يوما وبعده يوما وخالفوا سنة اليهود أى حيث أفردوه بالصوم وروى البيهقى فى شعب الايمان من وسع على عياله وأهله فى يوم عاشوراء وسع الله عليه فى سائر سنته وفى رواية منكرة للطبرانى الصدقة فيه بدرهم بسبعمائة ألف درهم وأما حديث من اكتحل يومه لم يرمد ذلك العام ومن اغتسل فيه لم يمرض فموضوع وقد صرح الحاكم بان الاكتحال يومه بدعة وقال ابن القيم حديث الاكتحال وطبخ الحبوب والادهان والتطيب يوم عاشوراء من وضع الكذابين (واعلم) ان ما أصيب به الحسين رضى الله تعالى عنه يوم عاشوراء انما هو الشهادة الدالة على مزيد رفعته ودرجته عند الله والحاقه بدرجات أهل بيته الطاهرين فمن ذكر ذلك اليوم مصابه فلا ينبغى ان يشتغل الا بالاسترجاع امتثالا للامر واحرازا لما رتبه تعالى عليه بقوله أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون واياه ثم اياه ان يشتغل ببدع الرافضة ونحوهم من الندب والنياحة والحزن اذ ليس ذلك من أخلاق المؤمنين والا لكان يوم وفاة جده صلى الله عليه وسلم أولى بذلك وأحرى وحسبنا الله تعالى وحده ونعم الوكيل

(الباب السابع بعد المائة فى فضل ضيافة الفقراء)

قال صلى الله عليه وسلم لا تكلفوا للضيف فتبغضوه فانه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله وقال صلى الله عليه وسلم لا خير فيمن لا يضيف ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له ابل وبقر كثيرة فلم يضفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال صلى الله عليه وسلم انظروا اليهما انما هذه الاخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نزل به صلى الله عليه وسلم ضيف فقال قل لفلان اليهودى نزل بى ضيف فأسلفنى شيأ من الدقيق الى رجب فقال اليهودى والله لا أسلفه الا برهن فأخبرته فقال والله انى لأمين فى السماء أمين فى الارض ولو أسلفنى لأديته فاذهب بدرعى وارهنه عنده وكان ابراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه اذا أراد أن يأكل خرج ميلا أو ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى أبا الضيفان ولصدق نيته فيه دامت ضيافته فى مشهده الى يومنا هذا فلا تنقضى ليلة الا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة الى عشرة الى مائة وقال قوام الموضع انه لم يخل ليلة عن ضيف وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الايمان فقال

اطعام الطعام وبذل السلام وقال صلى الله عليه وسلم فى الكفارات والدرجات اطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وسئل عن الحج المبرور فقال اطعام الطعام وطيب الكلام وقال أنس رضى الله عنه كل بيت لايدخله ضيف لاتدخله الملائكة والاخبار الواردة فى فضل الضيافة والاطعام لاتحصى وما أحسن قول القائل

لم لاأحب الضيف أو * أرتاح من طرب اليه
والضيف يأكل رزقه * عندى ويشكرنى عليه

ومن كلام الحكماء لاتتم الصنيعة الابطلاقة الوجه وحسن الحديث ولطف اللقاء وقال آخر

أضاحك ضيفى قبل انزال رحله * ويخصب عندى والمحل جديب
وما الخصب للاضياف فى كثرة القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

فينبغى للداعى أن يعمد بدعوته الاتقياء دون الفساق قال صلى الله عليه وسلم أكل طعامك الابرار فى دعائه لبعض من دعاله وقال صلى الله عليه وسلم لاتأكل الاطعام تقى ولايأكل طعامك الاتقى ويقصد الفقراء دون الاغنياء على الخصوص قال صلى الله عليه وسلم شر الطعام طعام الوليمة يدعى اليها الاغنياء دون الفقراء وينبغى أن لايهمل أقاربه فى ضيافته فان اهمالهم ايحاش وقطع رحم وكذلك يراعى الترتيب فى أصدقائه ومعارفه فان فى تخصيص البعض ايحاشا القلوب الباقين وينبغى أن لايقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الاخوان والتسنن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اطعام الطعام وادخال السرور على قلوب المؤمنين وينبغى أن لايدعو من يعلم أنه يشق عليه الاجابة واذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الاسباب وينبغى أن لايدعو الامن يحب اجابته قال سفيان من دعا أحدا الى طعام وهو يكره الاجابة فعليه خطيئة فان أجاب المدعو فعليه خطيئتان لانه حمله على الاكل مع كراهة ولو علم ذلك لما كان يأكله واطعام التقى اعانة على الطاعة واطعام الفاسق تقوية على الفسق وقال رجل خياط لابن المبارك أنا أخيط ثياب السلاطين فهل تخاف ان أكون من أعوان الظلمة قال لا انما أعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والابرة أما أنت فمن الظلمة نفسهم وأما الاجابة فهى سنة مؤكدة وقد قيل بوجوبها فى بعض المواضع قال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع لأجبت ولو أهدى الى ذراع لقبلت وللاجابة خمسة آداب مذكورة فى احياء علوم الدين وغيره

---

*(الباب الثامن بعد المائة فى الكلام على الجنازة والقبر)

اعلم أن الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير لا لاهل الغفلة فانها لاتزيدهم مشاهدتها الاقساوة لانهم يظنون انهم أبدا الى جنازة غيرهم ينظرون ولايحسبون انهم لامحالة على الجنائز يحملون أو يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لايقدرون ولايتفكرون ان المحمولين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون فبطل حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظر عبد الى جنازة الاويقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها على القرب وكأن قد ولعله فى غد أو بعد غد ويروى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه كان اذا رأى جنازة قال امضوا فانا على الاثر

وكان مكحول الدمشقى اذا رأى جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والآخر لاعقل له وقال أسيد بن حضير ماشهدت جنازة فحدثتنى نفسى بشئ سوى ماهو مفعول به وماهو صائر اليه ولما مات أخو مالك بن دينار خرج مالك فى جنازته يبكى ويقول والله لاتقر عينى حتى أعلم الى ماذا صرت اليه ولاأعلم مادمت حيا وقال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلاندرى من نعزى لحزن الجميع وقال ثابت البنانى كنا نشهد الجنائز فلانرى الامتقنعا باكيا فهكذا كان خوفهم من الموت والآن لانتظر الى جماعة يحضرون جنازة الاوأكثرهم يضحكون ويلهون ولايتكلمون الافى ميراثه وماخلفه لورثته ولايتفكر أقرانه وأقاربه الافى الحيلة التى بها يتناول بعض ماخلفه ولايتفكر واحد منهم الى ماشاء الله فى جنازة نفسه وفى حاله اذا حمل عليها ولاسبب لهذه الغفلة الاقسوة القلوب بكثرة المعاصى والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والاهوال التى بين أيدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لايعنينا فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فان أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز بكاؤهم على الميت ولو عقلوا لبكوا على أنفسهم لاعلى الميت * نظر ابراهيم الزيات الى أناس يترحمون على الميت فقال لو ترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم انه نجا من أهوال ثلاثة وجه ملك الموت وقد رأى ومرارة الموت وقد ذاق وخوف الخاتمة وقد أمن * وقال أبو عمرو بن العلاء جلست الى جرير وهو يملى على كاتبه شعرا فاطلعت جنازة فأمسك وقال شيبتنى والله هذه الجنائز وانشأ يقول

تروعنا الجنائز مقبلات * ونلهو حين تذهب مدبرات
كروعة ثلة لمغار ذئب * فلما غاب عادت راتعات

فمن آداب حضور الجنائز التفكر والتنبه والاستعداد والمشى أمامها على هيئة التواضع كما ذكرت آدابه وسننه فى فن الفقه ومن آدابه حسن الظن بالميت وان كان فاسقا واساءة الظن بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة خطرة لاتدرى حقيقتها ولذلك روى عن عمر بن ذر أنه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها فلما دلى فى قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا أبا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذى خطايا * ويحكى أن رجلا من المنهمكين فى الفساد مات فى بعض نواحى البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته اذلم يدربها أحد من جيرانه لكثرة فسقه فاستأجرت حمالين وحملتها الى المصلى فما صلى عليه أحد فحملتها الى الصحراء للدفن فكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرأته كالمنتظر للجنازة ثم قصد أن يصلى عليها فانتشر الخبر فى البلد بأن الزاهد نزل ليصلى على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال قيل لى فى المنام انزل الى موضع كذا ترى فيه جنازة ليس معها أحد الا امرأة فصل عليه فانه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وانه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان طول نهاره فى الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظرى هل تعرفين منه شيأ من أعمال الخير قالت نعم ثلاثة أشياء كان اذا أفاق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه ويتوضأ ويصلى الصبح فى جماعة ثم يعود الى الماخور ويشتغل بالفسق والثانى انه كان أبدا

لايخلو بيته من يتيم أو يتيمين وكان احسانه اليهم أكثر من احسانه الى أولاده وكان شديد التفقد لهم والثالث انه كان يفيق فى اثناء سكره فى ظلام الليل فيبكى و يقول يارب أى زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث يعنى نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع اشكاله من أمره قال الضحاك قال رجل يارسول الله من أزهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه من أهل القبور * وقيل لعلى كرم الله وجهه ماشأنك جاورت المقبرة قال انى أجدهم خير جيران انى أجدهم جيران صدق يكفون الالسنة ويذكرون الآخرة * وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتبكى اذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر أول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وان لم ينج منه فما بعده أشد وقيل ان عمرو بن العاص نظر الى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شئ لم تكن تصنعه فقال ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم و بينه فأحببت أن أتقرب الى الله بهما وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما أعددت لك فما أعددت لى وقال أبوذر ألا أخبركم بيوم فقرى يوم أوضع فى قبرى

(الباب التاسع بعد المائة فى التخويف من عذاب جهنم)

أخرج البخارى كان أكثر دعاء النبى صلى الله عليه وسلم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وأبو يعلى أنه صلى الله عليه وسلم خطب فقال لا تنسوا العظيمتين الجنة والنار ثم بكى حتى جرى أو بل دموعه جانبى لحيته ثم قال والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم من أمر الآخرة لمشيتم على الصعيد ولحثيتم على رؤسكم التراب والطبرانى فى الاوسط جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فى حين غير حينه الذى كان يأتيه فيه فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياجبريل مالى أراك متغير اللون فقال ماجئتك حتى أمر الله عزوجل بمنافخ النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياجبريل صف لى النار أو انعت لى جهنم فقال جبريل ان الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة لايضئ شررها ولا يطفأ لهبها والذى بعثك بالحق نبيا لو أن قدر ثقب ابرة فتح من جهنم لمات من فى الارض كلهم جميعا من حره والذى بعثك بالحق لو أن خازنا من خزنة جهنم برز الى أهل الدنيا لمات من فى الارض كلهم جميعا من قبح وجهه ومن نتن ريحه والذى بعثك بالحق لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التى نعت الله فى كتابه وضعت على جبال الدنيا لارفضت وما تقارت حتى تنتهى الى الارض السفلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبى ياجبريل لا يتصدع قلبى فاموت قال فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل وهو يبكى فقال تبكى ياجبريل وأنت من الله بالمكان الذى أنت به فقال ومالى لا أبكى وأنا أحق بالبكاء لعلى أكون فى علم الله على غير الحال التى أنا عليها وما أدرى لعلى أبتلى بما ابتلى به ابليس فقد كان من الملائكة وما أدرى لعلى أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت

قال فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل فما زالا يبكيان حتى نوديا أن ياجبريل ويامحمد ان الله تعالى قد آمنكما أن تعصياه فارتفع جبريل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بقوم من الانصار يضحكون ويلعبون فقال أتضحكون ووراءكم جهنم فلو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما أسغتم الطعام والشراب ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله عزوجل فنودى يامحمد لا تقنط عبادى انما بعثتك مبشرا ولم أبعثك معسرا فقال صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالى لا أرى ميكائيل ضاحكا قط قال ماضحك ميكائيل منذ خلقت النار وابن ماجه والحاكم وصححه ان ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم ولولا أنها أطفئت بالماء مرتين لما انتفعتم بها وانها لتدعو الله عزوجل أن لا يعيدها فيها والبيهقى ان عمر رضى الله عنه قرأ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب قال ياكعب أخبرنى بتفسيرها فان صدقت صدقتك وان كذبت رددت عليك فقال ان جلد ابن آدم يحرق ويجدد فى ساعة أو فى يوم ستة آلاف مرة قال صدقت والبيهقى ان الحسن البصرى قال فى الآية تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ومسلم يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار فيصبغ فى النار صبغة ثم يقال له يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يارب ويؤتى بأشد الناس بؤسا فى الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة فى الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط هل مر بك شدة قط فيقول لا والله يارب مامر بى بؤس قط ولا رأيت شدة قط وروى ابن ماجه يرسل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يصير فى وجوههم كهيئة الاخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت وأبو يعلى يا أيها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون فى النار حتى تسيل دموعهم فى خدودهم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فيسيل يعنى الدم فتقرح العيون

(الباب العاشر بعد المائة فى الميزان والصراط)

أخرج أبو داود عن الحسن عن عائشة انها بكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مايبكيك قالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال صلى الله عليه وسلم أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه فى يمينه أم فى شماله أم وراء ظهره وعند الصراط اذا وضع بين ظهرانى جهنم حتى يعلم أيجوز أم لا والترمذى عن أنس رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشفع لى يوم القيامة قال أنا فاعل ان شاء الله تعالى قلت فأين أطلبك قال أول ما تطلبنى على الصراط قلت فان لم ألقك على الصراط قال فاطلبنى عند الميزان قلت فان لم ألقك عند الميزان قال فاطلبنى عند الحوض فانى لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن * وروى الحاكم يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزنت أو وضعت فيه السموات والارض لوضعت فتقول الملائكة يارب لمن يزن هذا فيقول الله تعالى لمن شئت من خلقى فتقول الملائكة سبحانك ماعبدناك حق عبادتك ويوضع الصراط مثل حد الموسى فتقول الملائكة من يجوز على هذا فيقول من شئت من خلقى

فيقولون سبحانك ماعبدناك حق عبادتك وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرهف مدحضة مزلة عليه كلاليب من نار يختطف بها فمسك يهوى فيها ومصروع ومنهم من يمر كالبرق فلا ينشب ذلك أن ينجو ثم كالريح فلا ينشب ذلك أن ينجو ثم يجرى الفرس ثم كسعى الرجل ثم كرمل الرجل ثم كمشى الرجل ثم يكون آخرهم انسانا رجل قد لوحته النار ولقى فيها شرا ثم يدخله الله الجنة بفضله وكرمه ورحمته فيقال له تمن وسل فيقول أى رب أتهزأ منى وأنت رب العزة فيقال له تمن وسل حتى اذا انقطعت به الامانى قال لك ماسألت ومثله معه وروى مسلم عن أم مبشر الانصارية رضى الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة رضى الله عنها لايدخل النار ان شاء الله تعالى احد من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها قالت بلى يارسول الله فانتهرها فقالت حفصة رضى الله عنها وان منكم الا واردها فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد قال الله تعالى ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وروى أحمد أن جماعة اختلفوا فى الورود فقال بعضهم لايدخلها مؤمن وقال بعضهم يدخلونها جميعا ثم ينجى الله الذين اتقوا فسأل بعضهم جابر بن عبد الله رضى الله عنه فقال تردونها جميعا ثم أهوى باصبعيه الى أذنيه وقال صمتا ان لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لايبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى أن للنار أو قال لجهنم ضجيجا من بردهم ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا *وروى الحاكم يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم أولهم كلمح البرق ثم كلمح الريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب فى رحله ثم كشد الرجل ثم كمشيه

(الباب الحادى عشر بعد المائة فى وفاة النبى صلى الله عليه وسلم)

قال ابن مسعود رضى الله عنه دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أمنا عائشة رضى الله عنها حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله نصركم الله وأوصيكم بتقوى الله وأوصى بكم الله انى لكم منه نذير مبين أن لا تعلوا على الله فى بلاده وعباده وقد دنا الاجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى والى الكاس الاوفى فاقرؤا على أنفسكم وعلى من دخل فى دينكم بعدى منى السلام ورحمة الله وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام عند موته من لأمتى بعدى فأوحى الله تعالى الى جبريل أن بشر حبيبى أنى لا أخذله فى أمته وبشره بأنه أسرع الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الامم حتى يدخلها أمته فقال الآن قرت عينى وقالت عائشة رضى الله عنها أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغسله بسبع قرب من سبعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لاهل أحد ودعا لهم وأوصى بالانصار فقال أما بعد يامعشر المهاجرين فانكم تزيدون وأصبحت الانصار لا تزيد على هيئتها التى هى عليها اليوم وان الانصار عيبتى التى أويت اليها فأكرموا كريمهم يعنى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال ان عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله فبكى أبو بكر رضى الله عنه وظن انه يريد نفسه فقال النبى صلى الله عليه وسلم على رسلك يا أبا بكر سدوا هذه الابواب

الشوارع فى المسجد الا باب أبى بكر فانى لا أعلم امرأ أفضل عندى فى الصحبة من أبى بكر قالت عائشة رضى الله عنها فقبض صلى الله عليه وسلم فى بيتى وفى يومى وبين سحرى ونحرى وجمع الله بين ريقى وريقه عند الموت فدخل على أخى عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر اليه فعرفت انه يعجبه ذلك فقلت له آخذه لك فأومأ برأسه أى نعم فناولته اياه فأدخله فى فيه فاشتد عليه فقلت ألينه لك فأومأ برأسه اى نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يده ويقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات ثم نصب يده يقول الرفيق الاعلى الرفيق الاعلى فقلت اذا والله لا يختارنا وروى سعيد بن عبد الله عن أبيه قال لما رأت الانصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد ثقلا أطافوا بالمسجد فدخل العباس رضى الله عنه على النبى صلى الله عليه وسلم فأعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه على رضى الله عنه فأعلمه بمثله فمد يده وقال ها فتناولوه فقال ماتقولون قالوا نقول نخشى أن تموت وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج متوكئا على على والفضل والعباس أمامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس اليه فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس انه بلغنى أنكم تخافون على الموت كأنه استنكار منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم ألم أنع اليكم وتنعى اليكم أنفسكم هل خلد نبى قبلى فيمن بعث فأخلد فيكم ألا انى لاحق بربى وانكم لاحقون به وانى أوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا وأوصى المهاجرين فيما بينهم فان الله عز وجل قال والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا الى آخرها وان الامور تجرى باذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم أن تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم الثمار ألم يوسعوا عليكم فى الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ألا فمن ولى أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا وانى فرط لكم وأنتم لاحقون بى ألا وان موعدكم الحوض حوضى أعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماء أشد بياضا من اللبن وألين من الزبد وأحلى من الشهد من شرب منه لم يظمأ أبدا حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه المسك من حرمه فى الموقف غدا حرم الخير كله ألا فمن أحب أن يرده على غدا فليكفف لسانه ويده الا مما ينبغى فقال العباس يانبى الله أوص بقريش فقال انما أوصى بهذا الامر قريشا والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا آل قريش بالناس خيرا ياأيها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس برهم أئمتهم واذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وروى ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر رضى الله عنه سل ياأبا بكر فقال يارسول الله دنا الاجل فقال قد دنا الاجل وتدلى فقال ليهنك يانبى الله ما عند الله فليت شعرى عن منقلبنا فقال الى الله والى سدرة المنتهى ثم الى جنة المأوى والفردوس الاعلى والكاس الاوفى والرفيق الاعلى والحظ والعيش المهنا فقال يانبى الله من يلى غسلك قال رجال من أهل بيتى الادنى فالادنى قال ففيم نكفنك قال فى ثيابى هذه وفى حلة يمانية

وفى بياض مصر فقال كيف الصلاة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير قبرى ثم اخرجوا عنى ساعة فان أول من يصلى على الله عز وجل هو الذى يصلى عليكم وملائكته ثم يأذن للملائكة فى الصلاة على فأول من يدخل على من خلق الله ويصلى على جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة بأجمعها صلى الله عليهم أجمعين ثم أنتم فادخلوا على أفواجا فصلوا على أفواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذونى بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم الامام وأهل بيتى الادنى فالادنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان قال فمن يدخلك القبر قال زمر من أهل بيتى الادنى فالادنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فأدوا عنى الى من بعدى وقالت عائشة رضى الله عنها فلما كان اليوم الذى مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة فى أول النهار فتفرق عنه الرجال الى منازلهم وحوائجهم مستبشرين وأخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا فى الرجاء والفرح قبل ذلك اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجن عنى هذا الملك يستأذن على فخرج من فى البيت غيرى ورأسه فى حجرى فجلس وتنحيت فى جانب البيت فناجى الملك طويلا ثم انه دعانى فأعاد رأسه فى حجرى وقال للنسوة ادخلن فقلت ما هذا بحس جبريل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءنى فقال ان الله عز وجل أرسلنى وأمرنى أن لا أدخل عليك الا باذن فان لم تأذن لى أرجع وان أذنت لى دخلت وأمرنى أن لا أقبضك حتى تأمرنى فماذا أمرك فقلت اكفف عنى حتى يأتينى جبريل عليه السلام فهذه ساعة جبريل قالت عائشة رضى الله عنها فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى فوجمنا وكأنما ضربنا بصاخة ما نحير اليه شيأ وما يتكلم أحد من أهل البيت اعظاما لذلك الامر وهيبة ملأت أجوافنا قالت وجاء جبريل فى ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج أهل البيت فدخل فقال ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول كيف تجدك وهو أعلم بالذى تجد منك ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفا وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق وأن تكون سنة فى أمتك فقال أجدنى وجعا فقال أبشر فان الله تعالى أراد أن يبلغك ما أعد لك فقال يا جبريل ان ملك الموت استأذن على وأخبره الخبر فقال جبريل يا محمد ان ربك اليك مشتاق ألم يعلمك الذى يريد بك لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبدا الا ان ربك متم شرفك وهو اليك مشتاق قال فلا تبرح اذا حتى يجىء وأذن للنساء فقال يا فاطمة ادنى فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ثم قال أدنى منى رأسك فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وهى تضحك وما تطيق الكلام فكان الذى رأينا منها عجبا فسألناها بعد ذلك فقالت أخبرنى وقال انى ميت اليوم فبكيت ثم قال انى دعوت الله ان يلحقك بى فى أول أهلى وأن يجعلك معى فضحكت وأدنت ابنيها منه فشمهما قالت وجاء ملك الموت فسلم واستأذن فأذن له فقال الملك ما تأمرنا يا محمد قال ألحقنى بربى الآن فقال بلى من يومك هذا أما ان ربك اليك مشتاق ولم يتردد عن أحد تردده عنك ولم ينهنى عن الدخول على أحد الا باذن غيرك ولكن ساعتك أمامك وخرج قالت وجاء جبريل فقال السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما أنزل فيه الى الارض أبدا طوى الوحى وطويت الدنيا وما كان لى فى الارض حاجة غيرك ومالى فيها

حاجة الا حضورك ثم لزوم موقفى لا والذى بعث محمدا بالحق ما فى البيت أحد يستطيع أن يحير اليه فى ذلك كلمة ولا يبعث الى أحد من رجاله لعظم ما نسمع من حديثه ووجدنا واشفاقنا قالت فقمت الى النبى صلى الله عليه وسلم حتى أضع رأسه بين ثديى وأمسكت بصدره وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجبهته ترشح رشحا ما رأيته من انسان قط فجعلت أسلت ذلك العرق وما وجدت رائحة شىء أطيب منه فكنت أقول له اذا أفاق بأبى أنت وأمى ونفسى وأهلى ما تلقى جبهتك من الرشح فقال يا عائشة ان نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقيه كنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا وبعثنا الى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخى بعثه الى أبى فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يجىء أحد وانما صدهم الله عنه لانه ولاه جبريل وميكائيل وجعل اذا أغمى عليه قال بل الرفيق الاعلى كأن الخيرة تعاد عليه فاذا أطلق الكلام قال الصلاة الصلاة انكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعا الصلاة الصلاة كان يوصى بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة قالت عائشة رضى الله عنها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين قالت فاطمة رضى الله عنها ما لقيت من يوم الاثنين والله لا تزال الامة تصاب فيه بعظيمة وقالت أم كلثوم يوم أصيب على كرم الله وجهه بالكوفة مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل على وفيه قتل أبى فما لقيت من يوم الاثنين وقالت عائشة رضى الله عنها لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتحم الناس حتى ارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة بثوبى فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلم الا بعد البعد وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان وبقى آخرون معهم عقولهم وأقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلى فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس ولم يكن أحد من المسلمين فى مثل حال أبى بكر والعباس فان الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والسداد وان كان الناس لم يرعووا الا بقول أبى بكر حتى جاء العباس فقال والله الذى لا اله الا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين أظهركم انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون وبلغ أبا بكر الخبر وهو فى بنى الحرث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه ثم أكب عليه فقبله ثم قال بأبى أنت وأمى يا رسول الله ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج الى الناس فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حى لا يموت قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الآية فكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية الا يومئذ وفى رواية أن أبا بكر رضى الله عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو فى ذلك جلد الفعل والمقال فأكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكى ويقول بأبى أنت وأمى ونفسى وأهلى طبت حيا وميتا انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الانبياء فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا أن موتك كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك ماء العيون فأما ما لا نستطيع نفيه عنا

فكم دواء كان محالفا لا يبرحان اللهم فأبلغه عنا اذ كرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم أحد لما خلفت من الوحشة اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا* ولكن هذا آخر ما أقدرنا الله عليه وجذب قلوبنا اليه ليكون لنا برسول الله أسوة حسنة ونرجو من الله ان يبدل السيئة بالحسنة وان يلحقنا بنبينا صلى الله عليه وسلم على الايمان انه أكرم مسؤل وأعز مأمول والحمد لله رب العالمين

(يقول حسيب الجناب الحسينى الفقير الى الله تعالى محمد الحسينى خادم تصحيح الكتب العلمية بدار الطباعة الكبرى الميرية المصرية)

سبحانك يا من كاشفت قلوب الخلص من عبادك بأسرار غيبك وطالعتهم بباهر جلالك وأشهدتهم بديع جمالك وأجلستهم على بساط أنسك وأفعمت مجالهم من هنى رضوانك وسيبك نحمدك على جميع آلائك ونشكرك على تزايد نعمائك ونصلى ونسلم على رسولك الاعظم ونبيك الاكرم سيدنا محمد القائل ان لى مع الله ساعة لا يعلمها نبى مرسل ولا ملك مقرب وعلى آله وصحبه حماة دينه بلسان السنان وسنان اللسان المعرب *(أما بعد)* فقد تم طبع هذا الكتاب الذى غردت بلابل براعاته بطرب عباراته على أغصان التحقيق فى رياض المواعظ والنصائح وسلك بقارئيه سبيل الهداية فقطعوا مفاوز الغواية ووردوا من مناهل الانس والصفاء ما يثمل بانتهاله الغادى منهم والرائح وهو المسمى (بمكاشفة القلوب المقرب الى علام الغيوب) وزاد رقة طبعه بهجة وكمالا وبحسن سمته وصحة وضعه أبهة وجمالا على ذمة ذى الهمة السنية والاخلاق الحسنة البهية الذى خاطبته المعالى بمرحبا بسميرى أمين بيك الازميرى أمين الروزنامجة العامرة بالمحروسة مصر القاهرة فى عهد من باهت به أيامه أيام كسرى وأخصب بيمنه القطر المصرى وأثرى وأحيا بحسن سيرته مآثر أجداده الملوك الصناديد وملك بعموم احسانه ومزيد بره وامتنانه رقاب الانام فصار الجميع له بمنزلة العبيد الخديوى الاعظم والداورى الاكرم الذى هو بجميل الثناء عليه بجميع الالسنة حقيق أفندينا محمد باشا توفيق أدام الله أيامه وسل على أعدائه حسامه وأقر عينه بأنجاله وشرح صدره بأشباله وكان هذا الطبع الجميل والشكل الحسن الجليل بالمطبعة الكبرى الميرية ببولاق مصر المعزية ملحوظا بنظر حضرة ناظرها الشهم الهمام ماضى العزم فى أموره والسيف الصمصام من أجابته المعالى بلبيك حضرة حسين حسنى بيك ونظر حضرة وكيله المجارى له على سواء سبيله من عليه أخلاقه باللطف تثنى حضرة محمد بك حسنى وكان بدو طلعة بدره وتمام ينعه وزهره فى أواخر رجب الفرد من عام ثلثمائة بعد الالف من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وأهل بيته كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون



